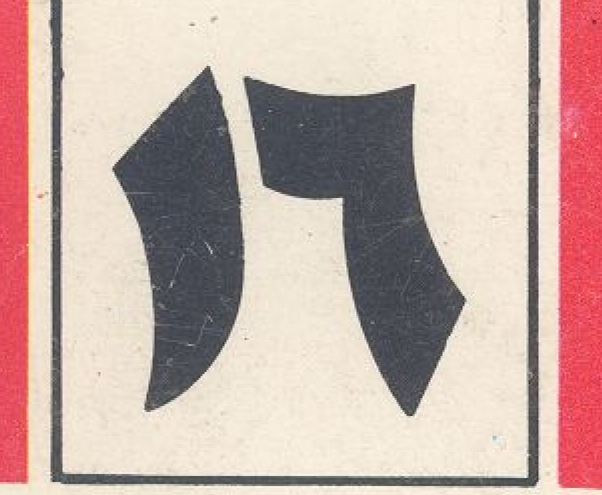
كتاب الحرية



ثورة الإبن

أسرار ووثائق قضية ثورة مصر

مصطفى بكري



يصدر أول كل شهر عن

دار الحرية

للصحافة والطباعة والنشر

شركة مساهمة مصرية

٤١ شارع شريف - القاهرة

تليفون : ٧٤٧٠٠٠ - برقيا : الحرية

المراسلات : ص. ب ١٣٧ محمد فريد - القاهرة

ثورة الإبن..

أسرار ووثائق قضية تنظيم ثورة مصر

الطبعـــة الأولــــى

١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

ثورة الإبن..

أسرار ووثائق قضية تنظيم ثورة مصر

مصطفى بكرى

إهـــــداء

إلى جمال عبد الناصر
اعتقدوا أن أفكارك واراها الثرى ..
ولكنهم فوجئوا بأنك موجود في كل بيت

المـؤلف



قبـل أن تقــــــرأ :

حين بدأت « **دار الحرية** » نشاطها ، بإصدار هذه السلسلة من الكتب .. فقد كان التزامها الأول ، أن تظل « **ساحة للحوار ، وملتقى للفكر المستنير ، وللتفاعل بين الآراء والاتجاهات المختلفة في مصر والوطن العربى** » ..

والنظرة الموضوعية لما أصدره « كتاب الحرية » حتى الآن ، تؤكد هذا المعنى ، وتعمقه ، وتثريه ..

ثمة كتب في الدين ، وفي الاقتصاد ، والسياسة ، وعلم النفس ، والسيرة الذاتية ، والتاريخ إلخ .. كتبها متخصصون ، تباينت اجتهاداتهم ، ورؤاهم ، وربما مواقفهم السياسية والاجتماعية .. ولكنهم اتفقوا في الجدية والصرامة المنهجية والعلمية بالإضافات التى حاولوا تقديمها ــ كل في

مجاله ــ إلى المكتبة العربيّة ..

ومن هذه الزاوية ، يجب أن تتحدد نظرتنا إلى هذا الكتاب الذى يستعرض فيه مؤلفه حدثاً ساخناً في حياتنا المصرية والعربية ، لم تكتمل فصوله بعد .. وهي لن تكتمل ــ بالطبع ــ إلا عندما يصدر القضاء حكمه موضحاً : من المدان ، ومن البرىء في القضية التى دخلت كل بيت مصرى وعربى ، والمعروفة باسم « **ثورة مصر** » ..

إن مؤلف الكتاب يعبر ــ في تناوله ــ عن وجهة نظر فردية ــ أو جماعية ــ ولكنها ــ أولاً وأخيراً وجهة نظر خاصة ، قد تجد من يوافقها أو العكس ، بل أنها يجب ألا تجاوز معنى الاجتهاد الذى يخطىء ويصيب .. وبالذات ، إذا راعينا أن القضية برمتها بين أيدى قضاة مصر ، الذين تجمع الشواهد والآراء ــ على امتداد العصور ــ أنهم كانوا دائماً مثلاً للقضاء العادل ..

لن نلجأ إلى القول بأن الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن اتجاه « **دار الحرية** » وإنما تعبر عن وجهة نظر صاحبها .. فذلك ما نحرص على تأكيده بالفعل في كل عدد من هذه السلسلة .. ولكننا ــ فحسب ــ نطالب قارىء هذا الكتاب بأن يطالعه ــ سواء في المعلومة ، أو في الرأى ــ كاجتهاد ــ غير منكور ــ في قضية لم تكتمل فصولها .. وهي لن تكتمل ــ كما أشرنا ــ إلا عندما يصدر قضاؤنا العادل حكمه . والله الموفق ،

« **الحريـــة** »

مقـــدمــــــة

في التاسع عشر من فبراير الماضى ، رن جرس الهاتف في منزلى ، كانت المتحدثة على الجانب الآخر هي أمى . تحدثت معي .. ولكن بصوت متهدج ، أدركت على الفور أن في الأمر شيئاً .. سألتها ماذا حدث .. هل حدث لأحد لديكم مكروه ؟ . إنى أشعر أنك تبكين .. ماذا في الأمر ياأماه ؟ .

وفجأة وعلى غير انتظار قالت لي : هل صحيح إنهم يريدون أن يشنقوا ابن عبد الناصر ياولدى ؟ !!

سرت قشعريرة خفيفة في بدنى .. كدت أصرخ من الأعماق ، ولكن الكلمات خرجت من فمى ضعيفة .. نعم للأسف ياأماه أنهم يقولون ذلك !

حوار طويل دار على مدى أكثر من ثلث ساعة بينى وبين أمى التى تقطن في قنا ، حيث آخر محافظات الصعيد . قالت كلاماً كثيراً ، أبلغ من قصائد الشعر ، وأقوى من الخطب المنمقة . قالت : عجزوا عن مواجهة الأب فراحوا يواجهون الابن . قلت : من ؟ . قالت : الكل يعرفهم يابنى ، ومن يكون غير أمريكا وإسرائيل ؟ .

لحظات صمت مرت على الهاتف . أتأمل الكلمات .. أدوس على شفتي بأسناني . ولكن لا إجابة في المقابل .

هذه أول مرة ، لا تقولها لي .. في كل مرة ، وقبل أن تغلق سماعة التليفون كانت تقول : « خل بالك من نفسك ياولدى » .. أما هذه المرة فقد صمتت المرأة الصعيدية البسيطة .. ومن يكون ابنها إلى جوار خالد والأبطال الأخرين .. وماذا تساوى ستة أشهر في السجن قضاها ابنها على فترات في سجون السادات إلى جوار هؤلاء الذين يواجهون حكم الإعدام ؟ !

لم تكن أمي إلا نموذجاً لكل مصر من شمالها إلى جنوبها تعاطف جياش ومؤازرة واضحة . والسبب أن هؤلاء الرجال وجهوا رصاصاتهم إلى موضعها .. في مواجهة أعداء الوطن وأعداء الشعب .

لم يقتلوا مواطنين أبرياء وإنما اقتلوا جواسيس تخفوا في زى دبلوماسيين ورجال سفارات . لم يتخابروا ، ولم يدبروا لقلب نظام الحكم ، ولم يوجهوا رصاصاتهم إلى أي مصري ، وإنما كان الهدف دائماً الموسادو رجال الاستخبارات الأمريكية .

● ● ●

حملات التشويه أمر طبيعي ومتوقع من هؤلاء الذين هللوا للسادات عندما وقع كامب ديفيد ، وهم مستعدون أن يهللوا لمن يتخذ أية مواقف أخرى مناقضة ، شريطة أن يكون صاحب سلطة وسلطان .

عندما قررت أن أغلق الباب على نفسى لأيام عديدة ـــ أقرأ ـــ أتأمل ، ثم أخرج لأستمع وأعود لأكتب لم يحكمني حساب المكسب والخسارة .

وإنما شعور وطنى جامح دفعنى إلى أن أقول ما اعتقد أنه صحيح في حق هؤلاء الرجال .. نعم أنا ناصرى .. ولى علاقة صداقة بخالد عبد الناصر كغيرى من الشباب الناصرى ، ولكن القضية أكبر من كل ذلك .. إنها قضية الكرامة الوطنية ..

قضية نكون أو لا نكون .. قضية الوعى المتقدم بأبعاد الخطر الذى يحيق بنا من كل اتجاه .

وعندما قررت أن أسمى الكتاب « ثورة الابن » لم أكن أهدف أن أنتقص من دور الأخرين ، أو أسند لخالد دوراً أمره لا يزال مطروحاً أمام القضاء ، وإنما لأن هذه القضية خلقت من خالد عبد الناصر رمزاً ، ودفعت به إلى ساحة العمل السياسي سواء أراد ذلك أم لم يرد .

● ● ●

إنها قضية العصر .. والتاريخ يسجل بأمانة أدوار الجميع ، وتنتهى القضية وتصدر الأحكام .. ولكن يوماً ستفتح صفحات التاريخ من جديد .. لتعيد إلى الأذهان فصول القصة بأكملها .. وعندئذ فإن التاريخ لن يرحم الظالمين !

« مصطفى بكرى »

□ الفصــل الأول □

١/٢ مليون دولار وجواز سفر أمريكي

الزمان : أواخر يوليو ١٩٨٧

المكـان : مدينة نصر شرق القاهرة

كانت الساعة نحو التاسعة مساء . الليلة لم تكن قمرية . والأجواء لم تكن لطيفة . فهذا الوقت مشهور بحرارته ، والقاهرة تخرج عن بكرة أبيها إلى المنتزهات والشواطىء .

كان أحمد عصام الدين سليمان حائراً في ذلك اليوم ، القلق يسيطر عليه ، والتوتر هو السمة الغالبة على تصرفاته . لم يخرج كغيره في هذه الليلة وإنما ظل قابعاً بالشقة التى يمتلكها شقيقه محمود نور الدين في شارع البيلاوى بمدينة نصر . ثلاث ساعات متصلة قضاها وحيداً ينتظر شقيقه محمود الذى خرج إلى مكان لم يعلمه أحمد عصام . فهكذا محمود . لايفصح عن كل شىء حتى لشقيقه .

تأمل أحمد عصام صورتى والده ووالدته المعلقتين في صالون الشقة شعر بالخجل ، ولم يمعن النظر إليهما كثيراً .. فقد غاص في فيض من المشاعر الدفينة ، لا يريد

أن يقلب أوراقها .. خصوصاً وأنه قد شعر أن نظرات والديه تكاد تثقب جسده لتبلغ شقيقه الأخر عما يضمر فيه .

لم يلق عصام بجسده في الغرفة التى توجد فيها صورتا والديه المتوفيين . تأمل الغرفة من جديد . إنها شهدت منذ فترة وجيزة مأساة كاد يذهب صخيتها . هنا في هذه الغرفة التى لا تتعدى مساحتها ٥,٧٠ × ٣,٥٠ متر تقريباً كاد يلقي عصام حتفه . أدار عينيه الزائغتين في أنحاء الحجرة ونظر إلى الباب الذى انطلق منه هارباً يوم أن طالب شقيقه محمود بمبلغ ٢٠ ألف جنيه لاستكمال مصنع للطوب الرملي بناه في مدينة ١٥ مايو ، فما كان من محمود إلا أن أطلق الرصاص عليه بعد أن هدده عصام بالإبلاغ عن ذلك التنظيم الذى دوخ الجميع وأطلق على نفسه اسم « منظمة ثورة مصر » .

قطعاً لم يكن ذلك الحادث هو الذى دفع بعصام إلى الغوص في العالم اللامتناهى هذا المساء ، بل أن المستقبل الآتى كان في نظره أجدى بالغوص . بدأت الأفكار تداعب عصام من كل اتجاه ، اختلط الحلم بالحقيقة ، والواقع بالخيال . ظل يعصر عقله ساعات طوال .. ولكنه لم يجد مفراً من الانطلاق .

● ● ●

مدينة نصر شوارعها واسعة . منذ فترة وجيزة شهدت ولادة أعظم الحدائق العالمية ، أطلق عليها اسم « الحديقة الدولية » يبدو أن اتساع الشوارع ، يعطى مساحة أكبر للتفكير . لكن الحالة عند أحمد عصام كانت على عكس ذلك . الشوارع الفسيحة كثقب الأبرة أمام عينيه ، والسيارات المزعجة لا تؤثر أصواتها في شيء من أفكاره المتلاطمة والمتضاربة معاً .

سأل نفسه : ما العمل .. ؟ كيف الخروج من المأزق ؟ !

كان يعرف الطريق ، لكنه كان متردداً كعادته دوماً في حياته اليومية . شعر بأن الخناق يضيق من حوله وأن أصابع الاتهام تشير إليه ، لقد اتخذ قراراً لم يبلغ شقيقه به ، لكن هذا ليس كافياً وحده . صحيح أنه لم يشارك مؤخراً في محاولة اغتيال رجال الأمن الأمريكيين عند منطقة مصر القديمة . وصحيح أنه قرر بينه وبين نفسه أن يبدأ في الابتعاد عن منظمة « ثورة مصر » تدريجياً لكن كل ذلك غير كافٍ .

قال لنفسه ومن يدرى ربما يجد في الأمر جديد ، خاصة بعد أن وسع التنظيم من عملياته لتشمل الأمريكيين إلى جوار الإسرائيلين ، فيذهب هو يذهب كما غيره إلى حيث لا يريد .

الذين يعرفون عصام يقولون عنه إنه انتهازي كبير ، يحمل بين ذاته نموذج البرجوازى الصغير ، يصل بأقصى سرعة وبأقل خسائر ممكنة ، ولا يهم كيف السبيل .. يريد أن يغتنى حتى ولو على حساب الأخرين . يريد أن يصبح رمزاً للشهرة وحديث الناس ، حتى وإن تحول إلى عميل لأحد الأجهزة .

لكن عصام كما البرجوازى الصغير ، يحسم التردد في نهاية الأمر لمصلحة الذات .. ولهذا لم يجد بدأ من اتخاذ القرار .

● ● ●

في الصباح الباكر ، ركب عصام سيارته البيجو ٣٠٥ ، كثيراً ما شارك بها في عمليات المنظمة ضد الإسرائيليين ، لكنه يأخذها هذه المرة إلى وجهة أخرى ربما على النقيض تماماً .

في أحد الشوارع الجانبية توقف عصام بسيارته . أمسك بسماعة التليفون رفعها قليلاً ووضعها على أذنه بعد أن أدار القرص في حركة عصبية . لم يكن معه رقم

تليفون السفارة الأمريكية بالقاهرة ، وإنما أدار القرص على ثلاثة أرقام فقط . إنها أرقام الاستعلامات ١٤٠ أو ١٤١ . سأل عن رقم تليفون السفارة الأمريكية فأعطى في الحال . اعتقد أن صاحب الكشك ينظر إليه وكأنه يبدى اندهاشه من طلبه الغريب . ولهذا فقد ترك عصام هذا الكشك ليتجه إلى أخر حتى يتمكن من التحدث بحرية مطلقة .. ظل يجوب بسيارته ــ نحو نصف ساعة ــ منطقة مصر الجديدة هذه المرة ، وأخيراً تحدث ..

● ألو السفارة الأمريكية ؟

ــ نعـــم .

● أريد التحدث مع فرانك ويزنر السفير الأمريكي لأمر هام للغاية !!

ــ ومن أنـــت ؟ !

● ليس مهما .. ولكن أنا لدى معلومات هامة تتعلق بمنظمة ثورة مصر ..

ــ .... !

● ● ●

في مثل هذه السفارات الهامة يوجد أمام عامل التليفون عدة تليفونات بأجهزة متقدمة ، وغالباً ما يقوم على أمرها فنيون على مستوى عال ، ولهم علاقة من قريب أو بعيد بأجهزة الاستخبارات . ولهذا فقد تصرف عامل التليفون على الفور ، اسمع عصام الموسيقى عبر التليفون ، ونفذ مهمته في ثوان ، أبلغ مدير أمن السفارة وهو غالباً ما يكون من رجال الـ « بى . أي . إيه » المخابرات المركزية الأمريكية ؛ وبدأ يسجل المكالمة .. بعد أن تلقى التعليمات حادثه وطلب منه أن يتحدث مع أحد المسئولين لأن فرانك ويزنر السفير الأمريكي غير موجود في مكتبه في الوقت الراهن .

أغلق عصام سماعة الهاتف ، ولم يكن يعتقد ـــ بالطبع ـــ أن في الأمر خدعة ، وإن لم يستبعد حدوث ذلك في المرة القادمة لكنه فضل في كل الأحوال ألا يتحدث إلا مع فرانك ويزنر السفير الأمريكي نفسه !!

● ● ●

كان أمامه أحد خيارين ، إما أن يعاود الاتصال بفرانك ويزنر السفير الأمريكي في ذات اليوم مرة أخرى أو ينتظر إلى الغد .

فكر في الأمر برهة . وقال ربما التقط الأمريكان رقم التليفون وعرفوا مكانه . إذن ليس أمامي سوى الرحيل من هذا المكان فوراً .. وبالفعل رحل أحمد عصام ولم يتحدث في اليوم التالى ، وإنما قرر أن يتحدث بالهاتف مع السفارة في اليوم الثالث ، اعتقد أنه بذلك إنما يخدعهم ويربكهم .. ومن منطقة تقرب من وسط العاصمة اتصل أحمد عصام بالسفارة من جديد .. ولكن في هذه المرة يبدو أنه كان على موعد غير مرئى مع فرانك ويزنر السفير الأمريكي ، أو كأن السفارة استنفرت بأسرها لتلقي هذه المكالمة وإجراء التسهيلات اللازمة أمام صاحبها .. ثوان معدودة . وكان أحمد عصام في مواجهة فرانك ويزنر السفير الأمريكي ، ولكن عبر أسلاك الهاتف . تساؤلات واثقة وإجابات مهزوزة دارت عبر الهاتف بين الطرفين لثوان معدودة ... رحب فرانك ويزنر السفير الأمريكي على إثرها بشروط أحمد عصام .. نصف مليون دولار وجواز سفر أمريكي . نصف مليون دولار تحول باسمه إلى أحد البنوك السويسرية وجواز سفر أمريكى يخرج به من السفارة إلى المطار قاصداً واشنطن مباشرة . كانت إجابة فرانك ويزنر السفير الأمريكي أكثر من مشجعة ، لكن عصام قال له إجر اتصالاتك ، وسأحادثك خلال يوم أو يومين لتحديد موعد اللقاء .

● ● ●

أغلق فرانك ويزنر السفير الأمريكي بالقاهرة تليفونه ، بعد أن وضع عصام سماعة التليفون المقابل إلى حيث مكانها . عصام دفع بجنيه مصرى واحد إلى صاحب الكشك سدداً للمكالمة الهاتفية التي لا يتعدى ثمنها عشرين قرشاً .

وأسرع لتبتلعه شوارع القاهرة من جديد . بينما ظل فرانك ويزنر السفير الأمريكي يدور بكرسيه الهزاز ، يقف ليفرك يديه ويعود من حيث بدأ . إلى أى مدى يصدق معه هذا المجهول ، لو حدث لكانت خبطة العمر ، فهذا التنظيم من الخطورة بمكان .. ولكن من يدرى . في مصر يمكنك أن ترى العجب العجاب !

ولم يخرج فرانك ويزنر السفير الأمريكي من مستنقع أفكاره ، إلاّ مكالمة هاتفية عاجلة من الولايات المتحدة ، عبرها أبلغ فرانك ويزنر السفير الأمريكي رجال الخارجية الأمريكية بكل التفصيلات .. كما سبق وأن أبلغ غيره المخابرات المركزية بوقائع المكالمة الأولى ومن ثم الثانية بعد ذلك ..

● ● ●

كانت الإجابة من واشنطن أوهموه أنكم قبلتم كل شروطه ، وقوموا بتحرياتكم الخاصة حول المعلومات التى ترد منه ـــ لا تبلغوا أجهزة الأمن المصرية إلاّ بعد جمع التحريات الكاملة .. وساعتها فلتسلموا أحمد عصام إلى الشرطة المصرية ، ليكون الشاهد الأول في هذه القضية . قولوا له إن المبلغ سوف يستلمه بمجرد أن تطأ قدماه أرض الولايات المتحدة ، ضعوه تحت أعينكم ليل ـــ نهار .. كانت تلك هي التعليمات التى وردت على عجل إلى فريق السى أى إيه بالسفارة الأمريكية .. ألتقى الجميع فرانك ويزنر السفير الأمريكي ورجال الاستخبارات على مائدة عمل .. لم يكن لقاءً عابراً وإنما لقاءً طرحت فيه كل الخيارات ولم يبق أمام الجميع سوى الانتظار ! .

● ● ●

مرت الساعات ثقيلة .. ثقيلة ، عقارب الساعة لا تتحرك إلا ببطء .. متى ينتهى ذلك الليل الطويل ؟ . وهل يمكننى أن أنجح في الإبلاغ فعلاً قبيل أن تنالنى يد الأمن المصرى وتقبض على وعلى الأخرين ؟ .. أسئلة عديدة طرحها عصام على نفسه في الليلة التى مرت ببطء لم يكن يتوقعه إنه لم ينم بل ظل ساهراً حتى الصباح . أسئلة كثيرة كثيرة بلا إجابات ، إنه لا يريد أن يغوص بذاته في بحر متلاطم من الإجابات السريعة والمتناقضة . ولكنه ماذا يفعل وقد قرر أن يفعل ؟ !

في الصباح الباكر ، ركب عصام سيارته البيجو وخرج بلا هدف .. ذهب إلى المطار ثم عاد بسرعة وكأنه يتمم على محاولة الهرب السريع الذى يساوره بين الحين والأخر ، إلى أن وجد ضالته هروب ولكنه خروج شرعى ، ليس خروجاً إلى العالم المجهول وإنما إلى المتعة والمال .. إلى بلاد الجنة أمريكا .. حيث تجرى مراسم التكريم لي كالأبطال بل ربما ــ ومن يدرى ــ قد يستقبلنى « ريجان » نفسه بعد أن يعرف حقيقة دورى وتضحيتى بأخى محمود ! .

● ● ●

كانت الساعة نحو العاشرة من الصباح .. عاد عصام ليجرى الاتصال مرة أخرى .. تأكد من وجود فرانك ويزنر السفير الأمريكي وإن لم يحدد معه موعداً للحضور ! .

وفي العاشرة والربع كان عصام أمام موظف الاستعلامات بالسفارة الأمريكية .. نعم فقد تحادث مع فرانك ويزنر السفير الأمريكي من أقرب نقطة إلى السفارة . طلب من موظف الاستعلامات أن يحادث فرانك ويزنر السفير الأمريكي لأمر هام عبر التليفون الداخلي .. سأله ومن أنت ؟ وماذا تريد ؟ .. تردد عصام وتلعثم وقال .. أبلغ فرانك ويزنر السفير الأمريكي أننى صاحب المعلومات عن ثورة مصر الذى حادثته في الهاتف منذ دقائق معدودة ! .

ولم يتردد موظف الاستعلامات في أن يرفع الهاتف ويبلغ سكرتارية فرانك ويزنر السفير الأمريكي . وكأن ثورة قد حدثت في السفارة .. رجال تركوا مكاتبهم وهرعوا إلى مكاتب أخرى بينها مكتب فرانك ويزنر السفير الأمريكي نفسه ، موظف الاستعلامات ارتجف وضغط على زر كهربائى إلى جواره أغلق به باب غرفته ، بعض من رجال المارينز الأمريكيين الذين يتولون حراسة السفارة هرعوا يوزعون أنفسهم في كل اتجاه خصوصاً المداخل والمخارج ، وبعضهم ذهب نحو مكتب فرانك ويزنر السفير الأمريكي ..

ارتجف أحمد عصام .. لكنه سرعان ما تدارك الأمر وقد قدم إليه موظف كبير يبدو أنه مسئول الأمن بالسفارة الأمريكية ، حادثه بالعربية « المكسرة » اتفضل سيادة فرانك ويزنر السفير الأمريكي في انتظارك ! .

كانت الخطوات بطيئة .. الأعصاب مشدودة .. الجسم كأنه يحمل أثقالاً . الشفتان ارتجفتا والعينان جحظتا إلى الأمام .. وحتى الأصابع يشعر أنها قد فارقته وأن جسداً خاوياً من كل شيء يحمل روحه التى تكاد تنزع ذاتها من جسده ! .

سرت رعشة خفيفة في بدنه ، يشعر بالبرد رغم سخونة الجو ، ربما كان التكييف المركزى داخل السفارة ولكن كان الخوف من الحاضر والمستقبل معاً .

بعد تفتيشه الكترونياً .. هرع به « المارينز » إلى غرفة السفير الأمريكي — السكرتارية ثم غرفة فرانك ويزنر السفير الأمريكي ذاته .. استقبله بحرارة .. وربت على كتفه ، وكان رجاله قد انهوا لتوهم كافة إجراءات التسجيل بالصوت والصورة .

كانوا خمسة أفراد .. فرانك ويزنر السفير الأمريكي .. ومدير أمن السفارة . وثلاثة من رجال الاستخبارات الأمريكية . وبعد برهة كان هناك شخص أخر

يتوسط الجميع .. قيل أنه أحد أبرز رجال « الموساد » العاملين بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة .

كانت جلسة خاصة ، ومصر الحكومة هي وحدها الغائبة .

شرب الجميع المثلجات إلاّ أحمد عصام فقد طلب ليموناً وقهوة في الوقت ذاته .. أنه يريد أن يبلع ريقه بأى ثمن بعد أن جف من الخوف .. أما القهوة فلعلها تخفف من ألم الصداع الرهيب الذى يعيشه منذ فترة والذى تفجر الآن بكل عنفوانه ! ..

● ● ●

أراد أن يتحدث لكنهم طلبوا منه التريث .. فلتشرب الليمون والقهوة .. ولتهدأ أعصابك .. ثم سنستمع إليك بعد ذلك وبراحتك ! ..

بعد برهة من الوقت .. كان فرانك ويزنر السفير الأمريكي يسأل أحمد عصام ما معلوماتك عن « ثورة مصر » ؟ .. لقد قلت لي أن لديك معلومات ! ..

لم يتردد أحمد عصام كما هي عادته . وإنما قال : أنا ليس لدي معلومات فقط بل أنا أحد قادة هذا التنظيم .. ولكن قبل أن أتحدث أريد أن اثق في وعدكم لي أنا اطلب نصف مليون دولار وجواز سفر أمريكي ..

وقبل أن ينهى أحمد عصام كلامه كانت إجابة فرانك ويزنر السفير الأمريكي قد سبقت : لقد وافقنا ونحن سنحول لك المبلغ ونسلمك الجواز إلى الولايات المتحدة لتُستقبل هناك استقبال الأبطال .. فقط نريد أن نعرف القصة ؟

● ● ●

في بداية كلامه قال أحمد عصام إنها منظمة ناصرية كما تعرفون ولكن المهم في ذلك أن زعيمها هو شقيقى محمود نور الدين وأن محمود شقيق لخالد عبد الناصر ،

وإننى ـــ والكلام لعصام ـــ اعتقد أن خالد يمده ببعض الأموال ، ولكن دون أن يدرى بأمر « ثورة مصر » .

هنا أوقفه أحدهم وقال له : ومن أدراك ربما يعلم خالد بأمر التنظيم . تشكك أحمد عصام ، وقال لا أعتقد .. لا أعتقد أننى تحدثت مع محمود في ذلك ، وقال لي أن خالد سوف يرفض لو فاتحناه في ذلك ، وأن كل ما تربطه به هو صداقة قديمة تعود إلى أيام لندن .

وقال محمود أنه من الأفضل لنا وله .. أن نظل أصدقاء فقط . خصوصاً وأن خالد لا يصلح لأى عمل سرى لأنه شخص معروف بوصفه ابناً للزعيم الراحل جمال عبد الناصر .

ظل أحمد عصام ينفى ويؤكد على النفى ، لكن الأمريكيين كان لهم مخطط أخر .. ولماذا لا يزج باسم خالد في القضية ، إنها فرصة العمر فلننتقم من والده .

لقد أرادوا تكرار تجربة محمد على باشا حاكم مصر السابق عندما لم يفز بالانتقام من الجبرتى ، فقد قام بالانتقام من ابنه . إذن فلترتب أوراق القضية من جديد .. وليكن خالد عبد الناصر هو المتهم الأساسى في هذه القضية ، قطعاً ليس قاتلاً .. لأن هذه تصبح مكشوفة ـــ ولكن طالما هو يتردد على محمود نور الدين فمؤكد أن هناك من رأوه غير عصام .. إذن فليكن هو الممول وهو الذي يأتى لهم بالسلاح ..

وعلى هذا دارت اللعبة ، وبدأ توزيع الأدوار على أسس جديدة .. وبدأ عصام .. وبدأ « الآخرون » في تحديد أبعادها !! .

● ● ●

ساعات طوال قضاها أحمد عصام بالسفارة الأمريكية ، ولكن ما هو الحال الآن والساعة قد قاربت الرابعة ، يجب أن يخرج عصام من السفارة حالاً ، ولكن تحت أعين رجال السى أي أيه ــ يتحرك كما يريد ولكن دون أن يفلت منهم ، وهو على كل حال أصبح تحت رحمتهم .. سيظل حريصاً في تحركاته وكلامه إلى أن تنتهى القضية ، ويذهب كل إلى سبيله هو إلى حيث الأرض الفسيحة والأموال والنساء الكثيرة في أمريكا ــ وهم إلى حيث إجراءاتهم للقبض على أعضاء التنظيم ..

قال له أحدهم وقد قاربت الساعة الرابعة ! بعد أن ننتهى من إجراء التسجيلات وخلافه يجب أن تصفى كل ممتلكاتك استعداداً للسفر ، أما الآن فإن عليك أن تذهب إلى منزل شقيقك محمود (مقر التنظيم) وتكون طبيعياً للغاية لتتعرف لنا على المزيد من المعلومات ، وتسجل المكالمات وإنك سوف تكون تحت أعيننا ، فلا تتحرك كثيراً ويجب أن تخطرنا من خلال جهاز بسيط للغاية لا يزيد عن حجم رأس الدبوس وُضِعَ في مكان ما بين ملابسه ، لتسجيل المناقشات والاعترافات مع المتهمين الأخرين دون سابق معرفة .

● ● ●

هكذا خرج عصام من مبنى السفارة بشكل عادى .. كانت هناك سيارته في الخارج تنتظره ... ركب فيها بينما تابعته سيارة أخرى بها رجلان أمريكيان تتبعها سيارة ثالثة بها أمريكى واحد ، وجميعهم من ألـ « سى . أى . إيه » .. كان عصام قد أعطاهم عنوان شقة التنظيم والعناوين الأخرى الهامة كا أعطاهم أرقام الهواتف المختلفة . وهو قبل أن يغادر السفارة كان قد أجرى عدة اتصالات ببعض أعضاء التنظيم الأخرين وحادثهم عن أحوال التنظيم وخلافه ، ليتأكد الأمريكيون من أن الأمر جاد بكل تأكيد !

● ● ●

في شوارع قاهرة المعز ، سارت ثلاث سيارات في وضح النهار .. وراح الأمريكان يعبثون بحرية كاملة ــ يسجلون المكالمات .. ويطرحون التساؤلات ويفرضون الرقابة ــ دون علم أي مصرى باستثناء عصام ــ بذلك . وهو أمر يوضح إلى أي مدى نجح الأمريكان في التغلغل داخل مصر .

أصبحت يدهم تطول أشياء كثيرة في البلاد ــ دون حتى التكرم بإخطار السلطات صاحبة الأمر والنهى في طول البلاد وعرضها . من مبنى السفارة الأمريكية إلى حيث سيارة أحمد عصام التى تركها أسفل كوبرى ٦ أكتوبر ، في البداية صعد أحمد عصام في إحدى هاتين السيارتين .. ثم استقل سيارته .. وبدأ يسلك طريق الأزهر فالاوتوستراد ثم مدينة نصر .. والسيارتين خلفه .. وهناك قبل الشقة بقليل .. كانت سيارة تتقدم ، بينما الأخرى تنتظر بعيداً .. شاهد سائق السيارة شقة محمود نور الدين في ٨١ ش البيلاوى وظل ينتظر . وكان عصام يحمل معه جهاز الإرسال بين ملابسه ، ليتابعوا حركته .. وأحاديثه !

● ● ●

دخل عصام على شقيقه محمود ، كان طبيعياً ، فقد ذهبت الصدمة في ساعات مبكرة ، بدأ الآن يدخل في بداية الدور الذى ينتظره ، هناك حيث المال والنساء والهيروين . تحادث مع شقيقه بعض الشىء .. فقد اندمل الجرح القديم بينهما .

تعمد أن يتحدث معه في بعض أشياء جوهرية تخص التنظيم ، لم يتطرق إلى ذهن محمود البته أن عصام يحمل له خنجراً بين ملابسه . لكنه لم يكن يعطيه في الوقت ذاته أسراراً كبيرة أو صغيرة ، كان يتحدث معه عن التنظيم بشكل عام . ولم يكن يحاول أن يتطرق معه إلى العمليات القادمة أو تفصيلات العمليات السابقة والتى لم يحضر البعض منها أحمد عصام ذاته ، خصوصاً عمليتى ألبير اتراكشى والأمريكيين .

تحدث أيضاً أحمد عصام مع زملاء أخرين بالتنظيم كانوا متواجدين بالشقة : أحمد علي ــ محي عدلي وأخرين ..

وفي المساء قرر عصام الذهاب إلى شقته بمصر الجديدة .. وكانت إحدى السيارتين تتبعه بينما بقيت الأخرى تراقب من على بعد . ودون أن يشعر بها أحد . لقد اختار الأمريكيون رجالاً تبدو ملامحهم قريبة من الشرقيين ، وسيارات لا تحمل أرقام دبلوماسية . فهكذا هم مستعدون لأى طارىء ! .



خيانة الشقيق .. وضياع الضمير

الزمان : ١٩٨٧/٩/٢٩

المكـان : شقة محمود نور الدين بمدينة نصر

كان الجميع على موعد هناك .. النيابة .. وأمن الدولة وخبراء المعمل الجنائى .. ومحمود نور الدين وشقيقه عصام وسامى فيشة أحمد المتهمين في القضية .

وفي الساعة الرابعة والربع ، تم فتح الشقة التى كانت حتى وقت قريب مقراً لتنظيم ثورة مصر

في هذه الشقة أطلق محمود نور الدين النار منذ فترة على شقيقه أحمد عصام ، والسبب هو حاجة عصام إلى مبلغ ٢٠ ألف جنيهاً وإلا فليبلغ البوليس عن التنظيم من أساسه ، مما دفع بشقيقه إلى إطلاق الرصاص عليه .

حضرت النيابة ممثلة في السيد عبد المجيد محمود المحامى العام لنيابة أمن الدولة ، وتم فتح المحضر لتسجيل الواقعة وإعادة تمثيلها .. وكانت الشقة تقع في الطابق الثانى

بالعقار رقم ٨١ شارع البيلاوى بمدينة نصر .. وكان الشمع الأحمر الذى جرى ختمها به قبل ذلك يبدو ظاهراً .. تم فتح باب الشقة ودعا المحامى العام .. المجنى عليه أحمد عصام لإرشاده إلى الحجرة التى شهدت إطلاق الرصاص عليه .. كانت الحجرة واسعة تقع في نهاية طرقة طويلة على يمين الصالة الرئيسية للشقة .. الغرفة مربعة الشكل مساحتها ٥,٧٠ × ٣,٥٠ متراً تقريباً .. بها نافذة في الجهة اليسرى وهناك جهاز تكييف هوائى مركب أسفل هذه النافذة إلى جدار الحائط وصورتان لوالد ووالدة الشقيقين يبدو أنهما قد توفيا منذ زمن طويل . بداخل الحجرة سرير ودولاب على يمين الداخل كما توجد تسريحة بمرآة على اليسار .

بدأ أحمد عصام يمثل المشهد المأساوى الذى كان ضحيته وقف إلى جوار جهاز التكييف المركب أسفل النافذة ، وكانت التسريحة بذلك على يمينه ، بينما كان السرير في مواجهته . أشار بيده إلى المكان الذى كان يجلس فيه شقيقه محمود نور الدين في هذا الوقت وكان على بعد حوالى ٤,٥ متر من الطرف الآخر من الغرفة .

● ● ●

غاص أحمد عصام في أفكاره من جديد ، القصة عادت تلقى بظلالها ، وتدفعه لتذكر لحظاتها الكئيبة .. كان الشقيق الآخر يقف ويتذكر هو الآخر ، وكأن الاثنين قد غرقا في بحور من ذكريات الماضى القريب وآلامه .

قال أحمد عصام الدين : لقد كنت في حاجة إلى مبلغ ٢٠ ألف جنيه ، كان همى كله أن أبنى مصنعاً صغيراً للملابس الجاهزة ، وأن أعالج نفس من الهيروين . وبينما أنا أجلس في منزلى في مصر الجديدة وكنت قد قررت الذهاب إلى منزل شقيقى محمود للتحدث معه في هذا الأمر ، فاجأنى محى عدلى فأخذته معي ونزلنا سوياً إلى منزل محمود .

وهناك ، كان موجوداً نظمى وسامى فيشة وحمدى شرف وشقيقى محمود . جلسنا جميعاً نشاهد التليفزيون .. ولكن فترة الجلسة طالت فطلبت من محيي أن نعود من حيث أتينا ، وبالفعل ذهبت أنا ومحيي إلى أسفل العمارة .. قلت لمحيي : أرجو انتظارى لمدة دقائق في السيارة ، خصوصاً أنى أريد أن أطلب من محمود طلباً معيناً وسأحضر إليك فوراً .

واستكمالاً للقصة على لسان عصام ، فقد صعد مرة أخرى إلى شقة محمود ، فوجد الآخرين لازالوا جالسين ، استأذن منهم وطلب شقيقه لعدة دقائق وفي غرفة النوم إلتقيا .. قال عصام ووجهه يبدو عليه البرود : أنا أريد أن أتوقف عن المشاركة في هذه العمليات التى تقومون بها ، أريد أن أبدأ حياتى من جديد مرة أخرى .

اندهش محمود .. واكفهر وجهه .. وجحظت عيناه .. وقال بسخرية واضحة : وماذا تريد ؟ . فرد عليه عصام أريد عشرين ألف جنيه .

وهنا ضغط محمود على أسنانه وقال بلغة حادة : مفيش ولا مليم واحد .. فرد عليه عصام بقوة غير معهودة فيه : إذا لم أتسلم المبلغ فإنى سأبلغ البوليس عن التنظيم وأفراده . وكأنه ألقي على شقيقه صفيحة من الماء البارد .. انفعل محمود ولم يصدق ما ذكره شقيقه منذ قليل .. وهب واقفاً مرةً واحدةً وفتح دولاب ملابسه . وأخرج منه رشاشاً . قال عصام في التحقيقات إن خالد عبد الناصر أتى به .. وقبل أن يوجهه محمود إليه كان قد وضع فيه خزنة الطلقات .. أمسك محمود بالسلاح في وضع استعداد .. وقال لشقيقه : سأضربك بالرصاص ..

كان عصام يجلس على كرسى في غرفة النوم اهتز الكرسى من تحته ولم يصدق ، ولكن الخوف دفع بالكرسى إلى الوقوع أرضاً ، وعلى ظهره عصام . وحتى هذه

اللحظة لم يكن عصام يصدق أن « محمود » يمكنه حقاً أن يدفع برصاص سلاحه إليه .. فجمع قواه ، وقال لمحمود بلغة تحدٍ خائفة : إذن اضرب يامحمود ! . وإذا بمحمود يطلق رصاصاته باتجاه عصام .. فحاول عصام الهرب .. فإذا ببعض الرصاصات تندفع نحو الحائط .. حاول عصام أن يجرى بكل قوة نحو الباب فإذا بدفعة ثانية من الرصاص تتوجه نحو رجليه الاثنتين فتصيبهما ! ..

وقع عصام على الأرض ويصرخ بلا هوادة ، مع أن أصوات الرصاص لم يسمعها أحد ، بسبب وجود كاتم للصوت على فوهة السلاح . فإن محمود نادى بعد ذلك بجسارة منقطعة النظير ـ على نظمى أحد أعضاء التنظيم والذى كان موجوداً في المنزل . وطلب منه الذهاب بعصام إلى إحدى المستشفيات التى لهم علاقة بها .. لم يشعر عصام بشىء في هذا الوقت ولم يتعرف على شىء ، بل حتى المستشفى لم يعرفها أيضاً . وبعد أن خرج من المستشفى ذهبوا به إلى شقيقته آمال زوجة اللواء طيار بالمعاش عبد العزيز نصير والتى كانت تقيم في مصر الجديدة .

قضى عصام عندها نحو أسبوعين ، ثم اتجه ليقضى فترة مماثلة في مسكن شقيقته نوال زوجة المستشار ممدوح سالم في شارع الرشيد بمصر الجديدة أيضاً .

وحتى هذا الوقت كانت إحدى رجليه في الجبس ، بينما الأخرى مربوطة بشاش أبيض . ثم انتقل أحمد عصام إلى مسكنه في ٢٠ ش الشهيد إسحق يعقوب بمصر الجديدة .

ويروى أحمد عصام بقية القصة فيقول : أذكر أثناء إقامتى في بيت شقيقتى آمال ، وكان يزورنى إخوتى محمود ونظمى ومحيى عدلى (عضو بالتنظيم) كنت قد طلبت من نظمي أن يرسل لي الدكتور حمدى الموافى بمستشفى د . أبو العزايم لأننى قررت أن أعالج من إدمان الهيروين ، وفعلاً بدأ الدكتور حمدى يتردد علىّ

في بيت آمال قبل أن أذهب لمنزلى ويعالجنى من الإدمان والحمد الله تماثلت للشفاء ، بعد علاجى بالحقن والحبوب .

ويستكمل أحمد عصام : وفي إحدى المرات جاء إلىّ محيى عدلى وكان هذا في أغسطس ١٩٨٥ وقال لي إن الجماعة نفذت العملية الثانية . وقتلت البرت كرانش .. وقال : إنه هو لم يشترك في العملية .. وإنه سمع ذلك من نشرة الأخبار .. بعد ذلك يقول عصام إن شقيقه محمود قد جاء إليه في منزل شقيقته آمال واعتذر له عن الحادثة ، وقال له بعد أن يتم شفاؤك لنا كلام ثانٍ وأعطاه خمسمائة جنيهاً بمناسبة قرب العيد الكبير .

● ● ●

كل هذا كان يجرى دون أن تعلم شقيقتاه أو زوجاهما بحقيقة الموضوع .. وعندما ذهب عصام إلى منزله فقد تردد عليه غالبية أعضاء المنظمة وإن كان عدد كبير منهم يعرف الرواية الحقيقية وفقط محي عدلى هو الذى صدق ما قاله عصام من أنه سقط على عدة ألواح زجاجية ، وهو نفس ماذكره لشقيقتيه . وفي هذا حاول عصام الادعاء بأن ابناء عبد الناصر الثلاثة خالد وعبد الحكيم وعبد الحميد كانوا يعرفون حقيقة القصة .

● ● ●

لقد تذكر عصام القصة بكاملها ، بينما كان خبراء المعمل الجنائى بحضور المحامى العام وشقيقه وسيد ميشة ــ يقومون بمناقشة الأمر على الطبيعة داخل شقة محمود . وظل المحامى العام لعدة ساعات يحقق ويستجوب في أبعاد ما حدث . استمع إلى شهادة سامى ميشة ، وهو الذى قام بترميم الحائط من طلقات الرصاص التى أصابته . كما اعترف محمود نور الدين بالواقعة وقال إنه كان مقصوداً بها ارهاب شقيقه .

انتهى البيان العملى في شقة محمود نور الدين واقتيد المتهمون كل إلى سجنه ، بينما راح خبراء المعمل الجنائي يقومون بالمهمة التى أوكلت إليهم .

● ● ●

كان هذا واحداً من الفصول المآساوية الهامة التي طفت بنفسها على مجرى العلاقة بين الشقيقين محمود وعصام واللذين أسسا معاً منظمة ثورة مصر الناصرية عام ١٩٨٣ .

وقصة العلاقة بين عصام ومحمود ، هي قصة عادية للغاية لكل منهما اخلاقياته . نعم ، ولكل منهما سلوكه وأساليبه التى تبدو مختلفة عن الأخر . نعم . ولكن محمود عندما قرر أن يضم شقيقه إلى عضوية التنظيم لم يكن يخطر على باله أن عصام قد يصبح هو خائن التنظيم وخائن الشقيق . لقد اعتقد محمود نور الدين أن رضاء عصام وقبوله الانخراط في صفوف التنظيم يعنى ضمن ما يعنى أن شيئاً من الإصلاح قد ناله وهو الذى يعرفه جيداً ، ويعرف أخلاقياته ، ولكن توقعات محمود ذهبت جميعها مع الريح . لقد بدأ أحمد عصام لعبته السياسة بمفهوم بسيط قاله في التحقيق « الدين لله والوطن للجميع » ، كان هذا شعاره ، وقد ظل يرفعه في أية انتخابات طلابية كان يخوضها أثناء انتسابه إلى كلية الأداب بجامعة المنيا وذلك في الفترة من ١٩٧٠ ـــ ١٩٧٥ . وبعد أن تخرج عصام من الكلية التحق كضابط احتياط بالقوات المسلحة المصرية في النصف الثاني من عام ١٩٧٥ وظل بموقعه هذا حتى يوليو ١٩٧٨ . وقد قضى فترة خدمته الأولى في سلاح المخابرات الحربية والاستطلاع بالكتيبة التاسعة خلف خطوط العدو . ثم في منطقة منقباد بمحافظة أسيوط بعد ذلك . أما محمود (من مواليد الإسكندرية في ١٩٤٠/١/٢٦) فإنه يختلف عنه جذرياً فهو شخص مبدئى قوى الشخصية عفيف النفس عندما سافر إلى لندن في عام ١٩٦٤ كان حاصلاً فقط على شهادة الثانوية العامة . وقد التحق

بالعمل في إدارة التمثيل التجارى ، ثم نقل للعمل بالمكتب التجارى الملحق بسفارة مصر في لندن . وقد أتم محمود دراسته في لندن ، وحصل هناك على بكالوريوس الاقتصاد من جامعة لندن . ثم نقل إلى مبنى السفارة المصرية بلندن والقريب من مبنى المكتب التجارى الذى كان يعمل به محمود .. وقد أوكل إليه العمل بمكتب المخابرات العامة بالسفارة المصرية ، وكان عمله مختصاً بمتابعة النشاط الصهيوني في بريطانيا .

وقد قام محمود أثناء عمله بمكتب المخابرات في لندن بإبطال مفعول خطاب ناسف كان قد أرسله الموساد إلى الدبلوماسى المصرى فكرى العزازى بالسفارة المصرية بلندن عام ١٩٧٢ ، وذلك كرد اسرائيلى على عملية اغتيال المستشار الزراعى للسفارة الإسرائيلية بلندن فقد أرسل الخطاب من بنك انجليزى إلى العزازى مع أن العزازى لم تكن له أية معاملة مع هذا البنك تحديداً . شك محمود نور الدين في الأمر ، واكتشف بالفعل أنها قنبلة ناسفة وأبطل مفعولها .

وفي حرب أكتوبر ١٩٧٣ قام محمود نور الدين بجمع معلومات عن استدعاء الاحتياطى الإسرائيلى الموجودين في بريطانيا . وقد استطاع جمع معلومات عن وصول ثلاث طائرات جامبو قادمة من الولايات المتحدة ، وتحمل العسكريين الإسرائيلين وعدداً أخر من الطيارين .. وقد اقترح محمود نور الدين القيام بعمل عسكرى للقضاء عليهم ، خاصة وأن الحرب كانت قد بدأت ، إلا أن ضيق الإمكانيات كما قالت التقارير وقف حائلاً أمام إتمام العملية .

لقد كان محمود نور الدين مثلاً رائعاً في أدائه لعمله . وقال عنه رؤساؤه إنه يتمتع بحس وطنى جياش وأنه مستعد للتضحية بروحه في أي وقت من أجل وطنه ..

وقد استمر محمود يؤدى عمله هذا على أكمل وجه .. حتى إذا ما جاءت الصدمة بقيام السادات بزيارة القدس المحتلة ، لم يجد محمود نور الدين من خيار

أمامه سوى أن يتقدم باستقالته من عمله بجهاز المخابرات ، ولكن الاستقالة رفضت ، خصوصاً بعد توارد الأنباء حول عزم محمود إصدار مجلة تحمل اسم « ٢٣ يوليو » ، إلا أن محمود كان مصمماً على الاستمرار في مشروعه . وبالفعل صدرت المجلة التى ترأس محمود رئاسة مجلس إدارتها . وكان يكتب مقالاً أسبوعياً بعنوان « الحقيقة فقط » ، بينما ترأس محمود السعدنى رئاسة تحريرها بعد ذلك .

في تلك الأوقات كانت مشكلات عائلية عديدة قد واجهت محمود ، من بينها انفصاله عن زوجته السيدة نادية حسن سرى وبناته الثلاث منها ، مما أثر بدوره على طبيعة عمله ، مما دعاه أنذاك إلى التنقل بين لندن واستوكهولم لأسباب عائلية ، ولم تستمر مجلة ٢٣ يوليو لأكثر من عام تقريباً ، بعد أن أفلست ، وكانت قد صدرت بمساهمة خليجية وبأموال محمود الخاصة ، حيث كان يعمل في سمسرة العقارات في لندن . وقد أكد محمود نور الدين في التحقيقات أنه رفض عروضاً تقدم بها محمود السعدني لطلب أموال من كل من ليبيا وسوريا والعراق ، وأصر محمود نور الدين على موقفه حتى توقف إصدار المجلة . استمر محمود نور الدين في لندن .

وفي إحدى المرات كان الرئيس مبارك يمر بالعاصمة البريطانية بعد زيارة قام بها إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل فترة حكمه في الثمانينات وطلب محمود نور الدين من السفير المصرى بلندن « حسن أبو سعده » أن يرفع إلى الرئيس مبارك أثناء مروره طلباً كان قد تقدم به لإصدار مجلة مصرية في لندن يسمح لها بالدخول في مصر .. وتلقي محمود نور الدين وعداً بالموافقة ، لكنه لم يتلق الموافقة النهائية .

وبالرغم من المحاولات التى أجراها في القاهرة بقصد الموافقة على إصدار المجلة ، فإن كل ذلك باء بالفشل .

● ● ●

وقرر محمود نور الدين العودة إلى القاهرة .. وعندما عاد بصفة نهائية في أوائل ١٩٨٤ ، كانت الفكرة قد اختمرت في ذهنه : إسرائيل تفرض شروطها على العرب ــ تعربد في المنطقة دونما رادع ــ عناصر الموساد بدأت تزحف على القاهرة تحت ستار أنهم سياح لا علاقة لهم بشيء .. محمود وطني غيور ــ فكَّر .. وأعاد التفكير ــ ثم قرر أن الحل يجب أن يتم من خلال الكفاح المسلح ، ولكن فقط ضد عملاء الموساد .. خصوصاً وأنه كان يعلم أن إسرائيل تمارس ــ عبر الولايات المتحدة ــ ضغوطاً شديدة على مصر من أجل دفعها نحو الرضوخ للشروط الإسرائيلية ، وتحديد ما يخص عملية التطبيع منها ــ ربما يكون الحس الأمني لمحمود نور الدين قد شكل دافعاً قوياً أمام هذا التفكير الجاد الذى طرأ على ذهنه ، وهو ذاته الذى دفعه إلى المقاومة بالقوة ــ لأن ذلك على حد قوله معناه أن « البلد بها رجالة » ! .

● ● ●

هذا عن محمود ، أما عصام فإنه وصولى ، وسجل حياته يؤكد على مصداقية القول ..

لقد عمل أحمد عصام لفترة من الوقت سائقاً للتاكسى على سيارته الملاكى ! . وفي إحدى المرات كان عصام يقوم بتوصيل شخصين من التحرير إلى منطقة دار السلام . تحادث معهما وتحادثا معه ، شعر بأنهما من المعجبين بشخصية خالد محيى الدين زعيم حزب التجمع ، بدأ يتحدث بوطنية جياشه وينتقد كثيراً من الأوضاع ... شعر الاثنان أن عصام لديه استعداد كامل لتقبل الأفكار اليسارية ، وأنه شخص جرىء لا يخاف ، فاتجاه في الإنضمام إلى الحزب الشيوعى ، وافق على الفور ، أعطاهما موعداً على مقهى جروبي بوسط العاصمة ، وابلغ المخابرات عنهما ! ..

● ● ●

كان هذا طبيعاً لمعرفة أبعاد العلاقة بين محمود وعصام ، بين قائد التنظيم الذي عجزت كل الأجهزة عن الوصول إليه أكثر من ثلاث سنوات وبين الشقيق الذى أبلغ عن التنظيم وحدد شخصياته ، وفي المقدمة شقيقه أمام فرانك ويزنر السفير الأمريكي ورجال المخابرات المركزية ، دونما خجل أو حياء .

لقد باع هو نفسه بعض أسلحة التنظيم إلى تاجر السلاح محمود يوسف على أمل أن يعثر من خلف عملية البيع على مبلغ محترم يسد به جزءاً من نهمه ، ولكنه وحتى ساعة دخوله السجن لم يحصل على ثمن هذا السلاح ، بعد أن راوغه تاجر السلاح الذى أصبح شريكاً في القضية فيما بعد .

وقطعاً لم يكن لدى محمود الشقيق الأكبر أي علم حتى ذلك الوقت ، ببيع شقيقه عصام ــ بتصرف فردى ! ــ لبعض اسلحة المنظمة ولو علم ذلك لأتخذ موقفاً قوياً من شقيقه .. لأنه يعتبر أن مثل هذه الأمور ترقى إلى درجة الخيانة .

وربما يكون الخوف أن يكتشف محمود هذا الأمر ، أحد الأسباب الهامة التى دفعت أحمد عصام إلى الإبلاغ عن التنظيم للنجاة بنفسه من الشقيق ومن خطر كشف الجهات الأمنية للتنظيم ذاته ، خصوصاً بعد أن وسع التنظيم من عملياته لتشمل الأمريكان أيضاً .

لقد اختار أحمد عصام أن يبلغ السفارة الأمريكية بكل ما لديه من معلومات ، لأنه اعتقد ــ عن صح أو خطأ ــ إن للأمريكان يداً طولى في مصر .. وأنهم قادرون على حمايته من الجميع وأنهم وحدهم الذين قد يكفلون له حياة مرفهة في بلادهم إذا ما حكم القضاء ببراءته .

ولم يساور ذهنه شك ــ ولو مرة واحدة . أن اسمه قد يدرج ضمن قائمة الاتهام .. بل وأن يأتى في المرتبة الثالثة بعد محمود نور الدين وخالد عبد الناصر .. وأن يقف على شفا حفرة من النار ، ويبقى مصيره مرهوناً في مهب الريح ! ..

لقد أعلن النائب العام المصرى محمد عبد العزيز الجندى قرار الاتهام في يوم الخميس ١٩٨٨/٢/١٨ . وعرف أحمد عصام بالقرار في ذات اليوم . وانهار وظل يصرخ كالمجنون ويهذى بكلام غير مفهوم .. وضمن ما قاله : لا أنا لن اسكت .. سأحكى كل شيء في المحكمة لقد خدعت من الأمريكان ومن المصريين !!

وضمن ما قيل أن أحمد عصام أصيب بانهيار عصبى وإغماءات طوال ذلك اليوم .. وظل في ثورته الغاضبة لأيام عديدة .. ولا مجيب .. فقد سبق السيف العزل وانتهى كل شيء .. وأصبح مصير خائن التنظيم كمصير الأخرين .. قد يبرأ ، وقد يحكم عليه ، وعليه أن يعيش بذلك أيا ما عصيبة بعد أن خسر اشياء عديدة أولها ضميره الوطنى ، وشقيقه الأكبر ! .

● ● ●



□ الفصـــل الثالث □

خالد عبد الناصر .. بداية الرحلة

عندما واجه رئيس النيابة أحمد عصام الدين بسؤال مهم عن رأيه فيما قرره شقيقه محمود نور الدين من أن علاقته بخالد عبد الناصر لا تخرج عن إطار علاقة الصداقة به .. انتفض أحمد عصام وقال بصوت مرتفع « ده غباء منه ـــ وبيقى محمود عايز يلبّس القضية لوحده » .

وخالد عبد الناصر اسم يعرفه الجميع ، فهو أكبر ابناء عبد الناصر الذكور ـــ وأحبهم إلى قلبه ـــ وقد طبعت في ذاكرة الناس هذه الصورة الشهيره لعبد الناصر الستينات يسير وجواره خالد الابن الأصغر الذى كان يرتدى البدلة ووالده ممسكاً به ..

كان أحب شيء إلى ناصر أن ينادى له « يا أبو خالد » وكان خالد الابن متقد الذهن ، ذكياً ، لماحاً ثائراً في داخله ثورة الأب . شهد إلى جوار والده لحظات التاريخ الحرجة ، عاش فترات الانتصار ، وعاش بعض فترات الانكسار .. عندما قامت الثورة لم يكن عمره قد زاد عن العامين . نما مع الثورة وترعرع معها .. وعندما ذهب إلى المدرسة الابتدائية ، وخاض مراحل التعليم الأولى لم يكن يشعر

إطلاقاً أنه ابن رئيس مصر .. فهكذا أفهمه عبد الناصر وهكذا طلب منه هو وإخوته . كان يرى في والده المثل والقدوة ــ ولهذا تأثر به وبأفكاره ... ليس بحكم أنه ابن زعيم مصر وقائدها فحسب ، ولكن بحكم أنه واحد من هذا الجيل الذى تأثر بالتجربة طيلة ١٨ عاماً . لقد سمع صوت والده في الخمسينات وهو يقول : لو تحركت الثورة المضادة لارتديت الكاكي ونزلت أدافع عن الثورة بدمي .. كان يومها خالد صغيراً .. لكنه عندما كبر ، عرف معنى أن تتحرك الثورة المضادة ومعنى التضحية في سبيل مبادىء الشعب .. ولهذا دخل المعترك السياسي في أوائل الثمانينات وإن لم يلتزم بحزب سياسي معين .

التحق خالد بكلية الهندسة ، فهذه هي أمنيته ، وتخرج منها في عام ١٩٧١ .. كان الوالد قد رحل ولم ير اللحظة السعيدة التى كان ينتظرها طوال حياته . أخيراً تخرج الابن وأصبح رجلاً .. ولكن الرياح في مصر لم تكن تنذر بخير في تلك الأيام .. لقد جرى اعتقال بعض من أسماهم السادات بمراكز القوى ، ودفع بهم إلى غياهب السجون ، لأنه يعلم التزامهم بمبادىء الثورة وبرنامجها .. وهو مقبل على مرحلة جديدة ويريد صياغة التاريخ على أسس مختلفة .

كان خالد منذ البداية طموحاً .. أمله أن يدرس في الجامعة ويصبح أستاذاً .. فسافر إلى لندن بعد ذلك وحصل على الدكتوراه في الهندسة من الكلية الملكية للعلوم والتكنولوجيا عام ١٩٧٩ .

في ذلك الوقت وقبله كانت الحملة قد اشتدت على عبد الناصر من كل اتجاه ، شارك فيها اليمين والوسط ، وحتى بعض فصائل اليسار الماركسى وأصبح زعيم مصر الوطنى ديكتاتوراً وسفاحاً ورجلاً مهزوماً حاقداً على الجميع .. أما انجازاته الوطنية ، فلم تكن إلا حلقة من حلقات التخريب المتعمد للاقتصاد المصرى ولعلاقات مصر مع الأخرين .. بل حتى تأميم قناة السويس وبناء السد العالى ، كان ذلك ليس إلاّ مغامرات لم يكن هناك داعٍ لها من الأساس .

أقلام كثيرة تحدثت .. والسموم انطلقت من كل اتجاه وكان شعب مصر في غالبيته يتفرج على هذه المهزلة المسرحية ، ولكنه قطعاً لم يصدقها .. ومن هنا أصبح ناصر خالداً في أذهان الجميع .. وكأن الحملات التى كانت توجه ضده ما هي إلا أوسمة ونياشين على صحة ومصداقية خطة السياسى والفكرى .

وقد رافق هذا الوضع تردٍ في كل ظروف الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مرحلة السبعينات .

وعمل السادات على تخريب كل شيء .. وكان جزءاً من الحملة وليس بعيداً عنها ..

ومع ازدياد الحملة المسعورة .. التقى خالد عبد الناصر بأنور السادات في أبريل ١٩٧٥ .. وكان محور الحوار هو تلك الحملة التى يقوم بها البعض ضد تاريخ عبد الناصر وأسرته وذمته المالية .. التى حاول البعض التشكيك فيها .. وفي ذلك اللقاء واجه خالد عبد الناصر أنور السادات بصراحة .. وحمله المسئولية الكاملة .

كان لقاءً عاصفاً .. استمر لنحو ثلث الساعة .. غضب السادات من خالد .. وكان خالد في شدة غضبه من السادات .. ولهذا فقد كان ذلك هو اللقاء الأخير .

حاول السادات ــ فيما بعد دعوة أسرة عبد الناصر ، وخالد تحديداً ، إلى حفلات خاصة كان يقيمها في منزله .. إلاّ أن أسرة عبد الناصر كانت قد اتخذت في قرارة ذاتها ، موقفاً واضحاً من السادات .

وحتى ذلك الوقت ، كانت تراوح أسرة عبد الناصر وجهتا نظر حول المشاركة في العمل السياسي من عدمه .

وجهة نظر كانت تقودها هدى عبد الناصر وزوجها حاتم صادق تقول برفض العمل السياسي ، حفاظاً على أشياء كثيرة من بينها اسم الزعيم الراحل وسيرته .

وكان يؤيد وجهة النظر تلك الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل .. وكانت السيدة تحية عبد الناصر زوجة الزعيم الراحل تقف مع هذا الموقف أيضاً .

أما وجهة النظر الأخرى فقد كان يقودها خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم ، أنجال الزعيم الراحل .. وكانوا يرون بأنهم مواطنون مصريون قبل أن يكونوا أنجالاً لعبد الناصر ، وأن لهم الحق في ممارسة العمل السياسي بالشكل الذي يريدون . وأن ذلك لا يضر في شيء بسيرة والدهم ، بل العكس فلو أن عبد الناصر كان حياً لا تفق مع وجهة النظر القائلة بحق أبنائه في ممارسة العمل السياسي .

ورغم أن كلا من عبد الحميد وعبد الحكيم لم يكونا راغبين في ممارسة هذا العمل .. إلا أنهما لم يقفا ضد خالد عبد الناصر عندما قرر أن يخطب في نقابة المحامين المصرية .. عام ١٩٨٥ ، وفى ذكرى الاحتفال بميلاد الزعيم الراحل .

لقد وقف خالد عبد الناصر يخطب قرابة الساعة وسط هتافات هادرة من جمهور الحاضرين ، وكان الابن شبيهاً بالأب حتى في وقفته وإمساكه بالميكرفون ..

لم تكن مثل هذه المسائل الصغيرة تعنى شيئاً في نظر كثير من المثقفين ، لكنها كانت تعنى أشياء وأشياء في أذهان العامة من الشعب ، هؤلاء الذين دافعت عنهم الثورة ودافعوا عنها ، ارتبطوا معها بتاريخ نضالى متلاحم ، وهم أحوج بعد الردة والنكسه لمن يذكرهم ولو بصورة الزعيم .

وفي الخطاب تحدث خالد عبد الناصر كثيراً عن عبد الناصر الأب ـــ لكن أبرز ما أكد عليه هو مفهوم عبد الناصر تجاه الصراع العربي ـــ الإسرائيلي ورفضه للمخططات الإمبريالية في المنطقة .. وكان ضمن ما أكد عليه خالد في خطابه موقف عبد الناصر من العمال والفلاحين وانحيازه لمجموع الشعب العامل ، وأسهب في التحدث عن معركة والده ومعركة مصر ضد الرجعية في الداخل ممثلة في الإقطاع وقوى الاحتكار الرأسمالية .

كان الخطاب في نظر الكثيرين قوياً ، متقداً بالحماس صفقت له الجماهير ، وكان هذا إيذاناً بولادة شيء كبير . في ذلك الاحتفال قام خالد محيى الدين أمين عام حزب التجمع بتسليم خالد عبد الناصر وساماً رفيع المستوى من على ناصر محمد الرئيس السابق لجمهورية اليمن الديمقراطية .

ويومها ، لم ينسى خالد محيى الدين أن يقول أن هذا الوسام قد جاء إلى عبد الناصر من أكثر الدول فقراً ، وهذا يعطى إجابة واضحة على السؤال المطروح : عبد الناصر كان يقف مع من ؟ !!

وإذا كان ذلك الاحتفال هو بداية انخراط خالد في اللعبة السياسية حينذاك ، فقد كان في الجانب الأخر هو بداية عودة مجموعة ١٥ مايو إلى المسرح السياسى من جديد بعد الإفراج عنهم في أحزيات الفترة الساداتية ، برغم أن العزل السياسى كان لا يزال سارى المفعول بالنسبة لهم .

كانت تلك هي البداية الحقيقية كما قلت . لكن ذلك لم يكن يعنى أن السياسة لعبة طارئة بالنسبة لخالد ، إنها في دمه منذ الصغر ، ولكن بلورة هذا الدور هو الجديد في الأمر .

كان الحديث يومها يدور حول تأسيس حزب للناصريين . قام كمال أحمد بتأسيس حزب ، وبعد ذلك قام فريد عبد الكريم بجمع مئات الألوف من استمارات العضوية في كل مصر استعداداً للتقدم بطلب تأسيس جديد في حال عدم الموافقة على تأسيس الحزب الأول .

وفى كلتا الحالتين لم ينضم خالد ...

كان خالد شخصية هادئة .. لا ينطق إلا بما يراه ضرورياً ولا ينفعل بسهولة .. وهو في هذا عكس شقيقته هدى التى لا تستطيع كتم انفعالاتها أثناء النقاش ، خصوصاً إذا ما تطرق هذا النقاش إلى الحقبة الناصرية .

وبرغم هدوء خالد فإنه يحمل ثورة جياشة في عروقه .. لقد قيل إنه قام بحرق السيارة التى كان يركبها والده في أخريات حياته عندما علم بطلب السادات الغريب بإحضار السيارة من منزل أسرة عبد الناصر ، ليستخدمها في تنقلاته .. قام خالد بقيادة السيارة إلى جبال الأهرامات وسكب عليها الوقود وأحرقها ، قائلاً إن هذه السيارة ركبها عبد الناصر ولن يركبها أحد غيره !

وعندما تردد أن حكماً سوف يصدر بنقل رفات عبد الناصر من مسجده الحالى ، بعد أن قيل أن إحدى الجمعيات الخيرية أقامت دعوى بملكيتها للمنطقة .. ثار خالد عبد الناصر وأبلغ مسئولاً كبيراً في القيادة المصرية إنه سوف يقيم إلى جوار رفات والده ، وإن أى فرد سيقترب منه ، فإنه لن يجد إلاّ الرصاص يرد به عليه ، وكان هذا الطلب العجيب قد جرى في أوائل الثمانينات . وفي عهد الرئيس مبارك .

وقد أحبط خالد يومها هذا المخطط ، تماماً كما أحبطته الملايين التى تعاطفت ورفضت وتحدت ، ولم تنسى عبد الناصر برغم حقبة الردة ودورها التخريبي .

لقد كان خالد يستمد قوته من قوة والده ، الذى رحل في سبتمبر ١٩٧٠ .. عندما ذهب خالد في زيارة عادية إلى لبنان أيام كان طالباً في أحزيات عهد عبد الناصر في الستينات ، وكان يومها ضمن الفريق المصرى للسلة الذى كان مقرراً له أن يلعب في لبنان وما أن علمت الجماهير اللبنانية أن خالداً ضمن هذا الفريق ، حتى راحت تزحف بمئات الألوف إلى الفندق الذى يقيم فيه فتحاصره وتحمله على الأعناق .

وفي عام ١٩٧٤ احتشد نحو ١/٤ مليون مواطن في بلدة « قب الياس » بمنطقة البقاع اللبنانية ليشاهدوا خالد عبد الناصر وهو يرفع الستار عن تمثال ضخم لعبد الناصر نسفه عملاء إسرائيل أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان في أوائل الثمانينات .

وبينما كان عبد الناصر يجد التكريم خارج وطنه ؛ فإن عائلته شعرت للأسف ـــ أن كبار المسئولين في مصر كانوا جاحدين لتضحيات عبد الناصر ومواقفه .

لكن ذلك لم يكن يهم كثيراً ، ويكفيهم تلك المشاعر الجياشة من الشعب بأسره .

ويكفيهم أن والدهم كان يمثل جزءاً من نسيج هذا الشعب وهمومه ، مات فقيراً وعاش فقيراً .

إن هناك واقعة تروى على لسان محمد أحمد السكرتير الخاص لعبد الناصر يقول فيها أن شخصاً يسمى حامد ، كان يقوم بتفصيل الأحذية لعبد الناصر ، وأن ناصر أعطاه قبيل رحيله بقليل ـــ حذاءه ، كي يركب له نصف نعل ، وعندما كان عبد الناصر يسأل : ولماذا ؟ . كان يرد أن هذا الحذاء يريحنى ! . لكن عبد الناصر انتقل إلى جوار ربه ولم يرتد هذا الحذاء ثانية ، والذي ظل ذكرى غالية لأسرته .

لقد ربى عبد الناصر أبناءه على التواضع ، كان يدفعهم إلى الذهاب إلى المدارس بأتوبيسات المدارس ، لا فارق بينهم وبين أبناء الآخرين . لكن إجراءات الأمن كانت تحول دوماً أمام الكثير من بساطات عبد الناصر . كان أولاده يشترون ملابسهم من محلات عمر أفندى بوصفها قطاع عام . وكان عبد الناصر يرتدى ملابسه منه أيضاً ... وكل هذا قد أثر في أنجاله منذ الصغر .. وصاغ توجهاتهم الفكرية .

• • •

في يوليو ١٩٨٥ ، كان هناك احتفال اقامته منظمة التضامن الأفرو أسيوية في ذكرى ثورة يوليو الناصرية .

الاحتفال أقيم بمبنى جامعة الدول العربية ، وحضره لفيف من الشخصيات السياسية الهامة له من بينها هايل عبد الحميد (أبو الهول) عضو اللجنة المركزية لحركة فتح . كما حضر الاحتفال خالد عبد الناصر وتحدث فيه .

كان الموضوع الساخن يومها الاتفاق الأردني ـــ الفلسطيني ، وما تردد بصدده . تحدث خالد عبد الناصر هاجم الاتفاق ، وهاجم أية مشروعات سلامية قد تعقد بين العرب وإسرائيل بما في ذلك عقد مؤتمر دولي .. وقالها بصوت أجش .. « إن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » . كانت شعارات القاعة متجاوبة معه . وكانت الهتافات تنطلق من كل أركانها مؤيدة للشعارات التى يطرحها خالد .

ولكن حتى ذلك الوقت .. لم ينظر الجميع إلى خالد على أنه نواة حقيقية لزعيم سياسى ، ليس لقصور في شخصيته أو غير ذلك ، ولكن لاعتقاد يقينى كان لدى الكثيرين يقول بأن خالد لا يرغب في ممارسة العمل السياسى في هذه المرحلة . وأن حضوره بعض الاحتفالات الخاصة بثورة يوليو هي عمل موسمى ليس أكثر .

● ● ●

في عام ١٩٨٦ ، أطلق الجندى المصرى سليمان خاطر الرصاص على بعض أفراد إسرائيليين في منطقة رفح ، بعد أن رفضوا المثول لأوامره ، وبصقوا على العلم المصرى .

وأصبحت قضية سليمان خاطر قضية سياسية . إسرائيل تطالب بإعدامه . والرأى العام في مصر والعالم العربي كان يندد حتى بإحالته للمحاكمة على أساس أنه لم يفعل شيئاً سوى تنفيذ الأوامر التى صدرت إليه بإطلاق الرصاص على أي إسرائيلي يتعدى الحدود .

وتأثر خالد عبد الناصر كما تأثر غيره بواقع ماجرى ، وثار كما ثار كثيرون لصالح الجندى سليمان خاطر .

وكانت جامعة القاهرة من أهم الجامعات التى تصدت لهذا الحدث .. ولهذا اختار زعماء المعارضة القيام بمظاهرة حاشدة إلى السفارة الإسرائيلية . وضمن من شارك في ذلك ابن الزعيم الراحل خالد عبد الناصر .. المدرس المساعد بكلية الهندسة جامعة القاهرة .

كان خبر عزم خالد عبد الناصر على المشاركة في المظاهرة ، معروفاً للجميع قبل الوقت المحدد بأيام .. ولهذا راحت الضغوط تمارس ضده في كل اتجاه .

أرسل إليه أحمد رشدى وكان وزيراً للداخلية أنذاك ــ بمندوب خاص يرجوه عدم المشاركة في المظاهرة ، خوفاً من إطلاق الرصاص عليه من أية جهة . ولما لم يستجب خالد فقد تحدث معه أحمد رشدى بالتليفون ورجاه عدم المشاركة ، ولكن خالد رد عليه سأسير في المظاهرة حتى ولو حددتم بعد ذلك إقامتى .

ولما فشل أحمد رشدى في اثناء خالد عن قراره ، كانت هناك جهة أخرى تمارس الضغوط بكل كثافة . فقد استدعاه د . حلمى نمر رئيس الجامعة وقتها . ورجاه ، لكن خالد رفض ، طلب منه أن تتم المظاهرة داخل الجامعة .. لكن خالد رفض وقال أنا دكتور داخل الجامعة ولكنى خارج الجامعة أنا مثلى مثلهم جميعاً .. ولهذا فأنا من أنصار أن تكون المظاهرة خارج الحرم الجامعي .

بعد أن فشل حلمى نمر في إثنائه عن قراره ، قال له بلغة حادة : وهل كان من الممكن أن تحرض على التظاهر في عهد عبد الناصر .. فرد عليه خالد بهدوء أعصاب : لو أن عبد الناصر هو الذى وقع الاتفاق مع إسرائيل لتظاهرت ضده !

● ● ●

صمم خالد عبد الناصر . ولكن المظاهرة حوصرت ، وانقضت بعد برهة من الوقت ، وبدأت حملة شديدة في الصحافة المصرية ضد خالد الابن ، الذي يريد أن يخلق من نفسه زعيماً ، متناسين أن هذا حق من حقوقه وأن كونه ابنا لزعيم مصر الراحل لا يعني أن يكف الفتى عن ممارسة أي دور سياسي في البلاد . ولكن الحملة انتهت بعد أن وجدت رد فعل عكسيّاً من الجميع ..

ولكن الذى لم ينته هذه المدة سريعاً ، هو موقف خالد عبد الناصر .. الذى راحت قوى المعارضة تلتف حوله من كل الاتجاهات . وكل حزب يرغب في ضمه إلى صفوفه ، أو يطلب تأييده في حملته الانتخابية . ولكن خالد ارتأى أن الوقت لم يحن بعد .. وأن عليه الانتظار .

وظل دور خالد مستمراً ، يشارك في الاحتفالات ويحضر الندوات ، وحتى عندما وقع العدوان الأمريكي على ليبيا في أبريل ١٩٨٦ ، ذهب إلى القذافى ليعلن التضامن مع بلد عربى ضد العدوان الأمريكى .

وفي سبتمبر عام ١٩٨٧ ، وجهت الدعوى إلى عدد من الصحفيين والمفكرين المصريين لحضور احتفالات مرور ١/٤ قرن على الثورة اليمنية . وقد عرفنا منذ البداية أن خالد عبد الناصر سوف يرافقنا في هذه الرحلة . وعندما حاولت الإمساك بسماعة التليفون والتحادث معه عرفت أن خالد غير موجود في القاهرة ، وإنه قد سافر إلى لندن .

قلت في نفسي : ربما يلتقى بنا في صنعاء . ولكنى قبل أن أغادر إلى صنعاء التقيت بالأستاذ مكرم محمد أحمد رئيس تحرير مجلة المصور التى أعمل بها .. كنت قد اعددت حديثاً مع خالد عبد الناصر لينشر في ٢٨ سبتمبر ١٩٨٧ ، ولما سألته عن مصير الحديث .. قال لي الأستاذ مكرم أن خالد متورط في قضية ثورة مصر .

منذ يومين تقريباً كانت جريدة الأهرام قد نشرت خبراً صغيراً ، يقول إن أجهزة الأمن قد وضعت يدها على تنظيم اسمته « إرهابي» ارتكب عدة جرائم ضد بعض الإسرائيليين والأمريكيين مؤخراً وأن هذا التنظيم يتزعمه نور الدين السيد ..

وأضافت أن قراراً من النائب العام صدر بحظر النشر في هذه القضية الجميع في مصر أدرك يومها أن هذا التنظيم هو « ثورة مصر » التى كانت حديث الشارع منذ قيامها بأول عملية في ١٩٨٤/٦/١٥ ضد رجل الموساد الإسرائيلي زيفى كيدار . ولكن قرار حظر النشر يومها جعل الكل في حيرة حول حقيقة ما يتردد عن دور خالد عبد الناصر أو غيره من أعضاء التنظيم .

وذهبنا إلى صنعاء وانتظرنا وصول خالد عبد الناصر .. ولكنه لم يصل .. فأيقن الجميع أن في الأمر شيئاً ! .

• • •

فـي الطريــــق إلـى العــــــودة

في عام ١٩٨٧ ، تم افتتاح مطار جديد بالقاهرة ـــ هو جزء من المطار القديم ، المسافة بينهما ليست بعيدة . ولكن الفارق بينهما كبير ... خصص المطار الجديد لرحلات الدول الخليجية والأوروبية . وهو مضخرة يحق للمصريين الاعتزاز بها .

نزل من سيارته ، ونزل شقيقه عبد الحكيم من الجانب الآخر ، فقد كان عبد الحكيم يتولى القيادة مع أن خالد دائماً هو الذى يقود سيارته ، ولكن هذه المرة فإن وجهة خالد ليست إلى حى من أحياء القاهرة القديمة أو الجديدة ، وإنما إلى حيث خارج البلاد .

تقدم الشاب الأسمر الفارع الطول . أمسك بجواز سفره الدبلوماسي بعد أن ودع شقيقه ، لقد فضل أن يختم جوازه بنفسه . ضابط كبير موجود في إحدى المقصورات الجانبية . قرأ الاسم خالد جمال عبد الناصر مواليد القاهرة ١٩٤٩/١٢/٢٦ ـــ ٥٩ ش الثورة أرض الجولف ـــ مصر الجديدة ، جواز سفر دبلوماسي رقم ٣٨٥٤٥ .

رفع الضابط وجهه وابتسم لخالد ، وقال بلهفة : أهلاً وسهلاً ياأفندم . ولكنه وبعد دقائق معدودة طلب منه الإنتظار لبعض الوقت . تلك هي المرة الأولى التي يطلب منه الانتظار فيها .. انتظر خالد لبعض الوقت ، بينما حمل الضابط جواز السفر إلى أحد الأماكن الجانبية . بعد برهة من الوقت عاد ليقول متأسفين ياأفندم اتفضل مع ألف سلامة .

• • •

كان الموعد ١٩٨٧/٩/١٠

وكانت الوجهة .. لندن .. حيث ذكريات الدراسة .

لم يكن خالد عبد الناصر غريباً عن لندن ، إن له فيها أصدقاء عديدين . وعندما يصل إلى هناك دائماً ما يحاط بالرعاية من الجميع ، وحتى الحكومة البريطانية كانت توفر دوماً الحماية الأمنية اللازمة له . كان خالد يسكن شقة في أحد شوارع العاصمة البريطانية فهو لا يفضل سكنى الفنادق . شقة يقتنيها لبعض الوقت ثم سرعان ما يتركها .. فهو ليس له سكن دائم في بريطانيا ..

بين الحين والأخر كان يذهب إلى شقيقته منى عبد الناصر وزوجها أشرف مروان عندما يكونا متواجدين بالعاصمة البريطانية مقرهما الدائم . قال خالد لأصدقائه في بداية الأمر إنه جاء إلى لندن هذه المرة للاستجمام وإجراء بعض الفحوصات الطبية ، لم يناقشه أحد في شيء ، لأنه ببساطة لم يكن هناك أحد يعلم شيئاً ثم إن خالد ليس بغريب على لندن .

• • •

وفي ١٩٨٧/٩/١٨ ، كانت المفاجأة . لقد نشرت الصحافة المصرية خبراً صغيراً ، يؤكد القبض على التنظيم الذى قام بعمليات ضد الإسرائيليين والأمريكيين مؤخراً وأن هذا التنظيم يتزعمه نور الدين السيد .

والمفاجأة هنا أن خالد صديق صميم لمحمود .. ولكن حتى هذا الوقت لم يكن هناك ما يضير . ومع مرور الأيام ، يكثر الكلام ، وتتعدد الروايات .

● ● ●

في ٢٨ سبتمبر من كل عام ، تحيي أسرة عبد الناصر وبعض أصدقائه والمنتمين إلى فكره ذكراه السنوية ، في الصباح حيث قبر الزعيم بجوار جامعة عين شمس ، وفي المساء حيث منزله ، بمنشية البكرى .

وهذا العام يصادف مرور الذكرى السابعة عشرة لرحيل القائد والمعلم . اصطف جميع أفراد الأسرة يتلقون العزاء . كان هناك عبد الحكيم وعبد الحميد وهدى ومنى أنجال عبد الناصر ، وكانت هناك السيدة تحية كاظم زوجة الزعيم الراحل . وكان هناك أشرف مروان زوج منى ، وحاتم صادق زوج هدى . ولكن : أين خالد عبد الناصر ؟ .. إنه سؤال طرحه الحاضرون على أنفسهم ، ولأنهم سمعوا بعض أقاويل تتردد هنا أو هناك فقد أيقنوا أن في الأمر شيئاً ..

كانت تلك هي المرة الأولى التى يتغيب فيها خالد عبد الناصر عبر ذكرى وفاة والده .. لكن الظروف كانت أقوى منه .

لم يتمكن خالد عبد الناصر من العودة إلى الوطن ، بعد الشائعات التى بدأت تتردد في كل مكان ، عن أن له دوراً واضحاً في تأسيس ثورة مصر التى تخصصت في قتل عناصر الاستخبارات الإسرائيلية والأمريكية .

ومنذ إعلان نبأ القبض على المتهمين في قضية ثورة مصر ، وبعثرة الحديث حول دور ما لخالد عبد الناصر في هذه القضية . بدأت المعلومات ترد من كل اتجاه حول عزم الموساد اغتيال خالد عبد الناصر . الحكومة المصرية من ناحيتها أبلغت الحكومة البريطانية منذ البداية بضرورة تكثيف الحراسة على خالد عبد الناصر في لندن .

فقام جهاز البوليس البريطانى « اسكوتلنديارد » بتخصيص بعض أفراد المجموعة ١٥ ، ذات الكفاءة الأمنية المرتفعة لتولى هذه المهمة .

هنا شعر الجميع أن خالد في خطر ، ومع توارد الأنباء . بدأت العيون تتجه إلى لندن ، تسأل عن خالد وأخباره ، والظروف الأمنية التى يعيش فيها . في ذلك الوقت . كانت قد وردت إلى الحكومة المصرية معلومات تفيد بأن الموساد قد وضع خطة محكمة لتنفيذ العملية ، فقام مسئول مصرى كبير بإبلاغ خالد عبد الناصر بضرورة مغادرة لندن في أسرع وقت ، والاتجاه إلى بلد آمن . وتركت مصر لخالد تحديد البلد الذى يرغب في الذهاب إليه .

وبالفعل فقد تقدم خالد عبد الناصر بطلب إلى السفارة الجزائرية بلندن للسماح له بالإقامة على أرض الجزائر . إلا أن الجزائر لم ترد على الطلب رغم مرور ١٥ يوماً ، كان هناك طلب من ليبيا ، لكن خالد قدم الشكر لهذه الدعوة الكريمة واعتذر عن قبولها ..

وعندما تقدم خالد عبد الناصر إلى السفارة اليوغسلافية بهذا الطلب ، قيل أن الرئيس اليوغسلافي أرسل إليه بطائرة خاصة تقله هو وأسرته التى لحقت به فيما بعد . وإن ذلك قد تم بالفعل .

وفي يوغسلافيا استقبل خالد عبد الناصر استقبال الأبطال ، وكان موضع الحفاوة والتكريم من يوغسلافيا الشعب والحكومة . فثمة علامة قوية كانت تربط والده بشعب يوغسلافيا ، وقائده العظيم تيتو .

● ● ●

في بداية الأمر جرى تسكين خالد عبد الناصر وأسرته في الجناح رقم ٥٠١ بفندق الأنتركونتنتال بالعاصمة اليوغسلافية بلجراه .. وكان أسمه الحركى أنذاك هو « برسينال كول » وكان يرافق خالد بشكل شبه مستمر شقيقاه عبد الحكيم وعبد الحميد ، كما أن والدته قامت بزيارته وقضت معه بعض الوقت .

كان خالد يشعر بالغربة القاسية ، خصوصاً في ظل هذا الغياب القسرى عن الوطن . وأنه كان يعيش مع شعب من الصعب التفاهم مع كل أبنائه ، فقد كانوا يتحدثون لغة غريبة عن اللغات المتداولة عالمياً .

لم تكن في يوغسلافيا سوى مدرسة واحدة للغة العربية أقامها العراقيون ، وبمجرد وصول خالد إلى هناك ألحق ابنه وابنته بهذه المدرسة ، حتى يتمكنا من استكمال تعليمهما .

في الأيام الأولى لوصول خالد عبد الناصر ذهب إليه سفراء عديدون عرب وأجانب يقولون له : أننا جميعاً رهن إشارتك ، فلا أحد ينسى فضل والدك على الأمة العربية وعلى العالم الثالث .. لكن خالداً كان دائماً يشكرهم ويقول الحمد لله مستورة وكل شيء تمام التمام .

أرسل إليه القذافي مندوباً خاصاً إلى يوغسلافيا يرجوه الإقامة في ليبيا . إلا أن خالد اعتذر أيضاً .

وعندما بدأت المعلومات ترد من كل اتجاه على أن هناك نية لضم خالد إلى قرار الاتهام فقد طلب إليه البعض ، أن يطلب حق اللجوء السياسى في يوغسلافيا ، خصوصاً وأن يوغسلافيا لن تمانع في ذلك إلا أن خالد عبد الناصر اعترض على الأمر من أساسه ، وقال إنه في حال ورود اسمى في قرار الاتهام فإننى سأواجه الأمر بشجاعة وأذهب إلى مصر مع أول جلسة للمحاكمة . كان هناك من يطالبونه

بالعودة الفورية بعد قرار الاتهام .. ولكن خالداً ارتأى ضرورة الانتظار مع بدء المحاكمة ، خصوصاً وأن هناك شبهات عديدة تحيط بالقضية منذ بداية الأمر ، من بينها تدخل السفارة الأمريكية في نسج خيوطها الأساسية . وكان أحمد الخواجة نقيب المحامين المصريين ومحامى خالد عبد الناصر في هذه القضية ، يقوم بزيارته بشكل مستمر في يوغسلافيا ، وبعد قرار الإتهام تعددت هذه الزيارات ، حيث كان يناقش معه الموقف القانونى في ضوء التحقيقات واعترافات بعض المتهمين .

وكان خالد يتابع بشكل يومى كل ما ينشر عن قضية ثورة مصر ، عبر جهاز فاكسميل ينقل إليه صورة كل ما يكتب في ثوان معدودة .

وانتقل خالد بأسرته إلى بيت صغير وبسيط منحته له الحكومة اليوغسلافية في إحدى ضواحي العاصمة بلجراد .

وبعد قرار الاتهام ، والقبض على مجموعة إسرائيلية كانت تعد لاغتيال خالد عبد الناصر ، بدأت الحكومة اليوغسلافية تفرض إجراءات أمن مشددة على خالد عبد الناصر خوفاً على حياته ، كما بدأت تخضع كل من يشتبه في أمره للتحقيق الفورى ، خصوصاً بعد القبض على مجموعة الموساد الأخيرة . كما قام أشرف مروان بزيارة خالد بعد قرار الاتهام وأبلغه طلب الرئيس مبارك بضرورة عودته إلى القاهرة لمواجهة الاتهامات التى تثار حوله والتصدى لها ، وقيل إن هذا الطلب سبق وأن أبلغه الرئيس مبارك إلى أشرف مروان في الذكرى السابعة عشرة لرحيل الزعيم جمال عبد الناصر عندما قام الرئيس بتقديم واجب العزاء إلى أسرة عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر الماضى ، إلا أن الجميع ارتأى الانتظار لحين اتضاح الصورة .

وبعد صدور قرار الاتهام بدأ خالد يفكر جدياً في العودة بل واستعدلها ، وبدأ يجرى اتصالاته على هذا الأساس .. ومع بدء أولى جلسات المحاكمة سوف يكون خالد من بين المتهمين الحاضرين . بالرغم من أنه تلقى تأكيدات قوية من اليوغسلافيين باستعدادهم للوقوف معه حتى أخر مدى . وأصدرت الخارجية اليوغسلافية بياناً بهذا الصدد أكدت فيه أن خالد عبد الناصر هو الحفيد الروحى للزعيم اليوغسلافي جوزيف بروزيف تيتو . ولكن خالداً كان قد قرر مواجهة الموقف على أرض مصر .

• • •

مصــر ــ إسرائيل .. الأوراق الســرية

رفض إسرائيل للسلام .. هو أحد أهم الأسس التى ارتكز عليها تنظيم « ثورة مصر » في مقاومته للوجود الصهيونى في مصر . فإسرائيل التى مدَّ لها العرب أيديهم ، ووافقوا جميعاً على الجلوس معها ضمن مؤتمر دولي ترعاه الأمم المتحدة ، راحت ترد على السلام بالعنف والقوة . وتتحدى المجتمع الدولي كله . بل راحت تتحدى حتى مصر التى وقعت معها اتفاقات كامب ديفيد ، وتضعها في خانة الدولة المعادية . تدفع بجواسيسها إليها ، وترفض مطالبها العادلة وترد على احتجاجاتها بمواقف أكثر عناداً . والأدهى من كل ذلك تظل مستمرة في احتلالها لمنطقة طابا .

ونظرة عميقة إلى التاريخ ، إلى سنوات سبع تلت رحيل السادات ، توضح بأي منطق تتعامل اسرائيل .

فبعد مصرع السادات في السادس من أكتوبر ١٩٨١ ، جاء مناحيم بيجني رئيس الوزراء الإسرائيلي حينذاك إلى القاهرة على رأس وفد اسرائيلى للمشاركة في تشييع جنازة السادات . وعقب انتهاء مراسم التشييع التقى مبارك مع رئيس الوزراء

الإسرائيلي . ودار اللقاء الأول بين الطرفين حول ضرورة مواصلة عملية السلام . وضمن ما قاله بيجين لمبارك في هذا الاجتماع « أن إسرائيل وإن حُرِمَتْ من صديق وشريك مخلص في عملية السلام هو أنور السادات فإنها تأمل أن تواصل مصر نهجها وسياستها إزاء إسرائيل .

ورد عليه الرئيس مبارك بالتأكيد على استمرار سياسة السلام ، وقال إن السلام سيظل قائماً مادامت إسرائيل تحافظ على تقاليده ، ومادامت تحترم التعهدات الدولية سواء تلك الخاصة بمصر أو بغيرها من الدول العربية . وأعرب الرئيس مبارك في ذلك اللقاء عن أمله في أن تكون السياسة الإسرائيلية مواتية لتهيئة مناخ ملائم لتحقيق السلام العادل والدائم في المنطقة . كما طلب مبارك في هذا الاجتماع أن تفى إسرائيل بتعهدها في الانسحاب الكامل من سيناء خصوصاً بعد أن قطع هذا الانسحاب مراحل عديدة في الشهور الأخيرة من حكم الرئيس السادات .

بعد عودة بيجين إلى إسرائيل ، دعا إلى اجتماع مع مجلس الوزراء الإسرائيلى ، أكد خلاله أن مباحثاته مع الرئيس مبارك كانت بهدف التأكيد على استمرار دعائم السلام التى أرسى أسسها الرئيس الراحل السادات .. وطالب بضرورة مواصلة المسيرة السلمية مع مصر .. وبعد ذلك عادت الاتصالات بين مصر وإسرائيل بقوة ، فكانت هناك رسائل وزيارات متبادلة بين الطرفين ، وقد أسفرت تلك الاتصالات عن استئناف محادثات الحكم الذاتى الفلسطيني بالقاهرة .. حسبما ينص الشق الثانى من اتفاقات كامب ديفيد . وفي ٤ نوفمبر ١٩٨١ تم عقد جلسة على مستوى الوزراء وبمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية وكانت المفاوضات شديدة الاحترام بين الطرفين المصرى والإسرائيلى ، وأصرت مصر في هذا الاجتماع ، على أن تتخذ إسرائيل عدداً من الإجراءات تدلل بها على حسن نواياها تجاه مشروع الحكم الذاتى للفلسطينيين ، وبناء على ذلك أكدت إسرائيل موافقتها على تجميد إقامة المستوطنات

بالضفة الغربية وغزه خلال فترة انتقالية تمتد ٥ سنوات قادمة وصاحب هذا التأكيد الإسرائيلى مقترحات كانت قد أعدتها وزارة الخارجية المصرية آنذاك ، هدفها عدم افراغ مشروع الحكم الذاتى من مضمونه ، وكان أبرز هذه المقترحات :

● يجب أن تتعهد إسرائيل لمصر باستعدادها للتفاوض مع أي مجموعة فلسطينية تعلن قبولها لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وأن تؤكد ذلك رسمياً ، أو تؤكده لمصر التى تتولى مهمة الاتصال بالفلسطينيين لتطلعهم على تطورات الموقف الإسرائيلى بشأن التفاوض معهم .

● يجب أن تتعهد إسرائيل لمصر إنه في حالة إقامة السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزه لا يكون للمستوطنين الاسرائيليين في هاتين المنطقتين حق الاشتراك في التصويت .

● يجب على إسرائيل أن تؤكد لمصر وبإجراءات عملية أن عرب القدس الشرقية لهم حق الاشتراك في التصويت على إقامة السلطة الفلسطينية .

● الأراضى الأملاك الفلسطينية المصادرة في الضفة وغزه يجب أن تعود إلى السلطة الفلسطينية مباشرة .

● يجب أن تتخذ السلطات الاسرائيلية الإجراءات الكفيلة برفع الحظر على الاجتماعات السياسية والسماح بحرية الرأى والفكر داخل الأراضى المحتلة .

● في خلال هذه الفترة يجب أن تتوقف إسرائيل تماماً على اتخاذ أي سياسات أو ممارسات من شأنها أن تزيد من صعوبة إقامة السلطة الفلسطينية ، وفي هذا الصدر يجب إلغاء كافة القيود المفروضة على حرية التنقل والحركة لسكان الأرض المحتلة .

● توقف إسرائيل المناورات العسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزه وتسمح بعودة أبناء العائلات الفلسطينية الذين تركوا ديارهم في ١٩٦٧ وتسمح أيضاً لعدد من الأشخاص المرحلين بالعودة إلى الضفة وغزه .

بعد أن جرى تقديم هذه الاقتراحات بشكل رسمى ، سافر الوفد الإسرائيلى إلى تل أبيب دون أن يعطى موافقة واضحة على المقترحات المصرية . وأعقب ذلك عدة رسائل هامة قامت الحكومة المصرية بإرسالها إلى الحكومة الاسرائيلية بهدف دفعها للموافقة على المقترحات المصرية الأخيرة ، وتضمنت إحدى الرسائل القول .. إذا كنتم تريدون حقاً سلاماً شاملاً ، وإذا كنتم تريدون انضمام العرب لعملية السلام فإن حكومتكم يجب أن توافق على المقترحات المصرية ، وأن تبتعد عن الممارسات التى قد تؤدى إلى انعدام الثقة ..

وهناك رسالة أخرى طالبت فيها مصر حكومة إسرائيل بالتأكيد على ضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للضفة والقطاع ، لأن هناك نحو مليون ونصف مليون من الفلسطينيين تتجاهل إسرائيل حقوقهم الوطنية وهو أمر له خطورته على مسيرة السلام في المنطقة ..

وفي نوفمبر ١٩٨١ اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى لبحث المقترحات المصرية وتحديد الموقف منها ، ولكن المقترحات المصرية ووجهت بمعارضة شديدة داخل المجلس ، وتم تكليف إسحق موادى وزير الدولة الإسرائيلى في هذا الوقت بتشكيل لجنة وزارية دائمة تتولى شئون العلاقات مع مصر ، وتكون مهمتها الأساسية تحديد الاختيارات السياسية من جانب إسرائيل تجاه مصر .

وقد التقت هذه اللجنة بالرئيس مبارك ، الذي أكد لهم التزام مصر بكافة اتفاقاتها الدولية ، وطالبهم بضرورة الموافقة على المقترحات المصرية والتى تشكل مدخلاً للسلام الشامل في المنطقة .. ورفض الرئيس في لقائه معهم أية محاولة للتسويف أو العرقلة .

ولهذا ما إن عادت اللجنة إلى تل أبيب ، وأطلعت إسحاق شامير وزير الخارجية آنذاك على محضر الاجتماع مع الرئيس مبارك حتى انتقد شامير الموقف المصرى ، واتهمه بأن يشكل تراجعاً في عملية السلام . وضمن ما قاله يومها : كيف يطالبنا مبارك بقبول مقترحات تمثل غاية الخطورة على أمننا القومى ؟ . إن الفلسطينيين لهم دولة خاصة بهم في الأردن ، وإن إسرائيل لا تقبل أية ضغوط مصرية لتقديم تنازلات بعينها في مباحثات الحكم الذاتى ، وقال شامير لأعضاء اللجنة : أن إسرائيل أصبحت حقاً في حاجة إلى ضمانات كثيرة بعد وفاة السادات .. وضحك بسخرية !!

وكان الرد الأخر من شارون ، والذى كان يشغل منصب وزير الدفاع الإسرائيلى فبعد اجتماع عقده مع شامير تباحثاً في ضوئه حول زيارة اللجنة الوزارية لمصر ومباحثاتها مع الرئيس مبارك ، خرج ليؤكد أن إسرائيل ستظل تواصل خلال السنوات المقبلة سبل تعزيز وتوسيع المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وغزه وقدمت مصر بعد ذلك احتجاجاً رسمياً على هذه التصريحات ، والتصرفات الإسرائيلية التى أعقبتها في الضفة وغزه . كما أرسلت القيادة المصرية رسالة جديدة إلى الحكومة الاسرائيلية تطالبها فيها بضرورة إنهاء احتلال مرتفعات الجولان ورفض ضم القدس الشرقية والجولان إلى إسرائيل باعتبار أن ما جرى هو إجراء غير شرعى وغير مقبول لدى مصر أو لدى أي من دول العالم المحبة للسلام .. وصدر بيان من رئاسة الجمهورية في مصر يعلن رفض القرار الإسرائيلي بضم القدس والجولان .

وفي ١٥ ديسمبر ١٩٨١ أدانت مصر بشدة القرار الإسرائيلى بإخضاع هضبة الجولان السورية للإدارة الإسرائيلية ، وقالت مصر في احتجاجها : إن ذلك يعد إجراء غير مشروع وغير مقبول ، وإنه يمثل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي ومواثيق الأمم المتحدة ، وقالت مصر أن اتفاقات كامب ديفيد تؤكد على قرار مجلس الأمن

رقم ٢٤٢ والداعى إلى عدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة .. وأن ذلك يستوجب احترام سيادة ووحدة أراضى كل دولة في المنطقة بما في ذلك سوريا .

وعندما نمى إلى علم الإدارة المصرية عزم إسرائيل على بناء مستوطنتين جديدتين في قطاع غزه ، أعدت الخارجية المصرية احتجاجاً أخر أبلغته إسرائيل في ديسمبر من نفس العام وأدانت فيه التصرف الإسرائيلى الأخير .

وتصاعدت حملة الاحتجاجات المصرية على السياسة الإسرائيلية ، وفي ديسمبر ١٩٨١ شهدت قاعة الأمم المتحدة نقاشاً حاداً بين ممثل مصر في الأمم المتحدة وممثل إسرائيل حيال سياسة إسرائيل في الأراضى العربية المحتلة ، وقد اتهم الممثل الإسرائيلى مصر بأنها تحيد عن خط السلام وأن ذلك من شأنه أن يعيد حالة الحرب مع مصر . في حين أن ممثل مصر في الأمم المتحدة هاجم إسرائيل بشدة وقال أن مصر تسعى إلى سلام عادل ودائم يضم الأطراف المعنية كافةً في المنطقة ، وطالب بضرورة إلغاء الإجراءات الاستثنائية الإسرائيلية في الضفة والقطاع .

وفي ظل مناخ التوتر الذى شهدته العلاقة بين الطرفين في ذلك الوقت طرحت إسرائيل أكثر من مشروع لمحاولة تهدئة الأوضاع بينها وبين مصر . وفي ديسمبر من نفس العام تم إقرار الجدول الزمنى النهائى لتسليم الجزء الباقى من سيناء في إطار إتمام الانسحاب الإسرائيلى من هذا الجزء ، والذى كان محدداً له ٢٦ أبريل ١٩٨٢ . وتم تشكيل لجنة عامة لتحقيق الانسحاب وفق الجدول المتفق عليه ، كما أقرت مصر بمبدأ التعويضات عن المنشآت الآسرائيلية في سيناء وذلك أثناء الاجتماع الذى تم بين السيد كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية وقتذاك وأريل شارون وزير الدفاع الإسرائيلى . وفي هذا الاجتماع الذى تم في الشهر الأخير من عام ١٩٨١ أبدى شارون رغبته في تطوير العلاقات بين الطرفين خصوصاً في المجالات السياحية والاقتصادية ، وطلب من وزير الخارجية المصرى ضرورة أن تقدم

مصر التسهيلات اللازمة للسياح الإسرائيليين خصوصاً ما يتعلق منها بسرعة إنهاء الإجراءات الخاصة بسفرهم عبر الحدود والمطارات ، كما أبدى شارون رغبة حكومته في افتتاح قنصليات مصرية في إيلات وشرم الشيخ بحيث تعمل على تدعيم أواخر العلاقة بين الطرفين .

وكانت آخر الاتصالات التى جرت بين الطرفين المصرى والإسرائيلى في عام ١٩٨١ هي الزيارة التى قام بها وزير الخارجية الإسرائيلي إسحاق شامير والذى التقى بالسيد كمال حسن علي في الإسكندرية ، وقد حمل شامير معه في هذه الزيارة رسالة من الحكومة الإسرائيلية إلى الحكومة المصرية تركزت مطالبها بشأن التطبيع . وأبرز النقاط التى طرحها شامير في رسالته كانت :

● ضرورة أن تسمح مصر للعلماء المصريين والمتخصصين الأكاديميين بالمشاركة في المؤتمرات والدورات الإسرائيلية التى تقام في إسرائيل ، وأن توافق على مشاركة العلماء الإسرائيليين في المؤتمرات والدورات الدراسية في مصر .

● أن تسمح مصر بإنشاء مركز أكاديمى إسرائيلى للأبحاث في مصر وأن يجرى تسهيل قبول الطلبة الإسرائيليين بالجامعات المصرية وأن توفد مصر طلبة مصريين إلى الجامعات الإسرائيلية ، وتسمح بذات الأمر في الجامعات المصرية لطلاب إسرائيليين .

كما أثار شامير في مباحثاته موقف الإعلام المصرى من السياسة الإسرائيلية ، وقال شامير في هذا الصدد « إن مقتضيات السلام بين البلدين بعيداً عن الجوانب الأخرى « يقصد القضية الفلسطينية وممارسات إسرائيل تقتضى أن يدفع الطرفان علاقتهما الثنائية حتى تصل إلى مستوى مرضٍ ، ومن ثم يجب ألا تكون وسائل الإعلام حجراً عثرة أمام تحقيق هذا الهدف » .

وقال : « إننى أطلب من حكومتكم أن تصدر أوامرها بالسماح بأن يذيع التليفزيون المصرى إعلانات وبرامج وأفلام إسرائيلية ، خصوصاً وأن إسرائيل لا تمانع في نشر المادة المصرية على شاشة تليفزيونها » .

وطالب شامير خلال زيارته تلك أن تمنح الحكومة المصرية الحق لإسرائيل ف التعامل مع البنوك المصرية وأن يسمح للقطاع العام المصرى بالتجارة الحرة مع إسرائيل ، وأن ترفع الحكومة المصرية القيود عن علاقات التصدير والاستيراد لإسرائيل ، وأن يمنح ممثلو الشركات الإسرائيلية تأشيرة دخول وإقامة لأكثر من مرة ليتمكنوا من القيام بأعمالهم التجارية في مصر ، وأن يفتح باب التعاون الزراعى وتبادل الخبراء بين الطرفين .

وقد رد السيد كمال حسن علي على طلبات شامير بالقول إن القضية في وقتنا الراهن ليست قضية تطبيع ، بقدر ما هي قضية وضع الأسس الكفيلة باستمرار السلام وتحقيقه بشكل دائم وعادل في المنطقة كلها . وقال إن مصر ليس في نيتها أن تتخلى عن التزاماتها الدولية ، وأن إجراءات التطبيع سوف تسير وفقاً للتقدم الذى سوف يتم إحرازه في عملية السلام الشامل بالمنطقة .

وجاء عام ١٩٨٢ ، ودفعت الريح بشامير مرة أخرى ، ليزور القاهرة في أوائل ذلك العام ، وكله أمل في أن المزيد من الضغوط على مصر قد ينعكس بشكل إيجابى على العلاقات بين الطرفين ، خصوصاً وأن مصر تنتظر بشوق ولهفة تاريخ ٢٦ أبريل ، موعد تحرير سيناء من أيدى الإسرائيليين . إنه وغيره يعرفون طبيعة المصريين ولكنهم يجهلون إلى حد كبير كثيراً من الجوانب الخفية في شخصية الرئيس الجديد حسنى مبارك .. فمن يدرى ؟ !!

في لقائه الجديد ركز شامير على موضوع تطوير العلاقات المصرية الإسرائيلية ، وعلى الجانب الآخر حث المسئولون المصريون شامير بضرورة أن تتفاوض إسرائيل مع سوريا وأن تبادر بالاتصال بالقيادة السورية لتحقيق انسحاب من الجولان على نمط الانسحاب من سيناء . فرد شامير بأنه سيعمل على إقناع حكومته بفتح باب الحوار مع سوريا باتجاه تحقيق السلام في المنطقة ..

ثم سافر شامير إلى تل أبيب ، وطرح الاقتراح المصرى على حكومته ، وعلى أثر هذا أعلنت الحكومة الإسرائيلية بعد ذلك أنها مستعدة للتفاوض مع سوريا وبدون شروط مسبقة لتسوية كل القضايا العالقة بين الطرفين ولم تتمكن مصر في ضوء ذلك من متابعة جهودها بالاتصال بسوريا لتنسيق هذا الأمر ، خصوصاً وأن العلاقات كانت لا تزال متوترة بين مصر والبلدان العربية ، وطلبت مصر من الاتحاد السوفيتى أن يكون وسيطاً بين سوريا وإسرائيل إلا أن السوفيت والذين لم يكن لهم علاقة قوية بمصر رفضوا ذلك .

وبالرغم من أن مصر كانت تعرف أن إسرائيل غير جادة في مسعاها نحو السلام إلا أن القيادة المصرية كانت تحاول الدفع بأي ثمن في اتجاه تحقيق السلام الشامل في كل المنطقة . حتى وإن كان هذا السلام على أسس غير تلك التى نصت عليها اتفاقات كامب ديفيد .

وبذلت مصر محاولة جديدة ، عبر الاتصال بالسعودية ودول خليجية أخرى من أجل حث سوريا على انتهاز الفرصة وعقد اتفاق مع إسرائيل يضمن عودة الجولان إلى الأراضى السورية ، ولكن سوريا حسمت الأمر وأعلنت أنها ترفض التفاوض مع إسرائيل وأنها لن تسترد الجولان بمقتضى القانون الدولي أو بمقتضى اتفاقات دولية بعينها وإنما هي مصممة على استخدام القوة في تحرير الجولان والأراضى العربية المحتلة .

نعود إلى موضوع العلاقة المصرية ــ الإسرائيلية ، ففي فبراير ١٩٨٢ زار الفريق عبد رب النبي حافظ رئيس الأركان المصرى إسرائيل ، وكان هدف الزيارة هو الاتفاق حول مراحل الانسحاب النهائى لإسرائيل من سيناء ، ولكن إسرائيل استغلت زيارة المسئول العسكرى المصرى الكبير وطرحت عليه موضوع إقامة تعاون عسكرى مصرى إسرائيلى ، وقيام مصر بشراء أسلحة إسرائيلية ، مع استعداد إسرائيل لتقديم هذا السلاح بأسعار خاصة إلى مصر . إلا أن المسئول المصرى رفض العرض الإسرائيلى ، وأكد للمسئولين الإسرائيليين أن مصر ليست في حاجة إلى أسلحة إسرائيلية ، وأنها لديها القوة العسكرية الذاتية الكافية للحفاظ على الحدود الأمنية المصرية ، وأما عن التعاون العسكرى فقد قال رئيس الأركان المصرى للإسرائيليين إن ذلك أمر صعب التطبيق في الوقت الراهن ، خصوصاً وأن هناك الكثير من العقبات التى لا تزال تحول دون تحقيق هذا التعاون بين الطرفين .

ويبدو أن الرد المصرى كان صعب الهضم على المسئولين الاسرائيليين الذين ثارت مخاوفهم من أن مصر قد تتخلى عن كافة تعهداتها إزاء إسرائيل في حال إتمام عملية الانسحاب الاسرائيلى من سيناء . ولذا طرح بعض المسئولين تأخير الإجراءات النهائية لتسليم سيناء كاملة إلى مصر إلى أن تتأكد لإسرائيل نوايا مصر الحقيقية تجاه عملية السلام .

وفي ١٩٨٢/٣/٢٥ كان هناك اجتماع لمجلس الوزراء الإسرائيلى برئاسة مناحم بيجين ، وفي هذا الاجتماع راح بيجين يدافع عن وجهة نظره بضرورة إتمام عملية الانسحاب من سيناء لأسباب عديدة من بينها الحرج الذى يمكن أن يتسبب لإسرائيل في حال عدم التنفيذ أمام الرأى العام الدولي والأمريكى على وجه الخصوص . وضمن ما قاله بيجين في هذه الجلسة أننا إذا أحسسنا بخطر حقيقي من جانب مصر فإن لدينا القدرة على استرداد سيناء مرة أخرى وتأديب المصريين .

وظل بيجين يدافع عن وجهة نظره لساعات طوال ، الأمر الذى دفع بالمتشددين الذين اختلفوا معه إلى القبول بمنطقه في نهاية الأمر .

وأرسل بيجين برسالة خاصة إلى الرئيس مبارك يؤكد له فيها تعهد إسرائيل بلانسحاب من سيناء في الموعد المحدد ، واستمرارها في عملية السلام القائم على أساس اتفاقات كامب ديفيد .

ولكن ذلك لم يمنع الرئيس مبارك من المضى في خطه بالانفتاح على العرب ، ووضع القضية العربية في سلم أولويات اهتمامه ، وقد أكد في ضوء ذلك للإسرائيلين وللأمريكان أكثر من مرة أن التزام مصر باتفاقات كامب ديفيد لا يعنى بأي حال من الأحوال تخليها عن التزاماتها العربية والقومية .

بعد ذلك مباشرة اتخذت الحكومة المصرية قراراً أبلغته لكافة البعثات الدبلوماسية في الدول العربية مفاده أن مصر ترحب بدخول المواطنين العرب إليها ومنحهم تأشيرات دخول فور وصولهم دون أية إجراءات مسبقة . وبينما استمرت مصر في سياستها الانفتاحية تجاه العرب ، كانت إسرائيل ترصد هذه المتغيرات بقلق واضح ، خصوصاً وأن الاحتجاجات المصرية على ممارسات إسرائيل ظلت مستمرة ، وهو أمر كان يثير استفزاز المسئولين الإسرائيلين بصفة دائمة مستمرة ففي ١٩٨٢/٣/٢٧ التقى عدد من المسئولين المصريين ببعض المسئولين في وزارة الخارجية ، وبحضور ممثل إسرائيل في الأمم المتحدة وفي الاجتماع أبلغ أعضاء الوفد المصرى ممثل إسرائيل رسالة من الرئيس مبارك لإبلاغها إلى الحكومة الإسرائيلية ، وتقول الرسالة بأن مصر ترى أن من شأن السياسة الإسرائيلية الحالية زيادة تدهور الأوضاع وضياع الأمن في منطقة الشرق الأوسط ، وأن ذلك من شأنه أن يحدث أثاراً سلبية على عملية صنع السلام في المنطقة .

ولكن إسرائيل لم تعر الموقف المصرى أي إهتمام يذكر ، وراحت تمارس سياستها الإرهابية ضد السكان الآمنين في الأرض المحتلة ، كما أنها أعلنت عن رفضها لكافة مساعى السلام التى تبذلها مصر ، وأكدت من جديد على حقيقة مواقفها العدوانية ورفضها الاستجابة لصوت العقل والضمير .

وقد حاولت إسرائيل في هذا الوقت تحريض أطراف دولية عديدة ضد نهج السياسة المصرية . وبدأت في توجيه اتهامات مباشرة إلى مصر بأنها تحاول الفكاك من اتفاقيات كامب ديفيد . ولكن سياسة الإرهاب لم تحدث أي تراجع في السياسة المصرية .

بل وعندما قامت إسرائيل باعتداء صارخ على المسجد الأقصى ، فإن مصر أدانت هذه الجريمة ، وأرسل الرئيس مبارك رسائل شديدة اللهجة ينتقد فيها التصرفات الإسرائيلية اللامسئولة ضد المسجد الأقصى والوضع في الأراضى المحتلة .

وبدلاً من أن تستجب إسرائيل لصرخات العالم ، راحت تتمادى في منهجها العدوانى ، وتشن عدوانها الآثم ضد لبنان في يونيو ١٩٨٢ ، بعد هذا التقرير الذى رفعه إريك شارون إلى حكومته وحرض فيه على هذا العدوان في السادس من يونيو ١٩٨٢ . ويومها ، احتجت مصر وأدانت رسمياً الغزو الإسرائيلى للبنان وطالبت ضمن رسالة الاحتجاج :

- بوقف العدوان على أرض لبنان فوراً
- بتحقيق الانسحاب السريع من كل الأراضى اللبنانية دون قيد أو شرط .

وفي ١٠ يونيو ١٩٨٢ حاول السفير الإسرائيلى بالقاهرة الالتقاء بالرئيس مبارك لشرح وجهة نظر حكومته في العدوان على لبنان والفلسطينيين إلا أن الرئيس مبارك رفض مقابلته أو حتى التحدث معه عبر سفراء آخرين ، وقال أنه لا تبرير لإسرائيل في لبنان وليس أمامها إلا الانسحاب ، وفي نفس الليلة بعث الرئيس مبارك برسالة شديدة اللهجة إلى

مناحم بيجين عنفه فيها على غزو قواته للبنان . وقال الرئيس في رسالته إن ذلك يمثل انتهاكاً صارخاً ليس فقط لإطار الاتفاقات الثنائية بين البلدين وإنما لكافة المواثيق الدولية . وقال : إن المطلوب هو أن تبادر بسحب جيشك من لبنان لأن الأمر لا يتحمل أي تأويل أو تفسير آخر . وتساءل الرئيس في رسالته هذه » كيف يمكن أن يكون لإسرائيل عمق داخل الأراضى اللبنانية بحوالى ٤٠ كم ، وكيف تقولون أن هذا من مقتضيات أمنكم ؟ !!

وعندما علمت مصر بأن نية إسرائيل تقسيم لبنان والاخلال بالوحدة الوطنية لأراضية طالبت بضرورة التزام إسرائيل بقرارى مجلس الأمن ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ولكن موقف مصر ذلك كان مثار انتقاد شديد من الساسة الإسرائيليين .. ففي اجتماع للحكومة الإسرائيلية قال أحد المسئولين الإسرائيليين موجهاً اللوم إلى موقف مصر ، كيف لمصر أن تحمى المخربين في لبنان ؟ .. حقاً أنه رجل غريب !! (يقصد مبارك) فمن بين مجموع رؤساء الدول العربية هو وحده الذى يهب واقفاً وبإصرار متناهٍ على مهاجمتنا وتعنيفنا ، على الرغم من أنه الرجل الوحيد من بين هؤلاء الذي لا يزال ملتزماً معنا باتفاقية للسلام وقعها سلفه أنور السادات ..

ومع تصاعد الموقف المصرى ، أدركت إسرائيل أنها لابد أن تهدىء من روع الحكومة المصرية ، ففوجئت القاهرة بمسئول إسرائيلي يزورها دون ترتيبات مسبقة ، حاملاً معه رسالة من إسحاق شامير إلى كمال حسن علي ، وشرح في رسالته المبررات التى دفعت إسرائيل إلى القيام بغزو لبنان . وادعى في رسالته أن هدف إسرائيل هو تحقيق السلام في المنطقة وادعى أن ذلك لن يكون إلا باستئصال المخربين والذين لا يهددون أمن إسرائيل وحده ، وإنما أمن لبنان البلد الذى تدافعون عنه . وما إن وصلت هذه الرسالة إلى يد الرئيس مبارك ، حتى تجاهلها ، ولم يكلف أحداً بالرد عليها .

في ذلك الوقت كانت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ على صعيد الساحة العربية ، والموقف المتشدد للرئيس مبارك إزاء غزو إسرائيل للبنان ، دفع بدوره بعض الأطراف العربية إلى إجراء اتصالات بمصر . وجرت أول اتصالات حقيقية عبر د . بطرس غالي وزير الدولة للشئون الخارجية ، واثمرت تلك الاتصالات عن موقف مصرى جديذ إزاء هذا الواقع الذى تعيشه الأمة العربية ، بل إن مصر أبدت استعدادها وقتذاك للموافقة على أية تسوية سلمية تتفق عليها جميع الأطراف ، حتى وإن كانت أسس تلك التسوية على حساب اتفاقات كامب ديفيد . وقد فتح هذا الموقف الجديد ـــ بلا شك ـــ الطريق أمام مصر لعودة الاتصالات بينها وبين العالم العربي .

وقد أثار هذا الموقف حفيظة إسرائيل ، وراحت تبعث بالرسائل . وتوفد المبعوثين إلى مصر ، ولكن مصر ضربت بكل ذلك عرض الحائط . ومع تطور الأوضاع كان هناك موقف مصرى قوى تمثل في سحب السفير المصرى من تل أبيب وتجميد العلاقات مع إسرائيل . وقد بذلت الولايات المتحدة جهوداً كبيرة بهدف الضغط على مصر من أجل أن تتراجع في قرارها . وتسمح بعودة السفير مرة أخرى إلى تل أبيب ، ولكن مصر رفضت ذلك واشترط الرئيس مبارك على المبعوث الأمريكى فيليب حبيب الذى حمل العديد من الرسائل الأمريكية والإسرائيلية والمطالبة بعودة السفير ، ثلاثة شروط أساسية حتى يتسنى لمصر إصدار قرار بعودة سفيرها مرة أخرى إلى تل أبيب هذه الشروط الثلاثة هي :

- انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان
- وقف بناء المستوطنات في الأراضى المحتلة وإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية
- عودة طابا إلى الأراضى المصرية

وحاول فيليب حبيب إثناء الرئيس مبارك عن شروطه ، وقال له أن إسرائيل أبلغته أن سحب السفير المصرى سوف تترتب عليه نتائج خطيرة في العلاقات بين الطرفين ، وأن ذلك من شأنه أن يؤدى إلى مواقف إسرائيلية متشددة .

وأدرك مبارك أن حبيب يحمل بذلك رسالة تهديدية من قبل الحكام الإسرائيليين ، فما كان منه إلا أن أعلن من جديد إصراره على موقفه ، بل أضاف أن السفير لن يعود إذا ماتدهور الموقف في بيروت ، أو إذا ما تصاعدت العمليات العسكرية مرة أخرى في لبنان ، وقال : على إسرائيل أن تتخذ ما تراه من إجراءات ومصر مصرة على مواقفها تلك .

وعندما أرادت إسرائيل أن تعاود من جديد بدء مباحثات الحكم الذاتى ، فقد كان الموقف المصرى واضحاً ، حيث أصرت مصر في تلك المرة على انضمام ممثلين للشعب الفلسطينى في هذه المباحثات ولكن إسرائيل رفضت ذلك مما حدا بمصر إلى رفض المباحثات من أساسها .

وكان الرئيس مبارك قد كلف السفير الشافعى عبد الحميد بتشكيل لجنة من وزارة الخارجية المصرية لتقديم تقرير شامل ومفصل عن تقويم العلاقات بين الطرفين فجاء التقرير ليوضح صعوبة الموقف الإسرائيلى تجاه الاستمرار في عملية السلام في ضوء المذابح التى ارتكبت في صابرا وشاتيلا بلبنان ، بل إن التقرير طالب بتقليص العلاقة المصرية ـــ الإسرائيلية إلى أدنى مستوى . وبذلت الولايات المتحدة جهوداً كبيرة من أجل الضغط على مصر لاستكمال مباحثات الحكم الذاتى ، إلا أن مصر أصرت أن تضم هذه المباحثات ممثلين عن الشعب الفلسطينى والأردن . وكانت مصر تميل لأن تمثل المنظمة في هذه المفاوضات نيابة عن الشعب الفلسطينى .

وأمام تلك الصعوبات التى اكتنفت سير العملية التفاوضية اتخذت إسرائيل قراراً ببناء ٥ مستوطنات جديدة في الأراضى المحتلة ، وأصرت على رفض الانسحاب من لبنان .

وقد انعكس هذا الموقف على صعيد البنية السياسية لقوى الحكم والمعارضة في إسرائيل ، وقد حدثت مشادة عنيفة آنذاك بين مناحم بيجين رئيس الحكومة وشيمون بيريز زعيم حزب العمل المعارض ، اتهم فيها بيجين بأنه المعرقل الأساسى لعملية السلام مع مصر ، وإنه ومن خلال إجراءاته وسياساته المتشددة يزيد من عزلة إسرائيل عن المجتمع الدولي .

وهكذا أوضح أن هناك وجهتى نظر داخل إسرائيل واحدة يمثلها الليكود ، وترى بضرورة التشدد في التعامل مع مصر ، وثانية يمثلها العمل ، تبنى وجهة النظر التى تقول بمحاولة احتواء مصر وعدم تطوير النزاع معها .

ومع استمرار عملية الغزو الإسرائيلى للبنان كان الوضع يزداد تفاقماً بين الطرفين المصرى والإسرائيلى .

وفي سبتمبر ١٩٨٢ ، شهد لبنان مذبحة بشعة على يد التتار الجدد . وقد وقعت المذبحة تحديداً في مخيمى صابرا وشاتيلا ببيروت الغربية ، عقب انسحاب القوات الفلسطينية .

. وقد احتجت مصر رسمياً لدى إسرائيل على هذه الجرائم البشعة ، وقالت : إنها تحملها المسئولية الكاملة لأعمال العنف والمذابح التى وقعت في هذين المخيمين ، وقد رافق هذا الموقف المصرى الذى عبر عن تشدده بوسائل متعددة بعد ذلك ، موقف شعبى قوى في مواجهة الهمجية الصهيونية .

ومنذ ذلك الوقت تحديداً بدأت لغة الاحتجاجات تشهد تصاعداً غير عادي بين الطرفين . وقد احتجت إسرائيل على تصريحات عسكرية مصرية أشارت إلى أن إسرائيل هي العدو الأول للأمن القومى المصرى . ورد الرئيس مبارك على هذا الاحتجاج يومها بالقول أنه إذا كان هناك احتجاج على بعض هذه التصريحات فإن حجم الحشود العسكرية الإسرائيلية على الجبهة المصرية لم يتغير ، عما كان عليه قبل توقيع معاهدة السلام ، وأن مصر لن تقبل إلا بإقامة توازن في التسليح والإمكانات العسكرية بينها وبين إسرائيل .

وحاولت إسرائيل تهدئة الأحوال مع مصر ، فوصل إلى القاهرة في أكتوبر ١٩٨٢ موفد عن الحكومة الاسرائيلية والتقى بمسئول مصرى في الخارجية ، وطالب الموفد الإسرائيلى بأن تهدىء مصر من سياستها المتشددة تجاه إسرائيل حتى يمكن ضمان الاستمرار لأسس السلام المشترك .

ولكن المسئول المصرى رد عليه بأن إسرائيل تسىء للسلام ، وأن سياستها تلك سوف تقود إلى عواقب وخيمة ، وأضاف المسئول المصرى القول أنه لا يمكن لإسرائيل أن تحيد الدور المصرى في المنطقة العربية ، لأن مصر جزء من تلك المنطقة ، وأنها تؤثر وتتأثر بما حولها ، وأن على إسرائيل أن تستجيب للمبادرات السلمية بشأن النزاع العربي ــ الإسرائيلى ، فهذا وحده الذى يمكن أن يشكل أسساً حقيقية للسلام العادل في المنطقة ، وقال المسئول المصرى موجها كلامه بعنف وشدة إلى موفد الحكومة الإسرائيلية : « أن مصر ترجوك إبلاغ رسالة إلى حكومتك تقول بأننا ضد أي مؤامرة تمس حقوق الشعب الفلسطينى من قريب أو من بعيد ، وأن بناء ٢٠ مستوطنة جديدة في الضفة الغربية وغزة أمر يعيق تقدم عملية السلام في المنطقة ، وهو أمر مدان ومرفوض من قبل مصر ، وأن إسرائيل تدمر بذلك طريق السلام ، وعليها أن توقف تلك الأعمال فوراً .

وفي نفس الشهر كان رئيس الوزراء المصرى يبعث برسالة إلى الحكومة الإسرائيلية يبلغها فيها أن مباحثات الحكم الذاتى في إطارها الثلاثى لم تعد مناسبة للمرحلة الراهنة لحل القضية الفلسطينية ، خصوصاً بعد أن رفضت الحكومة الإسرائيلية التقدم بأية مبادرات من شأنها أن تدفع بالمفاوضات قدما إلى الأمام .

وفي ديسمبر ، ١٩٨٢ كان في حوزة الجانب المصرى مستندات ووثائق توضح استخدام إسرائيل للمعونات الأمريكية الضخمة التى تتلقاها في تنفيذ مخططاتها الاستراتيجية والرامية إلى فرض الهيمنة على المنطقة ، ومن بينها زيادة رقعة المستوطنات والإخلال بالوضع الأمنى في لبنان . ولذلك فقد بادرت مصر بتحذير إسرائيل عبر القنوات الدبلوماسية من مخاطر هذه المخططات ، وقالت ان مثل هذه المخططات هي إدانة جديدة تضاف إلى رصيد الإدانات الموجهة ضد إسرائيل .

وفي نفس الشهر تجددت الخلافات بين الطرفين حول طابا ، حيث بدأت إسرائيل في بناء فندق « سونستا » السياحى في هذه المنطقة ، وزاد من تعقيد الوضع التصريحات التى أدلى بها وزير الدفاع أريل شارون في مجلس الوزراء الإسرائيلى والتى قال فيها إن إسرائيل لن تتخلى عن منطقة طابا ، فردت مصر على ذلك بالإعلان أنها متمسكة بحقها الأصيل في ملكية طابا ، وأنها سوف تتخذ السبل القانونية التى تضمن لها عودة طابا إليها .

وفي أوائل عام ١٩٨٣ وبعد التصريحات القوية المتبادلة بين الطرفين حول أحقية كل منهما في ملكية طابا ، كانت هناك جولة جديدة من المباحثات تجرى بين الطرفين بحضور الطرف الأمريكى .. ولكن هذه الجولة لم تشهد أيضاً أي تقدم .

بعد ذلك قامت الخارجية المصرية بتوجيه الدعوة إلى الجانبين الإسرائيلى والأمريكى لاستكمال المباحثات ، بعد أن أبلغ رئيس الحكومة الإسرائيلية مصر بأن

إسرائيل مستعدة للدخول في مفاوضات شاملة مع مصر لمناقشة مجمل المسائل المختلف عليها ، بما في ذلك مطالبة مصر بإحالة نزاع طابا إلى التحكيم الدولي . ولكن تبين في المباحثات الجديدة أن الوفد الإسرائيلي جاء إلى المفاوضات يحمل معه اقتراحاً بتسوية الخلاف حول طابا بصورة ودية قبل اللجوء إلى التحكيم . وقدم اقتراحاً إسرائيليا بتحويل طابا إلى منطقة تجارة حرة بين مصر وإسرائيل .

وقد ظل المسئول الإسرائيلي يشرح الاقتراح الجديد مدعياً أن له فوائد ومميزات عديدة للجانب المصرى على وجه الخصوص ، وأيده الجانب الأمريكى في ذلك ، ولكن مصر اعتبرت أن الاقتراح الجديد ما هو إلا حلقة مكررة في مسلسل المراوغات الإسرائيلية . ولذلك رفضت مصر هذا الاقتراح وأبلغت إسرائيل بأنه ليس لديها النية في اتخاذ أي إجراء مخالف للتحكيم بشأن طابا طالما لم تستجب إسرائيل حتى الآن للاعتراف بأن طابا أرض مصرية .

وانفضت المباحثات بعد ذلك ودون حدوث أي تقدم يذكر . وأعيد طرح الموضوع مرة أخرى على مجلس الوزراء الإسرائيلي ، والكنيست . وقد طالبت بعض الأطراف الإسرائيلية بضرورة وضع خطة دبلوماسية جديدة هدفها تحسين العلاقة مع مصر . إلا أن الجانب المتشدد رفض ذلك ، وأصر كل طرف على موقفه .

ولم يكد يمر أسبوع واحد على تلك المنازعات حتى اتخذت الحكومة الإسرائيلية قراراً خطيراً بالتصديق على إدخال طابا في إطار خطة تحويل إيلات لمنطقة تجارية حرة . وعلمت مصر بالقرار الإسرائيلي فسارعت إلى الاحتجاج على هذا القرار رسمياً . وأبلغت القائم بالأعمال المصرى في تل أبيب ضرورة مقابلة رئيس الحكومة الإسرائيلية وإبلاغه احتجاج مصر ورفضها لهذا القرار الأخير . وفي اللقاء أوضح القائم بالأعمال المصرى في تل أبيب لرئيس الحكومة الإسرائيلية أن ذلك القرار يعد باطلاً ، كما أن سريانه على طابا هو خرق صريح للاتفاق الموقع بين الطرفين في إبريل ١٩٨٢ .

وأضاف : أن مصر تحمل إسرائيل العواقب من جراء اتخاذ هذا القرار ، خاصة في إطار العلاقات الثنائية بين البلدين . وقد انعكس ذلك القرار على العلاقة بين العمل والليكود بعد ذلك ، فبينما كان العمل يبدى مرونة إزاء طرح مسألة طابا للتحكيم الدولي . كان تكتل الليكود يرى ضرورة حل النزاع بأسلوب الحوار والمناقشة ، متعللاً بأن اتفاقات السلام ترى أنه في حالة قيام أي نزاع بين البلدين وجب حله بالأسلوب الودى ، وأن اللجوء إلى التحكيم الدولي لا يكون إلا بعد استنفاذ جميع الوسائل الودية .

وإزاء تصاعد الخلافات والتوتر داخل إسرائيل ، فقد اتفق شامير وبيريز على إرسال وفد إسرائيلي إلى القاهرة للتباحث من جديد حول طابا ، والقضايا الأخرى المتعلقة بالعلاقات الثنائية بين الطرفين .

وتقدم الوفد الإسرائيلي هذه المرة بمقترحات جديدة تهدف إلى تشكيل لجنتين تمثل فيهما الولايات المتحدة الأمريكية ، تختص اللجنة الأولى بدراسة قضية طابا ، وتختص الثانية ببحث المشكلات التى تعترض تطوير العلاقة المصرية ـ الإسرائيلية وجرى بالفعل تشكيل هاتين اللجنتين . وأقر مجلس الوزراء بالنتيجة التى تم التوصل إليها في القاهرة .

وقدمت إسرائيل عبر سفيرها في مصر بعد ذلك اقتراحاً بأن تقوم اللجنة المختصة بمشكلة طابا بزيارة إلى مصر ، ولكن الرئيس مبارك أصدر أوامره برفض استقبال تلك اللجنة ، وقال أنه لا داعى لحضورها إلى القاهرة من أساسه . وأبلغت مصر إسرائيل في ضوء ذلك رفضها رسمياً لاستقبال الوفد الإسرائيلى في محادثات طابا . ووصلت العلاقة بذلك إلى حد الجمود بعد تطورات عديدة شهدتها الساحة ، وهو مادعا إسحاق نافون الرئيس الإسرائيلى لأن يصف السلام مع مصر في ذلك الوقت بأنه سلام متجمد . بل إنه أبلغ القائم بالأعمال المصرى أثناء استقباله له بأن

إسرائيل لا يهمها أن يكون السلام متجمداً مع مصر وأنها ترفض بإصرار إقامة دولة فلسطينية مستقلة .

وإمعانا في الاستفزاز ، قام نائب رئيس الأركان الإسرائيلى بزيارة سرية إلى طابا في فبراير ١٩٨٣ ، وما أن علمت مصر بنبأ هذه الزيارة حتى بعثت برسالة جديدة إلى إسرائيل تدين فيها ذلك التصرف ، وتعتبره حلقة جديدة في سلسلة الاستفزازات التى تتعرض لها مصر في منطقة طابا .

وفي مارس ١٩٨٣ أرسلت مصر برسالة احتجاج جديدة تدين فيها تصرفات إسرائيل داخل الأراضى المحتلة ، وما يتعرض له السكان العرب على أيدى جنود الاحتلال .

وقدمت مصر احتجاجاً جديداً في منتصف يونيو ١٩٨٣ ، عندما قامت إسرائيل بالإعلان عن إقامة مكتب لوزير الدفاع الإسرائيلى في القدس الشرقية ، وقالت رسالة الاحتجاج المصرية أن القدس عربية وأن تلك الأعمال التى تقدم عليها إسرائيل بين الحين والأخر من شأنها أن ترفع من درجة التوتر القائمة في المنطقة . وتعليقا على هذا الاحتجاج قال رئيس الوزراء الإسرائيلى في أحد اجتماعات مجلس الوزراء أن مصر تتدخل في سياستنا الداخلية ، وتحتج على أعمال تجرى في أراضينا ، وفي ضوء ذلك أصر مجلس الوزراء الإسرائيلى على إرسال رفض رسمى على الاحتجاج الذى تقدمت به مصر في هذا السبيل .

وفي يوليو ١٩٨٣ ، ارتفع معدل التوتر في العلاقات بين الطرفين خصوصاً مع الدعاوى الإسرائيلية التى راحت تتحدث عن أن الدولة الفلسطينية موقعها هو الأردن ، وأن إسرائيل لن تتنازل عن أي جزء من الأراضى الفلسطينية المحتلة . وكان رد مصر عنيفاً في هذا الصدد ، فعبر لقاءات تمت بين مسئولين مصريين وإسرائيلين في واشنطن ، حملت مصر إسرائيل المسئولية الكاملة عن تدهور الأوضاع في

الأراضي المحتلة كما حملتها المسئولية الكاملة في ضمان أمن وسلامة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة ، وطالبت مصر الولايات المتحدة بالتدخل الفورى لوقف السياسة الإسرائيلية العدوانية في الأراضي المحتلة . بيد أن كل ذلك لم يردع إسرائيل أو يثنيها عن مواقفها ، بل إن زيادة العنف والتعسف ازداد لهيبها ، وظلت إسرائيل تمارس كافة اشكال العنف والقهر ضد السكان العرب في الأرض المحتلة .

وقد وقع في يد الحكومة المصرية وقتها تقرير استراتيجى بشأن مستقبل الحكم الذاتى ، أعده مناحم بيجين . وكان يتضمن « أن إسرائيل يجب أن تكون حريصة في إطار مباحثاتها مع مصر أو أي من الدول العربية بشأن الحكم الذاتى ألا تؤدى هذه المباحثات إلى قيام دولة فلسطينية بأي صورة من الصور في يهود أو السامرة والضفة الغربية وقطاع غزه ، كما ينبغى ألا تعيق المباحثات مع الجانب المصرى أية صورة من صور الاستيطان اليهودى في هذه المناطق » .

ويبدو أن هذه الوثيقة قد عكست نفسها في كافة المباحثات التى جرت في هذا الصدد . ففي أحد الاجتماعات اشتد الحوار بين ممثلى مصر وإسرائيل في حضور الطرف الأمريكى حول الهدف الحقيقى لإسرائيل خلف مباحثات الحكم الذاتى ، وراح الطرف الإسرائيلى يوجه إلى مصر اللوم لأنها تتبنى مفهوماً في هذا الإطار سوف يؤدى إلى قيام دولة فلسطينية بلا محال . بل إن رئيس الوفد الإسرائيلى في المباحثات ، أخرج من جيبه وثيقة كانت عبارة عن أوراق من الميثاق الوطنى الفلسطينى ، وتلا المفاوض جزءاً من هذه الأوراق على مسامع الحاضرين بالقول إن الميثاق يدعو إلى تدمير دولة إسرائيل في مواده ٢٠ ، ٢١ وتساءل كيف تطالبنا مصر بأن نقر بشعب فلسطينى يريد تدميرنا وإزالتنا من الوجود ؟ . وبعد أن أعاد الوثيقة إلى جيبه ، عاد ليكمل أنه لا توجد أمه فلسطينية على الإطلاق وإذا كان هناك فلسطينيون ، فإنه وبعد البحث في أسسهم التاريخية اتضح أنهم يهود من سكان

إسرائيل . ولم يكن أمام مصر إزاء هذا التعنت الخطير إلا أن تدين في أكتوبر ١٩٨٣ ، ومن جديد ، هذه المفاهيم الخطيرة فيما يتعلق بسياسات الاستيطان والحكم الذاتى في الضفة والقطاع .

وعادت مصر من جديد تؤكد في سياستها على مجمل مواقفها من إسرائيل ، وطالبت في هذا الصدد بانسحاب إسرائيل من لبنان . والجديد الذى حملته الجهود المصرية في ١٩٨٣ هو إبلاغ إسرائيل بأن سوريا سوف تنسحب من لبنان في حال انسحاب إسرائيل من أراضيه . كما أنها طلبت من إسرائيل ألا تربط بين قضية لبنان والقضية الفلسطينية وألا تجعل الحل اللبناني مرهوناً بالمشكل الفلسطيني . وكما هو متوقع فقد تجاهلت إسرائيل في هذه المرة المطالب المصرية أيضاً ، بل وأصرت على عودة السفير الإسرائيلى كخطوة أولى ، وقبل إثارة أي شيء . إلا أن مصر ردت بشروطها الثلاث : انسحاب إسرائيل من لبنان وعودة طابا وإحداث تقدم فيما يخص أوضاع الفلسطين ، كمقدمة لإعادة السفير إلى تل أبيب . ولكن إسرائيل لم تعر رد الرئيس مبارك أي اهتمام وتجاهلته ! .

● ● ●

في أواخر عام ١٩٨٣ استقبل الرئيس مبارك السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وأجرى معه مباحثات سياسية هامة دارت حول مجمل الأوضاع في المنطقة العربية ، وأكد مبارك في هذه المباحثات موقف مصر الثابت إلى جوار حقوق الشعب الفلسطينى . انتهى اللقاء ، ولكنه ظل محوراً للنقاش داخل الحكومة الإسرائيلية فالجميع يرى أن لقاء مبارك ــ عرفات هو أمر خطير يجب مقاومته ، وأن مثل هذا اللقاء يعد خرقاً لاتفاقات كامب ديفيد ، بل إن وزير الخارجية الإسرائيلى تحدث في جلسة مجلس الوزراء الذى طرح فيه الموضوع ليقول إن استقبال مبارك لعرفات هو ضربة ولطمة قاسية لعملية السلام في الشرق الأوسط .

وأضاف : أن مصر الدولة التى نلتزم معها باتفاقية سلام تجرى محادثات مع الإرهابى الأول والمخرب الأول لأمننا .. وتساءل : كيف ذلك ؟ !! ..

وقال وزير الدفاع الإسرائيلى أمام مجلس الوزراء أن الحل هو في اختفاء منظمة التحرير الفلسطينية من على الخريطة السياسية في الشرق الأوسط وأن ذلك أمر ضرورى لإحلال السلام والاستقرار في الشرق الأوسط ، إنه عندما قامت الولايات المتحدة بتأييد هذا اللقاء على أساس أنه قد يسهم في إحداث نوع من المرونة على المواقف الفلسطينية ، اعتبرت إسرائيل أن ذلك الموقف الأمريكى هو موقف غير موضوعى ، وصرح رئيس الوزراء الإسرائيلى في هذا الصدد بأن التأييد الأمريكى للقاء مبارك ـــ عرفات قد أحدث أثراً عكسياً على العلاقات الأمريكية ـــ الإسرائيلية بل إن وزير الدفاع الإسرائيلى تمادى في وقاحته فأتهم الحكومة المصرية بأنها خرقت معاهداتها الدولية مع إسرائيل باستقبالها ياسر عرفات .. ولكن مصر لم تعبأ بذلك العواء الإسرائيلي ! .

● ● ●

في بداية عام ١٩٨٤ ، قام المبعوث الأمريكى « راسفيلد » بزيارة خاصة للمنطقة . زار فيها مصر وإسرائيل بهدف تلطيف الأجواء بينهما ، ولكنه فشل في مهمته . خصوصاً وأن شامير ألقى بالمسئولية الكاملة على مصر في تردى العلاقات . في حين قالت مصر إن علاقاتها مع إسرائيل لن تكون على حساب علاقاتها مع الدول العربية . وإن أمنها لا يتجزأ عن أمن المنطقة بأي حال من الأحوال .

ومع قدوم مايو ١٩٨٥ ، أبدت مصر رغبتها من جديد في ضرورة البحث عن حل واقعى لمشكلة الشرق الأوسط ، وكذلك لمشكلة طابا .. وقد دعمت مصر من جديد موقفها بشأن طابا بعدد من الأسانيد التاريخية والخرائط الجغرافية التى تؤكد حق مصر في هذه الأراضى .

ولكن إسرائيل لم تستجب للنداء المصرى وتجاهلته من جديد . بل والأدهى من ذلك أنه أعقب هذا النداء قرار إسرائيلى بفرض القوانين العسكرية ولوائح الطوارىء على الفلسطينيين في الضفة والقطاع . فاحتجت مصر وقامت بتحرك دولي واسع النطاق ، ولكن دون جدوى .

بل إن إسرائيل وجهت اللوم إلى مصر على ما اسمته بتدخلها السافر في قضايا تهم الأمن الداخلى الإسرائيلى .

وفي مقابل الحملة المصرية راح شامير يؤكد للجميع أن إسرائيل تحتج على السلوك المصرى وأنه يكفى أن الرئيس مبارك لم يقم ولو مرة واحدة بزيارة إسرائيل حتى هذا الوقت .

وعندما قيل له أن مبارك كان ينوى زيارة إسرائيل ، ولكنكم صممتم على أن تضعوا في برنامجه زيارة القدس . رد شامير بأن زيارة مبارك لا ضرورة لها إن لم تشتمل على زيارة القدس .

وأمام رفض مبارك للشروط الإسرائيلية تلك ، كانت الولايات المتحدة تمارس ضغوطها من اتجاه آخر .

لقد تحدث أحد كبار المسئولين في الإدارة الأمريكية عن تخوف واضح من قبل الأمريكين والإسرائيليين من تصرفات مبارك . بل إنه قال .. إن الرئيس المصرى ضل طريقه إلى السلام حينما رفض زيارة القدس ، وإنه بحاجة إلى تذكير منا ، بأن طريق السلام وعودة سيناء يمران عبر القدس ..

وأمام احتجاجات إسرائيل فقد ردت مصر بأن هناك اتفاقيات دولية تحكم إطار العلاقة بين البلدين ، وأن إسرائيل قد خرقت إطار هذه العلاقة عندما ضمت القدس وحولتها إلى عاصمة لها ، وأن القدس هي من القضايا المختلف عليها .

وفي لقاء حدث بين وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ومسئول إسرائيلي كبير ، رد هذا المسئول على موقف مصر بقوله « إن إسرائيل قبلت بمبادلة أرض استراتيجية مقابل مجرد وعد بالسلام ، وإنها تنازلت عن سيناء بمفاتيحها وثرواتها ومطاراتها وبترولها .. وإن كل ذلك فقط مقابل اعتراف مصرى بإسرائيل . وأضاف : وعلى الرغم من كل هذه العطايا (!!) التى قدمتها إسرائيل لمصر ، فإن سلوك رئيسها لا ينم بالمرة عن استعداد حقيقى لوضع هذه الوعود محل التطبيق وأضاف أن الرئيس المصرى يجد صعوبة بالغة في أن يتفق مع روح ونصوص كامب ديفيد » .

ولكن هذا الموقف الإسرائيلى الوقح لم يؤثر في الموقف المصرى في هذا الوقت . فقد ظلت مصر مستمرة في رفضها لسياسات إسرائيل العدوانية ، ومطالبتها لها بضرورة إقرار الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى وإعادة طابا إليها . وفي أبريل ١٩٨٤ احتجت مصر رسمياً لدى السلفادور لنقلها سفارتها إلى القدس ، وقرر مبارك استدعاء السفير المصرى في السلفادور احتجاجاً على هذا التصرف ، كما أنها قامت بعد ذلك بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع كل من السلفادور وكوستاريكا للسبب نفسه ..

بعد ذلك استدعت الخارجية المصرية السفير الإسرائيلى بالقاهرة وطلبت منه إبلاغ حكومته بأن مصر تحمل إسرائيل مسئولية ما يحدث في القدس ، وأنها تستنكر وتدين عمليات العقاب الجماعى الذى دأبت اسرائيل على القيام به ضد الشعب الفلسطينى في الأراضى المحتلة . كما احتجت مصر على تصريحات شامير بخصوص إقامة المستوطنات حيث سبق إن أدلى بتصريح بهذا الشأن قال فيه « إن إقامة مستوطنات جديدة هو عمل مقدس ويجب ألا يتوقف لأنه قلب وجود إسرائيل وحياتها » .

ومع قدوم يوليو ١٩٨٤ ، حاول شيمون بيريز أن يوهم مصر بأنه مختلف مع شامير في تصوره لقضية السلام عندما قال إنه سيحاول إعطاء صورة السلام مع مصر حياة جديدة ، وإنه سيسعى إلى التوصل إلى اتفاق مع الأردن ، إذا فاز حزبه في الانتخابات . ولكن سرعان ما ذهب حديث بيريز أدراج الرياح ، عندما قام الاتحاد السوفيتي بتوجيه الدعوة لعقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط . وأيدت مصر تلك الدعوة ، وطلبت من إسرائيل الموافقة على قبولها ، لأنها تمثل أساساً في دفع عملية السلام . ولكن شامير ومعه الحكومة الإسرائيلية رفض الدعوة السوفيتية ، بل وصفها بأنها مؤامرة أعدها زعماء الكرملين بالاشتراك مع العرب ، وأنه إذا أرادت مصر أو غيرها من البلاد العربية دفع عملية السلام ، فإن إسرائيل تطرح في المقابل فكرة المفاوضات المباشرة لأنها البديل الوحيد القادر على تحسين الموقف في المنطقة . ورأت مصر عندئذ أن إسرائيل تضع عراقيل جديدة أمام الجهود الدولية ولم يكد يمضى شهر يوليو ١٩٨٤ ، حتى تقدمت مصر باقتراح جديد طلبت من إسرائيل القبول به .. وقد تمثلت أسس هذا الاقتراح في بنود ثلاثة هي :

- المطالبة بالالتزام بإطار السلام في الشرق الأوسط
- قيام إسرائيل بإتخاذ خطوات عاجلة تهدف إلى إنهاء احتلال الأراضى اللبنانية كاملة .
- ضرورة قبول إسرائيل بإجراء مفاوضات للوصول إلى تسوية عادلة للقضية الفلسطينية .

ولكن إسرائيل بدلاً من أن ترد بالموافقة على الاقتراحات المصرية ربطت بينها وبين عودة السفير المصرى إلى تل أبيب أولاً ، ثم مناقشة الأمر بعد ذلك .

وفي أغسطس من نفس العام أكد أسامة الباز للحكومة الإسرائيلية أن مصر تقيس إيجابية الموقف الإسرائيلي طبقاً لاقترابه أو ابتعاده من حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وتعاملها مع الدول العربية المجاورة .

ورداً على ذلك فقد أوضح بيريز للحكومة المصرية في سبتمبر من نفس العام أن إسرائيل الآن تتطلع بصدق إلى تحسين العلاقات مع مصر بل وتعميقها وتعزيز أسس السلام بشكل دائم ومستمر .

وكانت تلك هي المرة الأولى التي يخبر فيها مسئول إسرائيلي كبير الحكومة المصرية بأن إسرائيل ستسعى أيضاً إلى سحب القوات الإسرائيلية من لبنان . وقد رحبت مصر بتلك البادرة من شيمون بيريز ، وتطلعت إلى أن تقوم إسرائيل بالإجراءات العملية لتنفيذ ذلك . وأعقب ذلك مباشرة قبول إسرائيل لمبدأ التحكيم بشأن طابا طبقاً لنصوص اتفاقية السلام .

• • •

في بداية ١٩٨٥ ، كانت هناك مباحثات مصرية ــ إسرائيلية في بير سبع ، بحضور مراقبين أمريكيين ، وقد دارت المباحثات حول منطقة طابا ، وقد أبلغ المفاوض المصرى في هذه المباحثات أن أي وجود للبوليس الإسرائيلي في هذه المنطقة يعد انتهاكاً لاتفاق السلام ، والمباحثات التى سبق أن جرت بشأن طابا . وكان المفاوض المصرى يتحدث بناء على معلومات تؤكد خرق إسرائيل لما تم التوصل إليه من اتفاقات سابقة .

وقد نجحت هذه المفاوضات ، في أن تتوصل بعد جدل شديد بين أطرافها إلى إعداد مشروع حول طبيعة المهام التى هي من اختصاص القوة متعددة الجنسيات في طابا . ولكن ذلك لم ينف عدم حدوث أي تقدم ملموس في القضية حتى تلك

الفترة . وفي أبريل ١٩٨٥ وجهت مصر الدعوة إلى التفاوض من جديد بقصد استكمال مباحثات بئر سبع ، ورد بيريز على الدعوة بأن إسرائيل مستعدة لمناقشة مصر لأحقيتها في طابا ، والدخول في مفاوضات بشأن مجمل القضايا الأخرى . ولكن المباحثات بدأت ، ولم يحدث التقدم المنشود .

هنا وصلت الأمور إلى آخرها بالنسبة للطرف المصرى ، الذى رفض سياسة الصلف والعناد الإسرائيلى .

وبالفعل ، وبعد هذه المفاوضات غير المجدية ، كلف الرئيس مبارك وزير خارجيته عصمت عبد المجيد في نفس الشهر ، بتشكيل لجنة دائمة من وزارة الخارجية المصرية برئاسته لتولى إعداد خطة العمل ، لجمع المستندات والوثائق اللازمة التى من شأنها تدعيم وجهة نظر مصر بشأن طابا أمام هيئة التحكيم الدولية . وقد ضمت هذه اللجنة ممثلين عن وزارات الخارجية والدفاع والعدل ومجلس الدولة والجمعية الجغرافية والتاريخية والجامعات . وبعد أن تم تشكيل اللجنة أوضحت مصر لإسرائيل أن التحكيم أصبح مطلباً أساسياً بالنسبة لمصر .

وبعد جولة أخرى من المفاوضات وضح أن الهوة في الخلاف لا تزال قائمة بين الجانبين . وكادت تتم جولة ثالثة ، عندما قرر مجلس الوزراء الإسرائيلى إرسال وفد إسرائيلى إلى القاهرة ، ولكن مصر شعرت بأن اللقاء لن يكون مجدياً ، ولذلك قررت عدم استقبال الوفد الإسرائيلى .

وفي ١٦ أبريل ١٩٨٥ ، قام عزرا وايزمان بزيارة قصيرة إلى القاهرة ، وحمل رسالة من بيريز تطالب بعقد قمة عاجلة بينه وبين مبارك ، إلا أن مبارك رفض ذلك مالم يتم تحقيق تقدم حقيقى لعملية السلام في المنطقة .

وبدأت الولايات المتحدة تمارس ضغوطها أيضاً ولكن كانت لغة الرفض هي السائدة .

وفي هذا العام أرسل مبارك رسالة إلى الرئيس الأمريكي ريجان يدعوه فيها إلى توجيه الدعوة إلى وفد أردنى فلسطينى لإجراء حوار أمريكى ـ فلسطينى ، حول أسس السلام في المنطقة ، كمقدمة لعقد المؤتمر الدولي ، إلا أن الولايات المتحدة كان لها شروطها المعروفة ، ومن ثم لم يتم الحوار من أساسه .

وفي أعقاب هذه الرسالة طرح مبارك مشروعاً جديداً للسلام طالب إسرائيل بقبوله وتركز المشروع على بندين أساسيين هما :

- ضرورة إجراء حوار مباشر بين إسرائيل والوفد الأردنى الفلسطينى باشتراك مصر أو حتى بدون اشتراكها .
- يعقب تلك الجولة من المفاوضات انعقاد مؤتمر دولي للسلام تشترك فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وعلى الرغم من أن هناك تحفظات كثيرة على هذا الاقتراح الذى تقدم به الرئيس مبارك ، فإن الرد الإسرائيلى جاء كما هي العادة . لقد قال شامير عن اقتراح مبارك « إن ذلك الاقتراح هو محاولة مصرية لأن نعترف بالمنظمة ، ومبارك يعرف تماماً أننا لا نقبل أبداً التفاوض مع المنظمة ، حتى وإن اعترفت هي بحقنا في الوجود ، كيف لمبارك أن يدخلنا في مفاوضات مع إرهابيين . وأضاف أن مصر تطالبنا بإعادة الأراضى المشار إليها في القرار ٢٤٢ ونحن نقول لمبارك إنا أعدنا ٩٠٪ من الأراضى بإعادتنا سيناء إليك ولن نفكر في إعادة أية أراضٍ جديدة لأى طرف عربى » وقال بيريز « إن مقترحات مبارك لا تتفق البتة مع أسسنا ومفاهيمنا حيال السلام في المنطقة ، وإنه يطالبنا بإجراء محادثات مع ياسر عرفات ، وهذا شيء مستحيل . وأضاف : إن ياسر عرفات مازال يستخدم الإرهاب كوسيلة أساسية لتحقيق أهدافه للنيل من أمن إسرائيل ولا يمكن أن يسير الإرهاب والمحادثات معاً » .

حاولت إسرائيل بعد ذلك الدفع بكل ما تملك من أجل تحييد مبارك تجاه مشاكل المنطقة .. ولكنه كان يرفض ، مما دعا بيريز إلى القول إنه يشعر بخيبة أمل عميقة لأن مصر لم تستجب لمحاولاتنا في تحسين العلاقات بين البلدين .

وقد رد مبارك على ذلك بالقول بأن مصر غير راضية عن جهود إسرائيل المعرقلة لعملية السلام ، وطالبها بتوقيع اتفاقية حظر استخدام وإنتاج الأسلحة الذرية ، وقبول نظام المراقبة الدولية على منشآتها النووية .

وقد شهد هذا العام أيضاً انسحاب إسرائيل غير الكلى من لبنان حيث احتفظت ببعض قواتها في الشريط الحدودى الجنوبي .

وقد أوضح مبارك في رسالة إلى الحكومة الإسرائيلية ترحيبه بهذا الانسحاب شريطة أن يجرى بشكل كامل ومن كل الأرض اللبنانية . وقال إنه مادام لم يتحقق هذا الشرط والشروط الأخرى ، فإن الجمود سيظل مسيطراً على العلاقة بين الطرفين .

وفي يونيو من نفس العام عقد مجلس الوزراء الإسرائيلى اجتماعاً لمناقشة العلاقة مع مصر . وشهد المجلس نقاشاً ساخناً وخلافات محتدمه حول أسلوب القيادة المصرية في التعامل مع إسرائيل ، وأوضح شامير أن سياسة مصر ومحاولة تقربها من العرب تمثل انتهاكاً لإطار السلام المصرى الإسرائيلى .

ولم يتوصل هذا الاجتماع إلى رأي بشأن إحالة النزاع حول طابا إلى التحكيم الدولي ، مما دعا مصر إلى إبلاغ الحكومة الإسرائيلية بأنها لن تعود إلى مائدة المفاوضات حول مشكلة طابا ، إلا بعد أن تتسلم رداً رسمياً من إسرائيل بقبولها مبدأ التحكيم الدولي . وقد كانت هذه الرسالة سبباً في نشوب خلاف حاد بين شامير وبيريز ، حيث رأى بيريز أنه لابد أن تحول القضية للتحكيم الدولي وأن

إسرائيل يجب أن تبذل المستحيل من أجل أن تحتفظ بطابا عن طريق التحكيم . في حين كان شامير يعارض هذه الفكرة ويرفضها من أساسها . ومع ذلك فقد انتهى الخلاف ـــ بعد ذلك ـــ حول هذه النقطة ، وتم إقناع شامير بالقبول بالتحكيم لتحقيق هدف أسمى وهو إعادة العلاقات الطبيعية مع مصر إلى سابق عهدها .

وبالفعل ، فقد تلقت مصر رسمياً من إسرائيل ما يفيد بقبولها لمبدأ التحكيم حول طابا . ولذلك فقد جرت في شهر سبتمبر من نفس العام محادثات اشتركت فيها الولايات المتحدة حول تطورات طابا ، وكانت المباحثات قد عقدت بفندق « مينا هاوس » بالقاهرة . إلا أن تطوراً خطيراً شهدته العلاقة بين الطرفين ، بعد قيام إسرائيل بالإغارة على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس ، وقتل وجرح العشرات من الفلسطينيين فيها . فقد أبلغت مصر إسرائيل إدانتها واستنكارها الشديد لهذه الأعمال الإجرامية الإسرائيلية ، بل إن مبارك قال في بيانه « إن ذلك العمل يعد من الأعمال الإرهابية الفظيعة وإنكم بعملكم هذا تدمرون السلام وتصيبونه في مقتل » .

وقد رفضت مصر كل المبررات التى قدمتها الحكومة الإسرائيلية في هذا الصدد بل إن الرئيس مبارك خاطبهم بالقول « إن جميع المبررات لن تكون مقنعة » .

وقد انتفضت مصر في مواجهة ذلك العمل الإجرامى . فاندلعت المظاهرات من الأزهر والجامعات تدين هذه العملية البربرية . وفي نفس العام قام الجندى البطل الشهيد سليمان خاطر المكلف بحراسة خط الحدود في سيناء بإطلاق النار على سبعة إسرائيليين فقتل وأصاب بضعة إسرائيليين لعدم امتثالهم للأوامر بالتوقف . وهنا نشبت الأزمة بين مصر وإسرائيل حول هذا الحادث الذى طلبت إسرائيل تفسيراً رسمياً له ، بينما وجدت فيه مصر حادث حدود عادياً ، يمكن أن يتكرر في أي مكان .

وفي العام ذاته تجددت مشكلة دير السلطان ، والذى تمسكت مصر بإعادته إلى الكنيسة المصرية ، ولم توافق إسرائيل على الطلب المصرى ، وطلبت مصر أن يحال النزاع إلى القضاء . وبالفعل ، صدر حكم من المحكمة العليا الإسرائيلية قضى بإعادة الدير إلى الكنيسة المصرية . وانتظرت مصر تنفيذ القرار ، ولكن سرعان ما اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى ، وأصدر قراراً يوقف هذا الحكم بقرار وزارى استثنائى . واحتجت مصر على القرار ووصفته بأنه عمل يخالف الامتثال لقواعد القضاء والقانون ، وبعدها أصدرت مصر قراراً بمنع سفر الحجاج المسيحيين المصريين لزيارة القدس حتى يعود دير السلطان .

وشهد آخر العام اتصالات مصرية ـــ إسرائيلية بشأن إعتقال إسرائيل لعدد من المدنين اللبنانيين ، وقد بررت إسرائيل لمصر ذلك التصرف بأنه إجراء أمنى لتأمين عمليات الانسحاب الإسرائيلى . وقد طالبت مصر بسرعة الإفراج عن المعتقلين ، خصوصاً وأنها قد علمت أن إسرائيل قامت بنقل هؤلاء المعتقلين إلى الأراضى الفلسطينية المحتلة . وأوضحت مصر أن ذلك يعد خرقاً لقواعد القانون الدولي ، كما أنه يمثل خرقاً لاتفاقية جنيف الرابعة التى تحظر نقل المدنيين إلى أراضى دولة الاحتلال .

● ● ●

في بداية يناير ١٩٨٦ ، اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى ليبحث من جديد طلب الحكومة المصرية بضرورة إنهاء مشكلة طابا ، بعد أن فشلت عملية التوفيق . وقد أوضحت مصر في طلبها المقدم إلى الحكومة الإسرائيلية أن الأمر الآن ينحصر في تحديد موقع العلامات الحدودية على الطبيعة . وبالتالى فلابد من استخدام خبراء دوليين يقومون بتحديد هذه العلامات . وبناءً على ذلك وبعد مناقشات مستفيضة أصدر مجلس الوزراء الإسرائيلى قراراً يتضمن أربع عشرة نقطة ، أهمها النقطة

الخاصة بقبول اسرائيل لمبدأ التحكيم الدولي . واستدعى بيريز القائم بالأعمال المصرى في تل أبيب وأبلغه بهذا القرار . وقد اعتبرت مصر أن ذلك يعد خطوة إيجابية من إسرائيل بالنسبة لمشكلة طابا إلا أن الأيام أكدت أن موقف إسرائيل هو هو ولم يتغير بدليل أن مشكلة طابا لم تزل تواجه العقبات . والسبب هو الموقف الإسرائيلى الذى يلجأ للتزوير دوماً في الإسانيد التاريخية والجغرافية . على أية حال فقد أبلغت مصر ردها رسمياً على النقاط الأربع عشرة حول هذا النزاع في ١٦ يناير ١٩٨٦ . وطلبت من إسرائيل عقد اجتماع بين ممثلى البلدين لبحث النقاط الإضافية الواردة في المذكرة الإسرائيلية بشأن طابا . وعقد هذا اللقاء والذى يعد التاسع من نوعه بشأن طابا . وفي اللقاء أوضح المسئولون المصريون أن مصر مع تقديرها لموافقة إسرائيل على إحالة النزاع إلى التحكيم الدولي إنها ترفض أن يتم الربط بين صيغة التحكيم وأية شروط أخرى ، وأن ذلك الربط يتم عن سوء نية مسبقة من قبل إسرائيل .

وقد استمرت المباحثات ــ لشهور طويلة ــ بين الفريقين ولكن الولايات المتحدة تدخلت في سبتمبر ١٩٨٦ ، تحاول تقريب وجهات النظر بين الطرفين حول صيغة التحكيم . فمصر كانت ترى أن الصيغة يجب أن تطلب الكشف عن حق موجود في حين أن إسرائيل كانت ترى أن الصيغة تنشىء حقاً جديداً . لكن الجهود التى بُذِلت نجحت في إيجاد اتفاق نهائى حول مشارطة التحكيم في طابا .

ثم يتجدد الخلاف من جديد حيث أبلغت مصر إسرائيل بأنها ستعتمد على الخرائط التاريخية بينما أصرت إسرائيل على الاعتماد على المسح الجغرافى وأن تحدد مصر وإسرائيل مكانين يحتمل أن تكون العلامة في أحدهما . ولكن مصر رفضت ذلك .

• • •

ثمة تطور جديد طرح نفسه بعد التوصل إلى مشارطة التحكيم بشأن طابا ، فقد التقى مبارك وبيريز في الإسكندرية في ١١ سبتمبر ١٩٨٦ ، وكان شيمون بيريز يتولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية . ووضح من المباحثات أن بيريز يرفض مشاركة سوريا في أية مفاوضات خاصة بالتسوية . وعلل ذلك بأن سوريا تصر دائماً على أن التسوية بينها وبين إسرائيل يجب أن تتم في ضوء التوازن الاستراتيجي بينهما . ولذلك عندما طرح بيريز اسماء الدول المعنية بحضور المؤتمر الدولي لم يذكر إلا مصر والأردن واستبعد سوريا ومنظمة التحرير . كما وضع شروط لمشاركة الاتحاد السوفيتي في المباحثات من بينها السماح بهجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل ، وإعادة العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين . وقد نجح مبارك في هذا اللقاء فى أن ينتزع من بيريز اعترافاً ـــ لأول مرة ـــ بالموافقة على صيغة المؤتمر الدولي ، وإن كان بيريز قد وضع شرطاً أفرغ هذه الصيغة من محتواها المتعارف عليه ، إذ ربط هذه الصيغة بالمفاوضات المباشرة بين العرب وإسرائيل . بالرغم من ذلك ، فإن بيريز عاد إلى فلسطين المحتلة لتدب الخلافات بينه وبين شامير ، وتنتصر في نهاية الأمر وجهة نظر شامير ، وكأن المسألة هي توزيع أدوار بين الطرفين .

وشهد عام ١٩٨٦ ، أيضاً اتصالات مصرية ـــ إسرائيلية دارت بشأن فحوى الاتفاقيات التى تنظم العلاقة بين الطرفين ، حيث طلبت إسرائيل من مصر أن تعطيها في الاتفاقيات الثنائية وضعا متميزاً ، كأن تكون الدولة الأولى بالرعاية ، إلا أن مصر رفضت ذلك الشرط الإسرائيلى واعتبرت أن الاتفاقيات كافة التى يمكن أن تعقدها بشأن العلاقات الثنائية هي اتفاقيات عادية ، وأن إسرائيل سوف تعامل كما تعامل مصر أي من الدول الأخرى .

وفي وقت كانت إسرائيل تحاول أن تظهر فيه بمظهر الباحث عن السلام ، كانت تقوم من ناحية أخرى بإقامة نحو ٦ مستوطنات إسرائيلية جديدة في الضفة الغربية

المحتلة مع نهاية عام ١٩٨٦ ، كما صادرت في هذا الوقت نحو ٧٠٠ دونم من الأراضي المحتلة بالقدس لتخصيصها لأغراض عسكرية . وهي كلها أمور دعت مصر إلى الاحتجاج من جديد ، ولكن لا أحد يسمع ، ولا أحد يستجيب .

وعندما قام بيريز بزيارته التالية في فبراير ١٩٨٧ ، حاول تبرير مواقف إسرائيل بالقول ، بأنها إنما تأتى استجابة للدواعي الأمنية للدولة الإسرائيلية .

ولقد طرح بيريز في زيارته تلك مشروعاً جديداً لصيغة المؤتمر الدولي يمثل تكراراً للمواقف الإسرائيلية القديمة . ومع ذلك فقد ظل شامير يشد الحبل من الناحية الأخرى وكأن اللعبة مرسومة أبعادها سلفا .

لقد بدأت إسرائيل في ممارسة الضغوط ــ وبكل ما تملك ــ في مواجهة السياسة المصرية الباردة تجاه عملية التطبيع من وجهة نظرها وقد أخذت هذه الضغوط أبعاداً عديدة ، لم تعد قاصرة على إسرائيل وحدها ، وإنما تعدت ذلك إلى الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية .

وفي إجتماع لمجلس الوزراء الإسرائيلي ، عقد قبيل نهاية العام الماضى (١٩٨٧) قال أحد أعضاء الحكومة إن « سياسة مصر الحالية تعطى مؤشراً قوياً على أنها تريد التخلى عن التزام كامب ديفيد .. وإذا أرادت ذلك فسنعطيها الخيار الذى تريده لأنها هي الخاسرة في ضياع فرصة السلام مع إسرائيل .

يومها ، وفي ذلك الاجتماع الذى خصص جانب منه لبحث موضوع العلاقة المصرية ــ الإسرائيلية ، أو مع بعض الوزراء برؤوسهم ، موافقين على هذا الطرح ، بعد أن أشار أحدهم إلى قوله لعضو في الكونجرس الأمريكى ، من أصل يهودى ، بأن « عودة العلاقات العربية مع مصر اعطت مصر الضوء الأخضر لأن تتخلى عن التزاماتها تجاه اسرائيل » .

لقد حاولت إسرائيل ، وبذلت كل الجهود من أجل إبقاء القطيعة مستمرة بين مصر والعرب ، ولكن هذه الجهود باءت جميعها بالفشل . فقبل انعقاد قمة عمان الأخيرة حاولت الحكومة الإسرائيلية أن تبعث بمندوب على مستوى عال إلى مصر لمقابلة الرئيس مبارك وإفساد العودة المنتظرة لمصر إلى الساحة العربية . ويبدو أن القاهرة كانت تدرك طبيعة وأبعاد هذه الزيارة التى تقررت مع قرب انعقاد القمة العربية الطارئة .. ومن ثم أحبطت هذه المحاولة الخبيثة واشترطت الحكومة استقبال الوفد في حالين :

- إذا ما قبلت الحكومة الإسرائيلية بفكرة المؤتمر الدولي لتحقيق السلام في المنطقة .
- إذا ما كفت إسرائيل عن ممارساتها القمعية في الأراضى المحتلة .

.. لقد كان الرد المصرى على رسالة الخارجية الإسرائيلية التى تسلمها عصمت عبد المجيد في شهر أكتوبر الماضى عبر السفير الإسرائيلى في القاهرة مثار جدل ونقاش كبير داخل الحكومة والكنيست الإسرائيلى .

وقد أدرك الجميع أن القاهرة مصممة على المضى في طريقها ، وأنها بدأت مرحلة المواجهة المكشوفة مع إسرائيل .

ولهذا ، وبعد عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وعدد من البلدان العربية ، عقد عدد من أعضاء الكنيست الإسرائيلى اجتماعاً في ١٤ نوفمبر الماضى مع رئيس الوزراء إسحاق شامير ناقشوا فيه ملف العلاقة مع مصر والتطورات على ضوء نتائج قمة عمان . فقال أحد الوزراء إن مصر لا يمكن أن تتخلى عن استراتيجيتها التى تعتبر أن إسرائيل هي العدو الأساسى لها في المنطقة .. « وهذا يوجب علينا أن نبنى استراتيجيتنا على أساس رؤيتها لدورنا » . وطالب عضو آخر بضرورة اتخاذ اجراء سريع لإلغاء كامب ديفيد . في حين قال ثالث إن مصر قد حققت غايتها من اتفاق

السلام ، واستردت سيناء ولم يبق أمامها إلا أن تعود لتمارس دورها العربى وعلى هذا الأساس يجب التعامل معها ..

وبعد مشاورات مكثفة كان قد أجراها شامير ـــ لعدة أسابيع ـــ متتالية مع أعضاء الحكومة ، اتفق مبدئياً على تقديم احتجاج رسمى وشديد اللهجة إلى الحكومة المصرية بصدد علاقتها المتردية مع إسرائيل ، وطالب شامير في هذا الاحتجاج بضرورة أن تتخذ مصر خطوات ملموسة في اتجاه تطبيع العلاقة بين الطرفين ..

بيد أن الحكومة المصرية تجاهلت الاحتجاج من أساسه ، خصوصاً وأنها كانت قد تسلمت قبل ذلك رسالة من الخارجية الإسرائيلية تحتج فيها على قيام مصر بطرد مدير المركز الأكاديمى الإسرائيلى في القاهرة بتهمة التجسس . وكانت مصر قد أوضحت في رسالة للخارجية الإسرائيلية أن مدير المركز الأكاديمى قد استغل موقعه للحصول على بعض التقارير السياسية والمعلومات الخاصة بالوزارات والأجهزة الحساسة ، وأنه قام بإرسال هذه المعلومات كاملة إلى الحكومة الإسرائيلية ، مما يعنى أنه لا مبرر لبقائه على أرض مصر .

وبالفعل ، فقد جرى ترحيل الجاسوس الإسرائيلى ، لكن الحكومة الإسرائيلية راحت تهدد ـــ في المقابل ـــ بترحيل ثلاثة من الدبلوماسيين العاملين في السفارة المصرية في تل أبيب على أساس إجراء اتصالات مستمرة مع بعض الشخصيات الفلسطينية ورؤساء البلديات العرب ، ومناقشة موضوعات مخالفة لوجهة النظر الإسرائيلية .

والأدهى من ذلك أن إسرائيل طالبت أيضاً بإعفاء السفير المصرى فى تل أبيب محمد بسيونى من مهمته على أساس أنه لم يحقق أي تقارب في العلاقة بين البلدين بل أنه ساعد في تأزيم العلاقة من خلال التقارير السياسية التى يبعث بها حول طبيعة المواقف الإسرائيلية .

وقد وصل الأمر بعد ذلك إلى حد قيام عدد من الجنود الإسرائيليين بتوجيه إهانة واضحة في هذا الشأن ، إلى السفير المصرى ، أثناء مروره على طريق غزه فاحتجت مصر فوراً على هذه الإهانة التى تعرض لها سفيرها .

وعندما طلبت الحكومة الإسرائيلية من مصر أن تستبدل بالجنود المصريين العاملين في سيناء ، قرب الحدود مع فلسطين المحتلة ، جنوداً آخرين ممن يتبنون سياسات معتدلة تجاه إسرائيل وأرسلت قائمة بأسماء مئة ضابط وجندى مطلوب استبدالهم ، ردت مصر بالرفض وقالت في ردها على الطلب الإسرائيلى الغريب أن مثل هذه الأمور من مقتضيات السياسة الداخلية لمصر ، وأن الحكومة المصرية ترفض التدخل الإسرائيلى في تحديد أبعاد سياستها الأمنية .. كما ترفض أي شروط في هذا الإطار .

وشهدت الأزمة تصاعداً بين الطرفين عندما وصل إلى الحكومة المصرية تقرير من سفارتها في تل أبيب يفيد بوجود خطة إسرائيلية لتهويد القدس على مراحل وأن هذه الخطة تفترض إتمام عمليات التهويد كاملة في العام ١٩٩٤ ، وذلك في ذكرى الاحتفال بمرور مائة عام على مشروع تيودور هرتزل لإنشاء دولة إسرائيل . فأرسلت مصر احتجاجاً رسمياً إلى إسرائيل وصفت فيه الخطة بأنها تشكل حجر عثرة أمام عملية السلام في المنطقة .

لكن شامير رفض الاحتجاج المصرى ، وأعلن خلال اجتماع لحكومته بأن « إسرائيل لن تتنازل عن القدس موحدة ، ولن تتنازل عن اتخاذها عاصمة لإسرائيل ، وأن تهويد القدس إنما هو من مقتضيات السياسة الداخلية لإسرائيل » .

وفي مقابل الاحتجاجات المصرية ، راحت إسرائيل تبحث في كل كبيرة وصغيرة بغرض تصعيد الموقف مع مصر وإجبارها على الصمت في مواجهة سياستها العدوانية .

لقد نددت بتصويت مصر ضد إسرائيل في الأمم المتحدة مما يخالف معاهدة السلام وبنودها الأساسية !

وقد جاء هذا الاحتجاج في أعقاب محاولات إسرائيلية ، تهدف إلى ثنى مصر عن مواقفها المساندة للقضية الفلسطينية ولمنظمة التحرير . وردت القاهرة على هذا الاحتجاج بالتأكيد على رفضها للممارسات الإسرائيلية العدوانية والتى تعيق تحقيق السلام في المنطقة .

كما رفضت مصر في ضوء ذلك مطلباً إسرائيلياً ، أبلغت به مؤخراً ، يهدف إلى محاولة إيجاد ركيزة لتنسيق مصرى ــ إسرائيلي ، يقضي بالبحث عن بدائل للمؤتمر الدولى ، وأجرت اتصالات مع عدد كبير من الدول الأوروبية لحثها على التحرك من أجل انعقاد المؤتمر الدولي ، كما رفضت مصر طلباً من الرئيس الأمريكى ريجان بعقد قمة بين مبارك وشامير أثناء زيارة مبارك الأخيرة للولايات المتحدة . بل وحتى عندما قام مصطفى خليل نائب رئيس الحزب الوطنى للعلاقات الخارجية في مصر بزيارة إلى تل أبيب لحضور الاحتفالات بذكرى زيارة السادات إلى القدس ، فإن الرئيس مبارك أبلغه قبل سفره أنه يجب أن يؤكد دائماً في محادثاته وأحاديثه على أنه ليس موفداً بصورة رسمية من الحكومة المصرية ، وأنه لا يحمل أية رسائل محددة إلى أي مسئول إسرائيلي .

وبالفعل ، فقد أكد خليل على هذه الحقائق في لقائه مع المسئولين الإسرائيليين مما أثار حفيظة الإسرائيليين .

إن التطبيع المصرى الإسرائيلي يشهد حالة جزر واضحة منذ عودة العلاقات بين مصر والعرب ، وقد رفضت مصر مؤخراً مطلباً إسرائيلياً جديداً بحث النقابات العمالية والمهنية والمنظمات الشعبية المصرية على تطبيع العلاقة مع المنظمات والنقابات الإسرائيلية ، وأكدت مصر في رفضها أن هذه المؤسسات لها هيئاتها

المنتخبة انتخاباً حراً مباشراً ، وأن جمعياتها العمومية هي وحدها المسئولة عن تحديد سياساتها الداخلية والخارجية ، وكانت مصر قد رفضت في هذا الصدد خمسة مطالب إسرائيلية سابقة ، كما رفضت زيارة أية وفود عمالية مصرية إلى إسرائيل ، مع أنه لم تطلب نقابة واحدة حتى الآن زيارة إسرائيل أو الالتقاء بمسئولين إسرائيليين .

وحاولت تل أبيب بذل جهود مع الحكومة المصرية ، لإحياء مباحثات الحكم الذاتى طبقاً لاتفاقات كامب ديفيد ولكن مصر رفضت ذلك من أساسه . وطلبت إسرائيل من الولايات المتحدة ممارسة الضغط على الحكومة المصرية في هذا الأمر ، وقام « مايكل ارماكوست » مساعد وزير الخارجية الأمريكى بزيارة القاهرة مؤخراً ، وحمل رسالة شفهية من ريجان إلى مبارك ، يطالبه فيها بإبداء بعض المرونة بشأن مباحثات الحكم الذاتى . إلا أن مبارك أبلغ المبعوث الأمريكى أن مصر مع المؤتمر الدولي ، وضرورة منح الفلسطينيين حق تقرير المصير وإقامة دولتهم المستقلة . كما طلب مبارك من المبعوث الأمريكى إبلاغ الرئيس ريجان بضرورة أن تسعى الولايات المتحدة لعقد المؤتمر الدولي . ولم تمر سوى أيام قليلة على هذا اللقاء حتى بعث الرئيس مبارك كتاباً عاجلاً إلى الرئيس ريجان ، قبل قمة واشنطن الأخيرة ، طرح خلاله التصور المصرى لموضوع العلاقة مع إسرائيل ، وكيفية تحقيق السلام في المنطقة . وقد حذر مبارك في رسالته من أن إسرائيل تقف حائلاً أمام إتمام عملية السلام وأن هذا من شأنه أن يساعد على ضياع فرص السلام وتصعيد التوتر في المنطقة . وقال إنه لابد من أن تقوم الولايات المتحدة بطرح أفكار جديدة للمساعدة في تقريب وجهات النظر بين الأطراف المعنية ، ومحاولة إقناع الحكومة الإسرائيلية بالتخلى عن رفضها لعقد المؤتمر الدولي والتجاوب مع نداء قمة عمان بهذا الخصوص . وأعلن مبارك في رسالته رفض إرسال مبعوثين أمريكيين إلى المنطقة في جولات استطلاعية لا تحقق نتائج تذكر .

على أن الحادث الذى كان له أكبر الأثر في العلاقة المصرية ــ الإسرائيلية هو حادث رفح الحدودى ، عندما وجهت طلقات من داخل الحدود المصرية إلى دورية إسرائيلية في الجانب الآخر من الحدود نتج عنها إصابة جندى إسرائيلي في يده . وقد أرسلت الحكومة الإسرائيلية احتجاجاً شديد اللهجة إلى مصر .. وأخطر ما أورده الاحتجاج أن إسرائيل تحمل مصر المسئولية الكاملة إزاء هذا الحادث . وأضاف الاحتجاج : أنه إذا قبلت الحكومة الإسرائيلية بتفسيرات الحكومة المصرية تجاه الحوادث السابقة ، فإنها لن تترك هذا الحادث يمر دون اتخاذ إجراءات مناسبة لمنع تكراره في المستقبل . وورد في الاحتجاج أيضاً أن إسرائيل لديها بيانات كاملة ومعلومات دقيقة بشأن حادث رفح ، وأن هذه المعلومات تشير إلى تورط وزارة الدفاع المصرية في الحادث . وشددت إسرائيل في احتجاجها على ضرورة أن تضع الحكومة المصرية حداً للأعمال التى يقوم بها من أسمتهم « بمناهضى المصالح الإسرائيلية في مصر » . وفي النهاية طلبت إسرائيل أن تقدم مصر تفسيراً فورياً لهذا الحادث ، وطرحت بديلين في هذا الصدد :

- أن تسلم الحكومة المصرية مرتكبى الحادث للحكومة الإسرائيلية .
- أن يتولى التحقيق في هذا الحادث لجنة تحقيق إسرائيلية على أن توفر مصر كافة الضمانات والتسهيلات اللازمة لعمل هذه اللجنة .

استاءت القيادة المصرية من لهجة الاحتجاج الإسرائيلي ، والمقترحات الواردة فيه . وأرسل عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى رد الحكومة المصرية عبر القنوات الدبلوماسية . وعبر في الرسالة التى وجهت إلى بيريز عن رأي مصر إزاء حادث رفح ، وقال : إن الحادث فردى وليس له أية أبعاد سياسية أو أمنية ، وأن مصر ترفض أن تشير الحكومة الإسرائيلية بأصابع الاتهام إلى وزارة الدفاع المصرية ، أو أية مؤسسة أخرى . وأن مصر إزاء تفسيرها لهذا

الحادث لا تزال تصر على ضرورة أن تكف اسرائيل عن ممارساتها التعسفية في الضفة وقطاع غزة والقدس ، وأن تستجيب لحل مشاكل المواطنين الفلسطينيين .

كما أبلغت مصر السفير الإسرائيلي بالقاهرة رفضها للمطالب الإسرائيلية ، خصوصاً ما يتعلق منها باستقدام لجنة تحقيق إسرائيلية إلى الأراضي المصرية . كما أبلغت مصر السفير الإسرائيلي أنها ستحقق في الحادث وستلتزم في تحقيقاتها بمعايير العدالة . لكن شامير رفض التفسيرات المصرية لهذا الحادث وقال إنه لابد أن يكون لذلك عواقب سيئة على العلاقات المصرية ــ الإسرائيلية ، إلى الحد الذى قد يدفع بإسرائيل إلى إلغاء اتفاق كامب ديفيد . وأكد شامير في رسالته على ضرورة أن تستجيب الحكومة المصرية للطلب الإسرائيلي بإيفاد لجنة تحقيق إسرائيلية لبحث أبعاد الحادث ..

وفي رأى المراقبين أن هذه هي المرة الأولى التى يؤكد فيها شامير صراحة على استعداد إسرائيل لإلغاء اتفاقات كامب ديفيد .. إذا ما استمر الحال على ماهو عليه .

على أية حال ، فإن ذلك لم يؤثر في موقف الحكومة المصرية ، بل إن هذا التهديد صاحبته أزمة دبلوماسية بين الطرفين ، إذ طلب موشيه ساسون السفير الإسرائيلي في مصر مقابلة وزير الخارجية المصرى بشكل عاجل ، ولكن الخارجية المصرية لم تحدد له موعداً إلا بعد مضى ٤٨ ساعة من إبلاغ الطلب . وقطعاً لم يكن هذا هو الموقف الأول تجاه موضوع التعامل مع السفير الإسرائيلي وهو ما دفع بالسفير لأن يطلب رسمياً من حكومته تعيين سفير جديد غيره لأنه لا يرغب فى العمل في القاهرة . وقال في رسالته إن الحكومة المصرية تضع العراقيل والصعوبات أمام عمله كسفير لإسرائيل في القاهرة ، وإن السلطات المصرية ترفض أن يشرح السفير الإسرائيلي وجهة نظر حكومته للمسئولين المصريين الذين يتجنبون اللقاء به .

وعندما قام موشيه ساسون بشرح تفصيلات خطابه الذى أرسله لحكومته للدكتور عصمت عبد المجيد ، لم يرد الأخير عليه سوى بعبارة واحدة « هذا شأنك وشأن حكومتك » .

وتتوالى الأزمات بين مصر وإسرائيل مع كل يوم جديد ففي ٢٩ نوفمبر ١٩٨٧ الذى يصادف الذكرى السنوية للتضامن مع الشعب الفلسطينى كانت مصر قد أصدرت قراراً بإعادة فتح مكتب منظمة التحرير بالقاهرة ، فاستدعت إسرائيل على الفور السفير المصرى محمد بسيونى إلى مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى حيث استقبله مدير مكتب رئيس الوزراء يوس بن هارون وأبلغه باحتجاج إسرائيل الرسمى على إعادة فتح مكاتب منظمة التحرير ، ووصفت إسرائيل هذه الخطوة بأنها لا تنسجم وروح معاهدة السلام ، وأنها تمثل حجر عثره جديداً أمام تطوير العلاقة مع إسرائيل .

وعندما وصل الاحتجاج إلى الخارجية المصرية فإنها أهملته تماماً .

وأمام الانتقادات الشديدة التى توجهها الحكومة ووسائل الإعلام المصرية للممارسات الإسرائيلية ، بعث شامير في أواخر العام الماضى ١٩٨٧ برسالة إلى الرئيس مبارك قال فيها « إن زمام السلام في المنطقة ليس في يد اسرائيل وحدها ، وإنما تشترك معها مصر بصورة أساسية في هذا المجال . وإن إعادة العلاقات العربية مع مصر ، يجب أن يدفع مصر لتوسيع عملية السلام في الشرق الأوسط بدلاً من لجوئها المستمر إلى انتقاد السياسة الإسرائيلية » . وأضاف شامير في رسالته بأن غالبية أعضاء حكومته يطالبونه بإلغاء السلام مع مصر . وفسر شامير ذلك في رسالته بأنه رد فعل للسياسات المصرية والانتقاد المستمر للسياسة الإسرائيلية ، وأورد شامير في نهاية رسالته أنه يجدد استعداده للقاء بالرئيس مبارك في القاهرة أو أي عاصمة أخرى .

وقد تجاهلت مصر هذه الرسالة أيضاً ، وقابلتها بانتقادات عنيفة ضد الممارسات القمعية الإسرائيلية في الأراضى المحتلة ، وأجرت اتصالاتها الفورية مع الدول الأوروبية والولايات المتحدة من أجل الضغط على إسرائيل لوقف هذه الممارسات خصوصاً مع بداية الأحداث الدامية التى رافقت الانتفاضة الشعبية في غزه والضفة . وعندما تزايدت حدة اللهجة المصرية في مواجهة القمح الإسرائيلى ، وهددت القاهرة باتخاذ اجراءات عنيفة إذا ما استمر الوضع في التدهور .

حاولت إسرائيل شرح الرؤية الإسرائيلية لأحداث الضفة والقطاع للمسئولين المصريين . لكن القاهرة رفضت استقبال أي مسئول إسرائيلي .

وأمام الألحاح الإسرائيلى المستمر وافقت مصر على استقبال عبد الوهاب دراوشه عضو الكنيست الإسرائيلى والذى حمل إلى الرئيس مبارك رسالتين ..

الأولى موقعة من بعض أعضاء الكنيست ، والثانية من شيمون بيريز ، وقد حملت الرسالة الأولى أفكاراً محددة لوضع حد للمظاهرات التى لا تزال مستمرة في الضفة والقطاع .

ومن بين هذه الأفكار أن تقوم الحكومة المصرية بإجراء اتصالات مباشرة مع الزعماء الفلسطينيين في الأراضى المحتلة لوضع حد لهذه المظاهرات ، وأن تجرى في المقابل أتصالات بالحكومة الإسرائيلية لبحث « التسهيلات » التى الممكن أن تقدمها إسرائيل للفلسطينيين . وبمعنى آخر فإن رسالة أعضاء الكنيست طلبت من مصر أن تقوم بمهمة الوساطة ، مع أن ذلك يتناقض وموقف شامير القائل بأن الوضع في الأراضى المحتلة هو « مسألة أمنية داخلية » وقد ردَّ الرئيس مبارك على هذه الرسالة بالقول إنه ليس من الشرف أو العدالة أن تقتل إسرائيل الأبرياء في الأراضى المحتلة ، وأن تقوم مصر بعد ذلك بالوساطة وفي وقت لا تزال فيه إسرائيل تتبع سياسة « القبضة الحديدية » في الأراضى المحتلة . وطلب الرئيس من دراوشة أبلاغ أعضاء

الكنيست بأن هذه الأحداث لن يطفأ لها لهيب إلا بعد إعادة الحقوق الفلسطينية المغتصبة . أما شيمون بيريز فقد قال في رسالته إنه على الرغم من العنف الذى يجتاح الأراضى المحتلة . إلا أن إسرائيل تظهر في الوقت الراهن استعداداً أكبر للتقدم نحو تسوية سلمية وأنه على استعداد لزيارة مصر واللقاء بالرئيس مبارك لإقرار الخطوة الأولى على طريق السلام . وبعد أن قرأ الرئيس مبارك الرسالة أبلغ دراوشة رفضه للقاء بيريز ، إلا بعد أن تكون هناك تأكيدات فعلية من إسرائيل لإقرار السلام . وعندما غادر دراوشة القاهرة ، أبلغ بدوره الحكومة والكنيست الإسرائيلى بحقائق الموقف المصرى ، وقد أثار هذا الموقف استياء كبيراً في أوساط الحكومة الإسرائيلية . فاستدعى شيمون بيريز السفير المصرى في تل أبيب محمد بسيونى بعد وصول رسالة الرئيس مبارك إليه وأبلغه بأن مصر غير راغبة في استئناف محادثات السلام مع إسرائيل . كما أنها غير راغبة أيضاً في الاستماع إلى رأى الحكومة الإسرائيلية بشأن الأحداث التى تشهدها الأراضى المحتلة حالياً . وأضاف بيريز قوله إن هذا يضعف من قوة اتجاهات حزبه الذى « يحاول جاهداً إقناع الأطراف الأخرى كافه في إسرائيل بضرورة استمرار عملية السلام » . وأشار بيريز في حديثه مع السفير المصرى إلى فتح ملف العلاقات المصرية ـــ الإسرائيلية معتقداً أن دراسة هذا الأمر سوف تدفع الحكومة الإسرائيلية إلى إتخاذ إجراءات غير ملائمة تماماً لعملية السلام ، وفي النهاية سلمه رسالة إلى وزير الخارجية المصرى تضمنت مناشدة الرئيس مبارك بضرورة اللقاء مع المسئولين الإسرائيليين ، للاستماع إلى وجهة نظرهم ، كما طلب في رسالته أيضاً عقد لقاء بينه وبين عصمت عبد المجيد في أي عاصمة من عواصم العالم ، إذا مارأت الحكومة المصرية أن هناك حرجاً قد تواجهه إذا ما سمحت بزيارة المسئولين الإسرائيليين للقاهرة في الوقت الراهن ، ومع تصاعد الأزمة في الأراضى المحتلة وقيام إسرائيل بإبعاد عدد من قادة الانتفاضة الفلسطينية إلى خارج البلاد احتجت مصر بشدة لدى تل أبيب ونددت بالقرار الإسرائيلي واعتبرت أن

ذلك يشكل تهديداً خطيراً لقضية السلام في المنطقة .. ! ولكن إسرائيل رفضت الاحتجاج المصري . وقالت إ هؤلاء الأشخاص ثبت تورطهم المباشر في الأحداث التى تشهدها الأراضى المحتلة منذ السادس من ديسمبر الماضى . وفي إطار الرفض الإسرائيلي جرى اتصال بين مصر ومنظمة التحرير والأردن أتفق فيه على أغلاق الحدود مع فلسطين ورفض استقبال المبعدين .

كما قامت مصر بتقديم احتجاج رسمى إلى إسرائيل نتيجة قيام بعض الزوارق الإسرائيلية مؤخراً بانتهاك المياه الإقليمية المصرية في منطقة شرم الشيخ ودون تصاريح خاصة وكانت الشرطة المصرية قد اعترضت في أواخر العام الماضى ١٩٨٧ نحو ٢٢ زورقاً إسرائيلياً في المياه الإقليمية المصرية دون تصاريح مسبقة .. وقد أبلغت مصر رسمياً قيادة القوة المتعددة الجنسيات في سيناء بهذه المخالفات وطلبت من هذه القوة أن تضيف إلى مهامها مراقبة الشواطىء المصرية بشرم الشيخ لتسجيل المخالفات الإسرائيلية التى تعددت خلال الفترة الأخيرة ..

.. أما الأزمة الأخيرة والتى شهدتها العلاقة المصرية ـــ الإسرائيلية ، فقد جاءت بسبب التصريحات التى أدلى بها إسحاق شامير في اجتماع له مع رجال الأعمال الإسرائيليين ، عندما رد على اتهام الرئيس مبارك لإسرائيل بخرق اتفاقيات كامب ديفيد ، واتباع سياسة قمعية في الضفة والقطاع . قال شامير إن إسرائيل لم تخرق كامب ديفيد كما زعم الرئيس المصرى (!!) وأن مصر بعد استردادها لسيناء دأبت كل يوم على إضافة رصيد جديد من أرصدة انتهاكاتها لكامب ديفيد ، وأكد أن الرئيس المصرى أثبت (نواياه العدوانية) الواضحة تجاه إسرائيل عقب عودة العلاقات العربية مع مصر . وذلك عندما سمح لأجهزته ومؤسساته بإطلاق النيران على الإسرائيليين في رفح ، وضرب المصالح الإسرائيلية في مصر ، وأن إسرائيل لا يمكن لها أن تسكت على الاعتداءات المصرية على المصالح الإسرائيلية في مصر أو في المنطقة كلها » .

وبعد تصريحات شامير ، أرسلت أجهزة الأمن المصرية بالاشتراك مع وزارة الخارجية المعلومات كافة إلى الرئيس مبارك أثناء رحلته الخليجية وهي المعلومات التى دحضت الادعاءات الإسرائيلية ..

بقى في نهاية الأمر القول إن أزمة جديدة سوف تهب في أجواء العلاقة المصرية ــ الإسرائيلية خلال الأيام القليلة القادمة ، فقد تسلمت إسرائيل قمراً صناعياً أمريكياً مخصصاً لأعمال التجسس ويحمل اسم « ادبرا ٢٠ » وهو يدخل في إطار اتفاقية التعاون الاستراتيجى بين إسرائيل والولايات المتحدة . وعندما وصلت هذه المعلومات إلى الحكومة المصرية استدعى عصمت عبد المجيد فرانك ويزيز السفير الأميركى وسلمه احتجاجاً رسمياً على تزويد الولايات المتحدة لإسرائيل بأحدث المعدات العسكرية والفنية ــ كما قالت الرسالة المصرية إن إقدام الولايات المتحدة على هذا السلوك إنما هو تعبير ضمنى عن موافقتها على الإجراءات الإسرائيلية القمعية في الضفة الغربية وقطاع غزة . ولذلك فإن الحكومة المصرية تناشد الولايات المتحدة بضرورة عدم تزويد إسرائيل بهذه النوعية المتقدمة من أقمار التجسس والتى لم تستخدمها الولايات المتحدة نفسها حتى الآن . ولكن لا أحد يسمع .. ولا أحد يجيب ..

واعتقد في نهاية ذلك أن مسار العلاقة المصرية ــ الإسرائيلية طوال هذه الفترة ، إنما كان يشجع ثورة مصر وغيرها على الاستمرار في خطها المعادى ، خصوصاً بعد أن أيقن الجميع أن إسرائيل لن ترضخ لنداء السلام ، وأنها تستخدم معاهدة السلام مع مصر بهدف عزلها والتجسس عليها وممارسة شتى الضغوط في مواجهتها .

فهل كنا نعتقد بعد ذلك أن الشعب المصرى سوف يرضخ ! ؟

لقد ردت على ذلك « ثورة مصر » .. !!

●●●

مـن يحـاول إخضـاع مصـــر ؟

في عام ١٩٧٤ ، بدأت العلاقات المصرية . الأمريكية تشهد بداية نمو واضح وملحوظ ، ومنذ زيارة الرئيس الأمريكي نيكسون إلى القاهرة في عام ١٩٧٥ ، وثمة واقع جديد بدأ يفرض نفسه على طبيعة العلاقة بين الطرفين ، وبدأت الولايات المتحدة تنسج خيوطها حول مصر ، وتدريجياً أصبحت مصر تعتمد في كثير من احتياجاتها على الولايات المتحدة وحلفائها ، ولكن الوضع لم يكن رهناً بالتبعية الاقتصادية فحسب . فالتبعية الاقتصادية تجر إلى تبعية سياسية وهو ما حدث بالفعل . في عهد السادات أصبحت استراتيجية مصر السياسية تتفق في كثير من المواقف مع الاستراتيجية الأمريكية . وأصبح الوجود الأمريكى في مصر فعالاً ومؤثراً .

لقد انفتح السادات على الأمريكان ، فانفتحوا عليه من كل الاتجاهات . ورطوه في حجم هائل من الديون الاقتصادية والعسكرية ، واستغلوا فيه حبه للاستدانه ، وبذخه في الصرف وبحثه عن الحلول المسكنة للأزمات والمشاكل ، فراحوا يقرضونه ، ليس بهدف تنمية الاقتصاد المصرى أو دعم الأداء الإنتاجى ، وإنما

لتوريطه وتوريط من يخلفه في علاقة غير شرعية ، ومرفوضة من قبل جماهير الشعب . واستجاب الرجل ، ولم يقل للأمريكيين لا ! ولو مرة واحدة . دفعت الولايات المتحدة بخيرة عناصرها من رجال الاستخبارات . فالوضع في حاجة إلى ترتيب ، وبدأ التدخل الأمريكي يثير حديث الكثيرين ، والممارسات الأمريكية كانت تنم عن مواقف عدائية حقيقية بعيدة عن هذا الذى يتردد على ألسنة قادة الطرفين ، من علاقات صداقة وتعاون مشترك . وحتى المساعدات الأمريكية التى كانوا يتحدثون عنها ، لم تكن إلا كذبة وهمية ، الشعب كشفها منذ الأيام الأولى .

لقد ارتبطت تلك المساعدات ، دوماً بالمواقف السياسية للقيادة الحاكمة . وأدركت الولايات المتحدة حقيقة توجهات حكم السادات ، والتى عبرت عن نفسها تحديداً عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ . ولهذا لم تكن هناك غرابة في أن تبدأ الولايات المتحدة بتقديم قروضها ومساعداتها إلى مصر منذ عام ١٩٧٥ .

ونظرة بسيطة إلى حجم المعونات الأمريكية لمصر طوال السنوات الماضية تقول بأن حجم هذه المعونات بلغ في عام ١٩٧٥ نحو ٢٧٢ مليون جنيه ، وفي ١٩٧٦ نحو ٩٧٢,٥ مليون جنيه ، وفي ١٩٧٧ نحو ٨٧٤,٥ مليون جنيه ، وفي ١٩٧٨ نحو ٩٠٣,٤ مليون جنيه وفي ١٩٧٩ نحو ١٠٤٠,٥ مليون جنيه ، وفي ١٩٨٠ نحو ١١٥٤ مليون جنيه ، وفي ١٩٨١ نحو ١١٢٧,٤ مليون جنيه ، وفي ١٩٨٢ نحو ١٠٦٢,٩ مليون جنيه ، وفي ١٩٨٣ نحو ١٠١١,٦ مليون جنيه ، وفي ١٩٨٥ نحو ٢١١١,٥ مليون جنيه ، وفي عامي ١٩٨٦ ــ ١٩٨٧ انخفضت المساعدات الأمريكية لمصر نظراً لمواقف مصر السياسية تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل ، فأصبح حجم المساعدات الأمريكية مجمداً عند ٨١٥ مليون دولار ، كمساعدات اقتصادية و١,٣ مليار دولار كمنح عسكرية ، وربما يستمر هذا الحجم دون تغيير خلال العامين القادمين أيضاً ، إذا ما استمرت السياسة المصرية عند هذه الحدود .

وتقسم الإدارة الأمريكية برنامج المساعدات الأمريكية لمصر إلى أربعة برامج فرعية في الأساس هي :

- برنامج التحويلات النقدية ، وهو عبارة عن تحويلات نقدية تحول للحكومة المصرية ولها مطلق الحرية في التصرف فيها . والقيد الوحيد المفروض على هذه التحويلات هو ألا تستخدم في شراء السلاح .
- برنامج الاستيراد السلعي . وهناك نحو ١٨ جهة في مصر تستخدم هذا البرنامج منها وزارة الصناعة وفيها نحو ١١٧ شركة ، ناهيك عن الوزارات والمصالح الآخرى المختلفة ، والتى تستخدم هذه المبالغ لاستيراد معدات ومستلزمات من الولايات المتحدة .
- برنامج المشروعات الائتمانية ، ويوجد جزء من هذه المساعدات للمشروعات الائتمانية في الخطط الخمسية التى تعتمدها الحكومة المصرية .
- برنامج الحاصلات الزراعية ، وهو يتيح لمصر مبالغ تشترى بها القمح والدقيق من الولايات المتحدة ذاتها . وذلك مثل القرض الذى قدمته الولايات المتحدة لمصر في عام ١٩٨٦ بقيمة ٢٢٠ مليون دولار خصصت لتمويل شراء كميات من القمح .

وحقيقة الأمر أن الولايات المتحدة كانت ولا تزال لها شروطها الخاصة والمعروفة التى تفرضها دوماً في إطار مشروع مساعداتها الاقتصادية لمصر ولغيرها . وهي الشروط التي تحددها الفقرة الثانية من الفصل ٥١١ من قانون الأمن الأمريكي ، والتي تنص على أنه لا يجوز للحكومة الأمريكية أن تمنح أية مساعدات اقتصادية أو فنية لأي دولة من الدول إلا إذا كانت هذه المساعدات تدعم الأمن الاستراتيجى للولايات المتحدة ، وتخدم أهدافها السياسية في الأمد البعيد ..

هذا بشكل عام ، أما عن مصر تحديداً ، فقد ذكرت إحدى وثائق لجنة العلاقات الخارجية في الكونجرس الأمريكى أن المعونة الاقتصادية لازمة لمصر وضرورية ، وأن استراتيجية المعونة الأمريكية لها يجب أن تستمر ، وفي إطار يحقق خروج الحكومة المصرية من أزمتها الاقتصادية لأن مصر — على حد تعبير الوثيقة — هي الدولة التى يمكن أن يبنى من خلالها الجسر العربي — الإسرائيلي . كما أعدت الخارجية الأمريكية تقريراً يوضح الهدف من المساعدات الأمريكية وبرنامجها في مصر ، وقد رفعته إلى وزير الخارجية جورج شولتز قبيل زيارته إلى مصر والمنطقة في عام ١٩٨٧ . وأكد التقرير أن الدعم الاقتصادى والعسكرى لمصر أمر مهم ولازم ، ليحقق هدفاً أساسياً ، هو جعل مصر أحد المرتكزات الجوهرية للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، ويجعل منها أيضاً بوابة الدخول إلى أفريقيا عبر مصر ، والتى من خلالها تتمكن الإدارة الأمريكية من لعب دور استراتيجى في القارة الأفريقية في مواجهة النفوذ السوفييتي المتغلغل في أكثر من مكان بالقارة الأفريقية .

هذا عن الشروط الأمريكية ، والتى يبدو أن الهدف منها واضح وهو جعل مصر حسب الهدف الأمريكي محمية أمريكية جديدة في المنطقة ، تستبيح أرضها ، وتستخدم قواها في تحقيق أهدافها ..

وليس بوسع أحد أن يدرى إلى أين كانت ستصل الأمور ، لو قدر للسادات أن يعيش أكثر . بيد أن مواقف الرئيس مبارك كانت مختلفة بعض الشيء عن سياسة سلفه منذ البداية .. وربما تكون طبيعة هذه المواقف هي التى دفعت بالولايات المتحدة إلى أن تخلق من قضية الديون أزمة ، وأن تجعلها هما مصريا يؤرق الساسة ليل نهار . فما هي الحكاية بالضبط ؟ !

الديون الأميريكية على مصر تنقسم قسمين : ديون عسكرية وتبلغ نحو ٤ مليارات ونصف المليار دولار ، وديون اقتصادية وتبلغ نحو ٩,٥ مليار دولار .

العلاقة العسكرية بين مصر والولايات المتحدة ، بدأت تأخذ اتجاها جديداً منذ عام ١٩٧٨ ، وهو العام الذى جرى فيه إعادة بناء القوات المسلحة المصرية في إطار سياسة تنويع السلاح . وخلال الفترة من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٣ حصلت مصر من الولايات المتحدة على خمسة قروض حكومية قيمتها ٤ مليارات ونصف المليار دولار ، وذلك بفائدة تراوحت ما بين ١٢,٥٪ و ١٤٪ طبقاً لسعر السوق السائد آنذاك .

وقد شكلت هذه القضية اهتماماً خاصاً لدى المسئولين المصريين ، وكانت بنداً دائماً على جدول الأعمال بين الطريقين . وعبر المفاوضات ــ التى استمرت لسنوات عدة ــ تم الاتفاق بين الجانبين على فترة سماح بالنسبة لأصل الدين ، مدة هذه الفترة عشر سنوات بدأت مع ١٩٧٨ وتنتهى في عام ١٩٨٨ .. ويبدو أن الولايات المتحدة كانت تستقرىء المستقبل ، ولهذا فإن موافقتها على فترة السماح جاءت متضمنة لقيود أخرى أكثر إجحافاً .. ومن بين هذه القيود أن مصر إذا لم تف بسداد التزاماتها من أصل الدين في الوقت المتفق عليه ، فإن ذلك سيرفع نسبة الفائدة ٤٪ بما يعنى أن قيمة الفوائد المركبة على هذا الدين ، والتى تحسب بطريقة تراكمية ، سوف ترتفع من ١٢,٥ أو ١٤٪ إلى ١٦,٥٪ أو ١٨٪ .. وسوف تظل هذه الفائدة في ارتفاع مستمر على ضوء هذه الشروط كل عام . ففي عام ١٩٩٠ سوف يصل سعر الفائدة ــ إذا لم تلتزم مصر بسداد أصل الدين ــ إلى ٢٠,٥٪ أو ٢٢٪ .. وهلم جـراً ..

وقد كان طبيعيا ، والحال كذلك . أن تسعى مصر إلى إيجاد حل يقضى بإلغاء شروط الفائدة المتراكمة .. لأن معنى ذلك ، وأقصد إذا ما استمر الحال على ما هو عليه ، أن يكون على مصر أن تدفع ٩٠٪ من حجم المعونة الاقتصادية الأمريكية وذلك للوفاء بالالتزامات المفروضة عليها .

في دراسة أعدتها الإدارة المصرية ، أوضحت أن الفائدة المركبة سوف تدفع بأصل الدين وهي مقدرة بـ ٤,٥ مليار دولار وترتفع إلى نحو ١٥ مليار دورلار في عام ٢٠١٤ وهو العام المحدد كنهاية لفترة سداد الديون العسكرية المصرية للولايات المتحدة .

ومعنى ذلك هو الكارثة بعينها .. !!

لقد رفضت الإدارة الامريكية خلال زيارة سابقة للمشير عبد الحليم أبو غزالة إلى واشنطن ، الطلب المصرى بتخفيض قيمة الفوائد على الديون العسكرية من ١٤٪ إلى ٧٪ .. وبررت الولايات المتحدة موقفها التعسفى بأن مصر بدأت تنهج نهجاً جديداً في علاقاتها ومواقفها السياسية ، وقد ضربت الإدارة الأمريكية مثلاً على ذلك يقول إن مصر صوتت داخل منظمة الأمم المتحدة بما نسبته ٨٢,٧٪ ضد التصويت الأمريكي في مختلف القضايا الدولية ، كما أنها ــ أي الإدارة الأمريكية ــ قد تقدمت إلى مصر بثلاثة عروض للمشاركة في اعتداء على دولة عربية في يوليو ١٩٨٥ ، وديسمبر ١٩٨٥ ، ويناير ١٩٨٦ ، إلا أن الحكومة المصرية رفضت ذلك . وطالبت الإدارة الأمريكية مصر بتعديل مواقفها السياسية في ضوء ذلك . وعلى الرغم من أن المشير أبو غزالة عاد يومها غاضباً من الموقف الأمريكي المتصلب فإن ذلك لم يكن يعنى نهاية المباحثات في هذا الشأن . ففي مباحثات جرت مع ريتشارد ارفيتاج مساعد وزير الدفاع الأمريكى لشؤون الأمن القومي الذى زار مصر منذ فترة قليلة ، طرح المشير أبو غزالة الأمر عليه من جديد . ولم يكن لدى المسؤول

الأمريكى من رد سوى القول بأن هذا الموضوع يتعرض لدراسة شاملة في إطار مجمل الديون المستحقة للولايات المتحدة على ٢٥٠ دولة أخرى .

.. هذا عن الديون العسكرية .. !

.. أما عن الديون الاقتصادية فقد دارت منذ فترة ، مباحثات تم الاتفاق فيها على جدولة أقساط وفوائد ديون اقتصادية وعسكرية تبلغ نحو ١,٧ مليار دولار .

ولكن الأزمة تبقى كما هي خصوصاً وأن حجم المساعدات الأمريكية الذى يقدم إلى مصر يبدو أنه في تراجع ، ولا يرتفع إلى مستوى الحاجة الاقتصادية لمصر .

.. وقراءة بسيطة حتى لهذه القروض تؤكد أن ٣٣٪ منها مخصص للوارد من السلع الأمريكية فـ ٢٣,٩٪ لشراء القمح من الولايات المتحدة و٢١,١٪ للمرافق والكهرباء ٤,٢٠٪ مخصص لقطاع الخدمات بالمحافظات المختلفة و٣,٢٪ مخصص لتنظيم الأسرة والتعليم الأساسي والخدمات الصحية . أما نسبة الصناعة فلم تكن تتعدى ٩,٥٪ ، والزراعة على اختلاف قطاعاتها حددت بنحو ٤٪ .

وبالنظر إلى القطاعات المختلفة وما هو مخصص لها من قروض ومساعدات أمريكية ، نجد أن الاقتصاد المصرى في بنيته الأساسية أي الصناعة والزراعة ، لا يستفيد من تلك المنح إلا بما يوازى ١٣,٥٪ ، وهذا ما حدا بخبراء الاقتصاد إلى القول بأن برنامج المساعدات الأمريكية إنما يكرس الاختلال الهيكلي في الاقتصاد المصرى . وعلى ضوء ذلك فقد كانت مباحثات المسئولين المصريين مع الإدارة الأمريكية تدور حول ضرورة أن تخصص الولايات المتحدة جزءاً موفوراً من المساعدات الأمريكية في صورة نقدية لا تخصص لمشروعات بعينها كما هو الوضع الآن ، وأن يسمح كذلك بإعادة تخصيص المساعدات المحددة إلى مجالات أخرى ، وأن يتم تقديم تسهيلات في الإجراءات الإدارية التى تعرقل استخدام هذه القروض .. كما طالبت مصر بأن لا تحسب دراسات الجدوى من أصل القرض ،

حتى يمكن الاستفادة به كاملاً . وقبيل نهاية العام الماضى ١٩٨٧ .. كان أمام الحكومة الأمريكية طلبٌ مصري يقول بضرورة أن تخصص الولايات المتحدة مساعدات اقتصادية جديدة لمصر بالإضافة إلى برنامج مصرى أعدته وزارتا الاقتصاد والتخطيط بشأن المنح والمساعدات الخارجية . وكان هدف البرنامج المصرى هو الحصول على موافقة أمريكية بأن تكون المنح والمساعدات الخارجية الأمريكية موجهة إلى قطاعات الصناعة والإسكان والأمن الغذائى . وأمام رفض مبارك لبعض المطالب السياسية والعسكرية الأمريكية الخاصة بالعلاقة مع إسرائيل ، ومنح الولايات المتحدة تسهيلات عسكرية متقدمة على الأرض المصرية جاء الرد الأمريكي سلبياً ، حيث رفضت الولايات المتحدة تخصيص أية مساعدات اقتصادية جديدة لمصر ، وأبلغت الولايات المتحدة مصر بأنها قررت تخفيض حجم مساعداتها إلى كل دول العالم ، ومع ذلك فقد وعدت الحكومة الأمريكية مصر بأنها ستمنحها مساعدات اقتصادية في إطار المنح التى لا ترد .

وفي هذه المرة ربطت الولايات المتحدة مساعداتها الاقتصادية بجدولة الديون الاقتصادية حيث طالبت الحكومة الأمريكية مصر بسرعة الانتهاء من دراسة العروض المقدمة من الدول الأوروبية بشأن جدولة الديون الاقتصادية . كما رفضت الولايات المتحدة في ردها أن تكون المنح الأمريكية المعطاة لمصر في إطار البرنامج المصرى ، وأصرت أن تكون مساعداتها في إطار مشروعات محددة تطرحها الحكومة المصرية ، وتوافق عليها الإدارة الأمريكية ، والجديد أيضاً في المحادثات الاقتصادية الأخيرة هو ربط الحكومة الأمريكية مساعداتها الاقتصادية ، وتحويلها إلى سيولة نقدية ، بمدى تنفيذ مصر لبرنامج الإصلاح الاقتصادى الذى وضع شروطه صندوق النقد الدولي . وعلاوة على ذلك فإن هناك شروطاً عديدة كانت الولايات المتحدة تحاول فرضها بشكل مستمر على مصر وربط المساعدات الاقتصادية بمدى الموقف المصرى من هذه الشروط . وضمن هذه الشروط التسهيلات العسكرية التى كانت

تطلبها الولايات المتحدة في بعض القواعد العسكرية المصرية ، وتحديداً قاعدة رأس بانياس ، التى بذلت أمريكا الكثير من الجهود لتحويلها إلى قاعدة دائمة لقواتها بأجر مجز يقدم إلى مصر ، إلا أن القيادة المصرية قاومت كل هذه الضغوط من أجل تحويل مصر إلى مقر دائم للوجود الأمريكى فيها .: وكانت هناك شروط التنسيق المشترك ، والضغوط التى كانت تبذل في الاتجاهات كافة من أجل إرغام مصر على الاستمرار في سياسة تطبيع العلاقات مع إسرائيل ، والبعد عن أية استراتيجيات عربية موحدة معادية لها . وعلى الرغم من أن مصر لم تكن تتجاهل تماماً الشروط الأمريكية ، فإن الولايات المتحدة ظلت مستمرة في سياسة فرض الشروط ، وحتى دون المقابل الحقيقى لذلك .

لقد نجحت الولايات المتحدة في أن تتغلغل عبر مؤسساتها داخل بنية المجتمع المصرى ، وعبر هذا التغلغل بدأت في تخريب كل شيء داخل مصر ، خصوصاً وأن مصر أصبحت رهانهم الحقيقى في المنطقة ، وتحديداً في إطار كونها جسراً يمكن أن يعمم تجربة السلام بالشروط الأمريكية ــ الإسرائيلية في المنطقة . لكل هذه الأمور فإن تنظيم ثورة مصر لم ينس أو يتجاهل حقيقة الدور الأمريكى في المنطقة ، وأشكال التعاون التآمرية بين الولايات المتحدة واسرائيل في مواجهة العرب .

إن الاعتقاد الراسخ لدى جماهير الشعب العربى ، أننا عندما نخوض الحرب في مواجهة إسرائيل ، إنما نواجه في المقام الأول الولايات المتحدة ، وعندما نُحارَب بسلاح أمريكى وإن كان في يد إسرائيلية ، فإنما يعنى ذلك تضامناً استراتيجياً بين الطرفين . وأن الولايات المتحدة عندما تصادق طرفاً عربياً ما في المنطقة ، فإنما بهدف إذلاله وفرض الشروط عليه ..

هل بعد ذلك نتوقع مشاعر الحب والترحيب من هذه الجماهير ؟ !!

● ● ●

□ الفصـــل السابـــع □

..ومـن يتجـــس علـى مصـــــر ؟

أمام نيابة أمن الدولة العليا ، وبتاريخ ١٩٨٧/٩/٢٠ ، وقف المقدم أحمد علي الضابط بالقوات المسلحة ، وأحد أعضاء التنظيم يشرح : لماذا قرر هو وآخرون اغتيال الإسرائيليين . ضمن ما قاله « إن وجود اليهود في مصر يمثل خطراً حقيقياً على البلد ، لأنهم لا يتوانوا لحظة عن جمع المعلومات عن مصر في شتى المجالات . بالإضافة إلى أننا لابد سنحارب إسرائيل مرة ثانية لأن فكرها وعقيدتها يتركزان على توجيه ضربة كل فترة . خاصة لمصر . وإن كانوا هم ساكتين النهارده حقاً نظراً لوجود حرب العراق وإيران .. لكنهم موجودين في كل مكان في البلد ، وحطين أيدهم على كل شبر في البلد ولو يطولو يشتروا أرض كانوا اشتروا ــ لقد رأيتهم يقتلون أصحابي في ١٩٧٣ .. ولهذا اشتدت كراهيتي لهم .. » .

.. ويبدو أن كلام المقدم أحمد على يحتم علينا أن نفتح ملف الموساد ودوره في مصر وفي المنطقة العربية . لأن هذا الدور كان هو الدافع الأساسي خلف البنية الفكرية لتنظيم ثورة مصر ، الذى حدد أهدافه في قتل عناصر الموساد وجهاز السى أي إيه المتعاون معه .

لقد .. لخص أحد القادة الصهاينة استراتيجية إسرائيل في المنطقة بمقولة واضحة لا لبس فيها .. « إن القضاء على العرب هدف سامٍ نتفق عليه » .. ووثائق جهاز الاستخبارات الإسرائيلى تضمنت ترجمة فعلية لهذا عندما قالت « إننا يجب أن نعمل إذلال الدول العربية بأسرها وإخضاعها للسيطرة الإسرائيلية التى يجب أن تتحقق ولو على المدى البعيد .. وإذا كان الأسلوب العسكرى قد صادف فشلاً ما في إذلال العرب .. فإننا لن نتوانى عن استخدام الأساليب السياسية الفعالة من أجل ضمان تفوقنا في المنطقة ..

وفي تعاملهم مع المنطقة العربية تبنى الإسرائيليون استراتيجيات متعددة . وقد أولت إسرائيل كُلاً من مصر والأردن وسوريا بالإضافة إلى الفلسطينيين ، أهمية خاصة في التعامل السياسي ومحاولة اختراق تلك البلاد .. والاتفاق الاسرائيلى في هذا الصدد يقوم على أن الوسيلة الفعالة للتعامل مع الدول العربية هو الرصد الكامل للمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لها كافة ، ثم يأتى المتغير الثانى في تلك الاستراتيجية .. وهو جمع المعلومات وتبويبها في وثائق خاصة يقوم بدراستها بصفة دورية خبراء إسرائيليون في المجالات السياسية والعسكرية .. كما يشارك الخبراء النفسيون بدور وافر في هذا المجال ..

أما المرحلة الثالثة .. فتتلخص في قيام هؤلاء الخبراء برفع التقارير التى يتم عرضها على رئيس الوزراء الإسرائيلى ، والذى يطلع بدوره عليها بعض أعضاء حكومة ، ثم يعهد بها في مرحلتها الأخيرة إلى أجهزة الاستخبارات التى تقوم بتنفيذ التوصيات الواردة بهذه التقارير عبر الأجهزة المنتشرة في المناطق العربية وذلك بهدف ضرب أهداف ومصالح استراتيجية في هذه المناطق .. أو أن يعهد بها مباشرة إلى الجناح العسكرى في وزارة الحرب والذى تنحصر مهمته في الإعداد والتنفيذ للعمليات العسكرية الكبرى التى يكلفه بها الموساد الإسرائيلى عبر الحكومة .. وذلك مثلما حدث في

عملية ضرب المفاعل النووى العراق ، والذى طبقت عليه الاستراتيجية ــ التى تناولناها ــ بأبعادها كافة ..

وعلى ذلك .. يتضح أن إسرائيل ترى أن أساس اختراق المنطقة العربية يجب أن يتم عبر أجهزة استخباراتها الخاصة .. ولهذا أعطت أهمية خاصة لتطوير هذا الجهاز ..

ونظرة سريعة لجهاز الاستخبارات الإسرائيلية ، توضح أنه يتكون من أربعة فروع أساسية :

١ ــ جهاز الاستخبارات الخارجية (الموساد) .
٢ ــ مصلحة الأمن العام (شين بيت) .
٣ ــ جهاز الاستخبارات العسكرية (الآمان) .
٤ ــ دائرة البحوث السياسية .

وتتبع هذه الأجهزة رئاسة مجلس الوزراء الإسرائيلى مباشرة ، كما تتبع اللجنة الوزارية لشئون الأمن ولجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست .. فضلاً عن لجنة عليا لأجهزة الأمن مهمتها الأساسية هي التنسيق بين أجهزة الأمن والاستخبارات المتفرعة عن المؤسسات المختلفة للدولة ورؤساء الأجهزة الأربعة السابقة .. ويصدر قرار بتعيين رئيس اللجنة العليا من رئيس الوزراء مباشرة .

ولا عجب في أن تتبع أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية الرجل الأول في الحكومة الإسرائيلية ، ذلك لأن إسرائيل دولة عسكرية في المقام الأول ، ثم دولة مخابرات في المقام الثانى .. وأنه لا فرق بين الأسلوب العسكرى والأسلوب التخابرى .. إذ إن الأسلوب الثانى هو الوسيلة الأساسية ، إن لم تكن الوحيدة ، لتنفيذ الأعمال العسكرية . وقد حددت أجهزة الاستخبارات الإرائيلية مصر

والأردن وسوريا والفلسطينيين في جميع بقاع العالم كمستهدفين بالدرجة الأولى من أعمال المخابرات ..

ونضيف أنه من ضمن مسئوليات اللجنة العليا التى أشرنا إليها عقد إجتماع أسبوعى تطلع فيه على التقارير المرسلة من أجهزة الاستخبارات المختلفة ، وتقوم بتبليغها مباشرة لرئيس الوزراء ووزير الحرب .. ثم تقوم بعض الأجهزة الأخرى بتحديد المهام والتبليغ بها وعلى رأسها المهام التى يعهد بتنفيذها إلى فتيات يهوديات متمرسات على العمل في هذا المجال .. وإدخال عنصر النساء اليهوديات لم يتم مصادفة أو بشكل عشوائى .. حيث يأتى ذلك في سياق الاستراتيجيات الاسرائيلية المقررة للتعامل مع المنطقة العربية .. فقد أعد أحد الخبراء النفسيين الإسرائيليين دراسة هامة ، جاء فيها أنه من المطلوب للمنطقة العربية . وفي بعض أقطارها تحديداً . إغراقها بالجنس ، وإغراق أقطار أخرى بالمال .. وتفسير ذلك ما يرى الخبير الإسرائيلى أن هناك ضعفاً أساسياً يواجه المواطن العربى ، ويمكن السيطرة على عامل الضعف واستغلاله لصالح إسرائيل .. فإذا كان العربى المستهدف يعيش في الأقطار الأوروبية .. وأتى إليها بحثاً عن المال ، فإنه يمكن السيطرة عليه وتجنيده بواسطة المال . أما إذا كان العربى المستهدف يزور الدول الأوروبية بين الحين والآخر للاستجمام فيمكن السيطرة عليه عبر الفتيات الحسناوات .. وبصفة عامة يرى المحلل .. أن الدول الخليجية يمكن السيطرة عليها بالأسلوب الثانى ، أما بقية الدول العربية ، وخاصة المصريين والأردنيين فيمكن السيطرة عليهم بالأسلوب الأول .

ويضطلع جهاز الموساد بهذه المهمة في زرع وتجنيد المندوبين في كافة الأقطار العربية بهدف الحصول على المعلومات السرية .. ويضم الموساد بين فروعه أيضاً أحد الأجهزة المخصصة لإدارة فرع المعلومات العلنية ، حيث يقوم برصد مختلف مصادر المعلومات العلنية مثل النشرات والصحف .. ولعل من أهم هذه المهام إعداد تقييم دورى أسبوعى للموقف السياسى والاقتصادى والاجتماعى للدول العربية ..

ويعطى الموساد أهمية خاصة للفلسطينيين المقيمين في الدول العربية .. وتأتى مصر في المرحلة الثانية من حيث الأهمية .. وتقدم المعلومات المتعلقة بالفلسطينيين ومصر في تقارير عاجلة لرئيس الوزراء الإسرائيلى مباشرة .. وقد أضيف إلى التقارير العاجلة .. كل المعلومات المتعلقة بسوريا والأردن ..

وتركز التقارير العاجلة على قضايا معينة بالنسبة لكل دولة على حدة ، فبالنسبة للفلسطينيين يتم التركيز على جميع الاتصالات والتحركات الفلسطينية على صعيدين :

أولهما : الاتصال بالدول العربية والسياسيين في تلك الدول والمستهدف من تلك الاتصالات والتحركات .

وثانيهما : الاتصالات التى تتم بين الفلسطينيين بعضهم والبعض الآخر ، ورصد تحركاتهم كافة فيما يتعلق بجميع العمليات المحتملة ضد إسرائيل .

وزيارة وفد فلسطينى معين لأية دولة عربية ، سواء تم ذلك بصورة رسمية أو غير رسمية يعطيه الموساد أيضاً أهمية خاصة ، ولذلك فهو مطالب من رئيس وزرائه بأن يعد تقريرين عاجلين ، أولهما قبل زيارة الوفد للعاصمة العربية ، ويتم فيه شرح الاتصالات الفلسطينية التى تمت مع هذه العاصمة العربية أو تلك ، وتحديد الشخصية الفلسطينية التى قامت بالاتصال ، ثم المسئول العربى الذى نسق ورتب للزيارة ، ثم الموضوعات التى يمكن أن تطرح على بساط المباحثات ..

والتقرير الثانى يتم رفعه لرئيس الوزراء الإسرائيلى في أثناء أو أعقاب زيارة الوفد مباشرة ، ويتم فيه تحديد الاتصالات التى أجراها الوفد مع الفلسطينيين المقيمين في نفس البلد العربى ، ثم الاتصالات التى أجراها الوفد مع المسئولين العرب . وعند لقاء الوفد مع زعيم أي دولة عربية ، فإن التقارير تعد بصورة سريعة وتأخذ عنوان « عاجل جداً » ..

وإذا عجزت الموساد عن معرفة ما تم في اللقاء بين الزعيم العربي والفلسطينيين ، يظهر في الصورة مباشرة ، التعامل والتنسيق مع المخابرات المركزية الأمريكية (السى ـ آى ـ إيه) .. والتى تقوم بتقديم المعلومات كافة التى يحتاج إليها الموساد في هذا الصدد .

وفيما يتعلق بالمعلومات التى يتم جمعها عن كل بلد عربى ، فبالنسبة لمصر ، كانت المعلومات العسكرية وإلى وقت قريب هي الأساس في التقارير العاجلة ، غير أنها احتلت مرتبة ثانية في الأهمية بعد المعلومات الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمصريين . وبالنسبة لسوريا فإن التقارير العاجلة تركز على القضايا العسكرية ، والخاصة بالقوات المسلحة السورية من حيث عددها وتحديثها وتسليحها ، ورصد كامل للصفقات العسكرية السورية كافة مع الدول الأوروبية ، ولجميع الاتصالات العسكرية التى تتم سواء مع الدول العربية أو الأوروبية وخاصة في المعسكر الشرقى ..

وفيما يتعلق بالأردن .. فإن المعلومات السياسية تعد هى الأساس في التقارير العاجلة .. ولا يمنع ذلك التصنيف من تحصيل العناصر الأخرى للمعلومات والتى تعد في تقارير غير عاجلة .. كما أن الأحداث السياسية والتفاعلات مع دول المنطقة قد تحدد نوعية معينة من المعلومات ، وتصنف على أنها عاجلة أو عاجلة جداً .

ونظراً لأهمية جهاز الموساد .. فإن رئيس الجهاز هو رئيس اللجنة العليا لأجهزة الأمن المختلفة والتى تتولى التنسيق بين الأجهزة المختلفة .

أما جهاز الاستخبارات العسكرية ، أو ما يطلق عليه « الآمان » فإن له تخصصا دقيقا داخل المنطقة العربية ، حيث يتولى بصورة أساسية بالإضافة لجهاز الموساد جمع ورصد كافة البيانات والمعلومات السرية الخاصة بالقوات المسلحة العربية ودراسة نوايا الدول العربية العسكرية كل على حدة ، ودراسة جميع البيانات المتعلقة بها ،

ورصدها أيضاً للعمليات الغذائية المتوقعة والمحتملة للفلسطينيين أو لأي أطراف عربية أخرى .. وهناك جزء خاص داخل جهاز الاستخبارات العسكرية يتولى مهمة دراسة مقدار الاستعدادات والتجهيزات للدول العربية عسكرياً ، وقد لعب جهاز الاستخبارات العسكرية دوراً أساسياً في جميع العمليات العسكرية التى تمت بالمنطقة العربية ، بل إن ضرب إسرائيل لأي هدف عسكرى في المنطقة العربية هو من صميم عمل جهاز الاستخبارات العسكرية في البداية . ويجند في هذا الجهاز بصورة مباشرة الدبلوماسيون الإسرائيليون في مختلف دول العالم ، بالإضافة إلى نوعية معينة من الجواسيس تغدق عليهم العطايا المادية أضعاف ما يتقاضاه الجاسوس العادى ، كما يقوم جهاز الاستخبارات العسكرية بدراسة مناطق الحدود بين إسرائيل والدول العربية المجاورة بصورة دورية مرتين كل شهرين ، يتعرف فيها على دراسة أي تغيير عسكرى يحدث من الدول العربية تجاه الحدود ، ودراسة المناطق الضعيفة في هذه الحدود والتى يمكن من خلالها اختراق هذه الدولة أو تلك وكذلك دراسة الأفراد القائمين على حراسة الحدود ، سواء تعلق ذلك بعددهم أو نوعية الأسلحة التى يتسلحون بها .. وإذا وجد جهاز الاستخبارات العسكرية صعوبة ــ وهي قائمة بالفعل ــ في دراسة النواحى السيكولوجية والنفسية لفرد الحراسة العربى المكلف بحراسة الحدود ، فيتم التقاط صور فوتوغرافية لهؤلاء العسكريين باختلاف رتبهم ، وابتداء من أكبر رتبة عسكرية إلى أصغر جندى .. وبناء على هذه الصور التى يقوم بتحليل ملامحها خبراء إسرائيليون نفسيون يرصدون معلومات خاصة بالأفراد ، وفي حالة أي تغيير للأفراد المكلفين بحراسة الحدود ، يتم تلقائياً إضافة الصور الفوتوغرافية الجديدة .. وتعتمد إسرائيل في ذلك على نوع دقيق من آلات التصوير تستخدمها المخابرات المركزية الأمريكية ، لها القدرة على التقاط صور على مسافات بعيدة ، أو عبر أجهزة خاصة تضعها إسرائيل في مناطق الحدود ..

وفي التخطيط الإستراتيجى الإسرائيلى تعد مصر من أهم المناطق المستهدفة حدودياً لجهاز الاستخبارات العسكرية « الآمان » وقد وعت القيادة العسكرية

المصرية مخططات جهاز الاستخبارات الإسرائيلى ، وكثيراً ما ضللت المعلومات التى حصل عليها .. ساعدها في ذلك الخبرة العسكرية الطويلة في التعامل مع العدو الإسرائيلى ، بل إن نجاح العسكريين المصريين في حرب ١٩٧٣ ، اعتمد أساساً على تضليل جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيليى .

ويتم نقل المعلومات المخابراتية في كثير من دول العالم عبر الدبلوماسيين الإسرائيليين الذين يقومون بدور أساسى في هذه المهمة ونقلها إلى الحكومة الإسرائيلية ، ويتم إعداد تقريرين عن هذه المعلومات ، أحدهما يرفع للخارجية الإسرائيلية ، والثانى للجنة العليا لأجهزة الأمن ، والتى يرأسها رئيس الموساد كما أسلفنا القول .. وتعد التقارير المعدة للجنة العليا هي التقارير ذات الأولوية في الاهتمام .. وقبيل سفر الدبلوماسى الإسرائيلى لتسلم عمله في أية سفارة إسرائيلية في أي دولة من دول العالم . يتم ترتيب لقاء له مع رئيس اللجنة العليا لجهاز الأمن .. والذى يحمله بدوره التعليمات الصريحة والواضحة ، بل ويعهد إليه أن يلتقى بمجموعة من الخبراء الإسرائيليين ، والذين تنحصر مهمتهم من أن يكشفوا للدبلوماسى الإسرائيلى وضع الدولة التى سيعمل بها ، والمهام الملقاه على عاتقه في هذا الصدد . ويعهد لهؤلاء الدبلوماسيين بمحاولة الانخراط في الجماعات العربية بالدول الأوروبية والتقرب منهم ، وإغرائهم بالعمل لحساب إسرائيل .. بل ويقوم الخبراء الإسرائيليون أيضاً بتحميل الدبلوماسى الإسرائيلى محاضرات مكتوبة خاصة بالمناطق الاستراتيجية في الدولة التى سيعين لها والأهداف التى يمكن أن تؤثر على المحتوى السياسى والاقتصادى لهذه الدولة ، وكيفية معاملة أهل البلد الذى يسافر إليه من أجل خلق علاقات اجتماعية واسعة تسهل له مهمته في التجسس ..

والسفارات الإسرائيلية في الخارج مطالبة أيضاً بإعداد تقارير أسبوعية تتنوع ما بين سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية بالإضافة إلى تقارير يومية عن أهم

الأحداث التى مر بها هذا البلد .. وتقارير أخرى تتضمن الأبعاد النفسية لشعب هذه الدولة وردود الأفعال السياسية إزاء أية مواقف سياسية قد تطرأ في هذه الدولة .

بالإضافة إلى ذلك .. فإن السفارات الإسرائيلية في مختلف دول العالم .. تعطى أهمية خاصة لجمع المعلومات المتعلقة بالفلسطينيين وتحركاتهم ، والمعلومات الخاصة بالفلسطينيين ترفعها السفارات الإسرائيلية إلى مصلحة الأمن العام « شين بيت » . وتركز التقارير على الخلايا السرية للمقاومة الفلسطينية في الخارج .. حيث ترصدها بدقة وترصد تحركاتها والأسلحة التى لديها وفي ضوء ذلك يتم على الفور إرسال تقارير سريعة إلى مصلحتى الأمن العام والموساد .. وتعتمد إسرائيل بصورة أساسية على العملاء والمجندين ، حيث أن هناك قاسماً مشتركاً في التعليمات التى تبلغها إسرائيل لجميع عملائها ومندوبيها ومجنديها ودبلوماسييها تقضى بضرورة العمل على التقرب من الفلسطينيين المقيمين في نفس البلد ، وخلق صلات اجتماعية طيبة معهم من أجل الحصول على المعلومات كافة المتعلقة بأبعاد الموقف الفلسطينى بصفة عامة .. كما تولى إسرائيل أهمية خاصة في ذلك للدول العربية في مجموعها ، وللدول المعنية بالنزاع معها بصورة خاصة ..

ويطلق على الجواسيس الذين تجندهم إسرائيل داخل المنطقة العربية في دوائر الموساد الإسرائيلى اسم « شبكة المعلومات التابعة للدول العربية » وتحتوى شبكة المعلومات هذه على أرشيف ، يضم ملفاً كاملاً عن كل دولة عربية على حدة ، ويتم التبويب في هذا الملف على أساس تبويب أولى خاص بالمعلومات العسكرية ، ثم تبويب آخر خاص بالمعلومات السياسية ، وتبويب للمعلومات الاقتصادية ، والمعلومات الاجتماعية .. وأخيراً المعلومات الطارئة .. والتى تتضمن أخباراً عاجلة عن قضية هامة .

وهناك أجهزة خاصة في الموساد الإسرائيلى تتعامل مع كل نوعية من هذه البيانات على حدة والتعامل مع هذه البيانات والمعلومات يكون بالصورة التالية :

بعد مرحلة تجميع هذه المعلومات والذى يتم بصورة دورية ، تآتى مهمة أجهزة التخطيط في تقدير الظروف والملابسات التى تمر بها إسرائيل في الفترة نفسها مع الدول العربية المعنية .. ويتم في هذا التقدير تحديد الأولويات للمعلومات المبوبة .. ومرحلة تجميع المعلومات وتقديرها تتم بصورة دورية ، فقد تكون أسبوعية أو شهرية أو يومية ، ويقوم جهاز أعلى من الجهاز السابق بتولى مهمة التخطيط واستنباط النتائج في ضوء البيانات المتاحة .. ويعد الأرشيف الخاص بالفلسطينيين من أكبر الملفات الموجودة في هذا الجهاز .. ويتناول هذا الأرشيف الميول والنشاطات منذ عام ١٩٥٣ لجميع القيادات والطلائع الفلسطينية ..

بعد ذلك تأتى مصر في المرتبة الثانية ، ثم سوريا ولبنان والأردن .. يضاف إلى ذلك أن شبكة المعلومات العربية بها قسم خاص للتخابر على شخصيات عربية .. وهم إما مسئولون سياسيون أو عسكريون ، أو عناصر مناوئة للمصالح الإسرائيلية .. وتعد هذه المعلومات ذات نوعية خاصة يتم التخطيط لها بعيداً عن الشبكة .. ويقوم التخطيط على استهداف اغتيال العناصر العربية التى تناوئها أو تحاول التفكير أو الإقدام على ضرب أي من مصالحها ، سواء تم الاغتيال في الدول العربية نفسها ، أو في الدول الأوروبية ، والتى تحتل النصيب الأكبر من المخططات الإسرائيلية للاغتيال .. وفرقة الاغتيال هذه يطلق عليها اسم « شبكة التحريات الخاصة » ، وأحياناً « شعبة التحريات الخاصة » ، وتعرف باسم (أتام) .

ومنذ إنشاء جهاز المخابرات الإسرائيلى ، احتلت المنطقة العربية أهمية خاصة .. باعتبارها المستهدف الأول من نشاط الجهاز .. ولتحديد تلك الأولوية فإن رحلة تاريخية سريعة تثبت أنه منذ العام ١٨٩٧ .. وهو التاريخ الذى انعقد فيه أول مؤتمر

للحركة الصهيونية والذى تم فيه تحديد مخططات الحركة الإسرائيلية ، والأساليب التى ينبغى على الصهيونية اتباعها للوصول إلى أهدافها ، خاصة وأنه بعد هذا التاريخ ، وبعد إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية والتى ساعدت بصورة مباشرة في إنشاء الشركة اليهودية الخاصة بشراء الأراضى والتى أطلق عليها فيما بعد اسم « الوكالة اليهودية » .. أدركت هذه المنظمة أنها سوف تجد صعوبة في إقناع دول العالم العربى على وجه الخصوص ودول العالم كلها على وجه العموم بأهمية اليهود والاعتراف بحقوقهم في إنشاء وطن لهم .. لذلك كان الاتفاق فيما بينهم على إنشاء خلايا سرية في دول العالم مهمتها تجميع المعلومات ، بهدف ضرب بعض المواقع الاستراتيجية في الدول المعنية بقصد إشعارها بأهمية اليهود من ناحية ، ولربط قادتها بتحالفات مع اليهود اتقاء لشرهم ، وكذلك ضمان تأييدهم في إنشاء دولتهم من ناحية أخرى ، وفي ضوء ذلك كان التحالف الأول مع بريطانيا التى اعتمدت بشكل أساسى على التخابر الإسرائيلى فى غزو المنطقة العربية وإسقاط الامبراطورية العثمانية ، ولعل هذا الدور التجسسى برز في غزو الحلفاء لفلسطين بعد ذلك . وقد قام اليهود بإنشاء أول منظمة تجسسية في عام ١٩٠٤ توجه بصورة أساسية للمنطقة العربية وأطلق عليها اسم « بيلو » وعقب اكتشاف السلطات العثمانية لأطراف هذه المنظمة التجسسية ، والتى كان لها دور مباشر في إذكاء الخلافات بين الأقطار العربية ، وضرب بعض المصالح العثمانية بها ، تم تصفيتها في المنطقة .. وترتب على ذلك أن عقد زعماء اليهود اجتماعاً قرروا فيه مواصلة الكفاح من أجل تحقيق هدف أسموه « بالهدف السامى » وهو « اختراق المنطقة العربية في العمق » .

ولتنفيذ هذا الهدف اتفق على إنشاء المنظمة التجسسية الثانية والتى أطلق عليها اسم « نيلي » في عام ١٩١٤ .. وهي اختصار للأحرف الأولى من عبارة في العهد القديم ــ التوراة ــ والتى تعنى (فصيح إسرائيل لاتكذب) .. واستطاعت هذه المنطقة نشر شبكات متخصصة وواسعة لها في أنحاء فلسطين ومصر وبلاد الشام ..

على أن الوجهة الأساسية لتعاملاتها كانت فلسطين .. واستطاعت « نيلى » بفضل دقة تنظيمها أن تحصل على معلومات دقيقة وموثقة من أطراف عربية ساهمت بصورة مباشرة وأساسية في حسم معركة جنوب فلسطين لصالح الحلفاء في ١٩١٦ ، وعقب ذلك تنبهت السلطات العثمانية ، والسلطات المصرية بوجه خاص ، لأعمال منظمة « نيلى » ولذلك عملت على تتبع أنشطتها وعملائها في أرجاء البلاد العربية .

وسعى زعماء اليهود من جديد لتنفيذ هدفهم في ١٩١٧ ، حيث كونوا شبكة تجسس منظمة أطلق عليها اسم « المكتب السياسى » وهذا الاسم بالذات ، تم اختياره نظراً للأهمية القصوى للمهام التى أوكلت إليه . وكان ذا صلة مباشرة بزعماء اليهود ، الذين كان همهم الأساسى دراسة التقارير التى يعدها المكتب السياسى بشأن الأحوال السياسية في البلاد العربية .. ثم تطور عمل هذا المكتب ، فأنشأ شبكات تجسس واسعة في أوروبا والولايات المتحدة .. واستطاع هذا المكتب تجنيد عدد كبير من اليهود والعرب المقيمين في البلاد العربية .

ومن الملاحظ حتى الآن أن شبكات التجسس الإسرائيلية سعت لتحقيق الهدف الأساسى .. وهو إنشاء الدولة الإسرائيلية في فلسطين .. وهو ما اعترف به أحد قادة إسرائيل عندما صرح بالقول .. إننا ندين فى نشأتنا ونجاحنا لعمل المخابرات الإسرائيلية . ونوعية المعلومات التى حصل عليها المكتب السياسى بنجاح والتى مازال يعتمد عليها الخبراء الإسرائيليين خصوصاً المتعلقة منها بالفلسطينيين ، وخاصة في الشق الاجتماعى منها .. وايضاً المعلومات التى تم جمعها حول بذور الخلافات بين الدول العربية بعضها البعض .

ولم يقتصر « المكتب السياسي » على مهمة جمع المعلومات وإنما تعدى ذلك إلى إذكاء الخلافات العربية ، وإثارة القلاقل بين الدول العربية بعضها والبعض الآخر .. واستمر هذا المكتب يؤدى عمله حتى عام ١٩٣٦

وفي هذه الفترة ، فكر القادة الصهاينة في إنشاء جهاز له الصفة الرسمية والتخصصية في عام ١٩٣٧ برئاسة (موشى شاريت) .. ومما يذكر لهذا الجهاز حصوله على معلومات كاملة عن النشاط الثورى الفلسطينى ، وتبنيه لمفهوم معين لمواجهة الفلسطينيين يهدف إلى إغراء الفلسطينيين والعمل على دفعهم إلى بيع الأراضى التى كانوا يمتلكونها ..

واستطاع هذا الجهاز تجنيد شبكة تجسيسية كبيرة في كل من الأراضى السورية واللبنانية والمصرية ..

وفي عام ١٩٤٠ أنشأ هذا الجهاز .. قسم « الدائرة العربية » . والتى أولت اهتماماً بالمعلومات والبيانات المتعلقة بشأن التركيب الاجتماعي للمدن والقرى الفلسطينية ..

وفي عام ١٩٤٢ أنشأ الجهاز أربع وحدات أساسية للتجسس ، أهمها « قسم التجسس والمعلومات العربية » .. والذى كان له الفضل في تنفيذ مذبحة دير ياسين .

وتفرغ عن هذا الجهاز ما أطلق عليه اسم « الفرقة السوداء » .. وهي فرقة مخابرات عسكرية مدربة تماماً على العمليات العسكرية ، وعلى عمليات الاغتيال السريعة .. وانحصرت أهدافها في التوجه للأراضى العربية ، وخاصة المصرية ، ونجحت هذه الفرقة السوداء في تنفيذ عمليات تخريب وإرهاب واسعة في القرى الفلسطينية .

وفي عام ١٩٤٧ نشب الصراع بين أجهزة المخابرات المختلفة ، حيث حاول كل منها أن يكون له الأسبقية والأولوية عند القيادة السياسية الصهيونية .. وتسابقوا في الحصول على المعلومات الهامة أو الاغتيالات للعناصر القيادية في العالم ، مثل اغتيال (الكونت دى برنادوت) من قبل منظمة (شتيرن) .. ولعل هذا الصراع بين أجهزة الاستخبارات كان في النهاية لصالح القيادة السياسية الصهيونية ، حيث تجمعت لديها معلومات هامة وموثقة عن كافة الأوضاع في المنطقة المحيطة بهم .

أما جهاز الاستخبارات الذى يعمل حالياً بالفروع السالف ذكرها ، فقد تم إقراره منذ ٣٠ يونيو ١٩٤٨ ، عندما عقد أول إجتماع للقيادات الإسرائيلية وقادة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية في مقر قيادة مصلحة المعلومات ، وقد أسفر هذا الاجتماع عن إنشاء الاستخبارات العسكرية والدائرة السياسية ، ثم الأمن الداخلى .

وفي عام ١٩٥٣ صدر قرار من رئيس الوزراء الإسرائيلى بإنشاء أول تنظيم رسمى معترف به من قبل الحكومة الإسرائيلية .. ونص القرار .. على أن يكون رئيس اللجنة العليا للأرض مسئولاً مسئولية مباشرة أمام رئيس الوزراء ..

وفي عام ١٩٧٢ أصدرت القيادة الإسرائيلية قراراً بتخصيص منصب مستشار رئيس الحكومة للمهمات الخاصة ومهمة الرقابة والتجسس .. ويستهدف هذا المنصب بالأساس مقاومة العمليات الفلسطينية في الداخل والخارج ، وملاحقة القيادات الفلسطينية وملاحقة مراكزهم المنتشرة في دول العالم .

والهدف الثانى الذى توليه إسرائيل أهمية خاصة هو .. متابعة المسئولين السياسيين والعسكريين في البلاد العربية والمقيمين في الدول الأوروبية والولايات المتحدة .

وبناء على هذه الأهداف استطاع الموساد الإسرائيلى القيام بعدة عمليات مؤثرة ، أشهرها عملية العلماء الألمان في مصر ، وعملية لوتز الألمانى في القاهرة ، واختطاف الطائرة الميراج ٢١ من العراق ، بالإضافة لما اتبعه بشأن الحصول على معلومات عسكرية في غاية الدقة والأهمية عندما أعدت إسرائيل لحرب ١٩٦٧ .. وقد اعتمد الموساد الإسرائيلى في هذه الفترة على معلوماته من الدبلوماسيين .

وفي العام ١٩٧٢ ، تطورت الأمور ، فأصدر رئيس الحكومة الإسرائيلية قراراً لجميع أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بضرورة المشاركة متضامنين والعمل كفريق واحد في القيام بعمليات التصفية الجسدية للزعماء الفلسطينيين وجميع العناصر العربية المناوئة لإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط .. وبدأ التنسيق بالفعل بين هذه الأجهزة عبر رئيس اللجنة العليا الذى حدد مدة ٦ أشهر يتم فيها جمع المعلومات كاملة والبيانات الموثقة عن القادة الفلسطينيين وأماكن وجودهم والساعات التى يقضونها في منازلهم ، وأهم الأماكن التى يترددون عليها واستمرت هذه الفترة من ٧٢/١/٥ حتى ١٩٧٢/٦/١٥ .

وقد امتد التقرير الذى أعدته هذه الأجهزة إلى شخصيات سياسية في المنطقة العربية ، أهمها شخصيات أردنية وسورية ومصرية . ونوقش في اجتماعات مكثفة بحضور رئيس الوزراء ووزير الحرب ووزير الشرطة ، وحدد في هذه الاجتماعات هدفان تقع مسئولية تنفيذهما على وزيرى الحرب والشرطة . أما أداة التنفيذ فيقوم بها كل من الموساد الإسرائيلى وجهاز الاستخبارات العسكرية (الآمان) وهذان الهدفان هما :

- البدء في عمليات التصفية الجسدية للفلسطينيين .
- ضرب الأهداف والمصالح الاستراتيجية في مصر وسوريا والأردن والعراق ولبنان .

بالإضافة إلى إثارة القلاقل والتهديدات في تلك الدول العربية ، وضرب أي مشروع عربى يمكن أن يمس الأمن الإسرائيلى ولو من بعيد .

وانطلقت فرقة الاغتيالات الخاصة ، وهي (الفرقة السوداء) بالإضافة لاشتراك عناصر أخرى من الموساد والجيش دربت تدريباً تقنياً حديثاً ، وكانت الأماكن المستهدفة للاغتيالات هي (لبنان وإيطاليا وفرنسا وقبرص والنرويج وبلجيكا واليونان والكويت) ونفذت بالفعل هذه المجموعة عملها باقتدار ، واستمرت

عمليات التنفيذ بدءاً من عام ١٩٧٢ حتى ١٩٨٤ ، بل وقد أصبحت من الاستراتيجيات الأساسية والثابتة والمعمول بها أولاً مع الفلسطينيين المناوئين ، ثم مع الدول العربية التى تشكل تهديداً امنياً ولإسرائيل سواء تعلق ذلك بمشروعات تسليح أم مشروعات نووية .. وهو أمر أقرت به إحدى الوثائق الخاصة للموساد الإسرائيلى والتى جاء فيها (إن إسرائيل عليها أن تحافظ على أمنها الداخلى عبر تأمين أمنها الخارجى ، وإن الأمن الداخلى والخارجى هما المحددان لوجود دولة إسرائيل النقية العنصر ، وإن الدول العربية لن تتوانى أو تنسى أننا شوكة في محيطهم ، وأننا سنلجأ إلى ترهيبهم حتى يتيقنوا أن هذه الشوكة لها أنياب تصيب بالضرر كل من يحاول الاقتراب منها) . وتضيف الوثيقة « أن الفلسطينيين والمصريين هما من أكثر العناصر التى لا ترغب في وجودنا .. ناهيك عن أن الدول العربية الأخرى وخاصة دول القلب تريد أن تعمل على نزعنا من المنطقة » .

ومع الإقرار بما ورد في هذه الوثيقة أعطيت الإشارة لفرقة الاغتيالات لأن تباشر عملها ، فأخذت تحصد في الفلسطينيين حصداً ، فاغتيل غسان كنفانى ، ووائل زعتر ممثل حركة فتح في روما ، والدكتور باسل القبيسى الأستاذ بالجامعة الأمريكية في بيروت ، والدكتور محمد الهمشرى ممثل المنظمة في باريس ، وحسين بشير أبو الخير ممثل المنظمة في قبرص وكمال ناصر عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة ، وأبو حساء مسئول لجنة غزة ، وسعيد حمامى ممثل المنظمة في لندن ، وعلى ناصر ياسين مدير مكتب المنظمة في الكويت ، ونعيم خضر ممثل المنظمة في بلجيكا ، وما جد أبو شرار عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، والرائد سمير عزت طوقان النائب الثانى في مكتب قبرص ، وزهير محسن قائد منظمة الصاعقة ، وإسماعيل درويش ، وحنا مقبل ، وجميل عبد القادر أبو الرب ، وفضل سعيد العنانى ، ونزيه مطر ، وسعد بيايل ، وكمال حسن أبو دك ، وكمال يوسف حسين ومحمد طه ومحمود عيسى والشهيد منذر أبو غزالة والشهداء الثلاثة في قبرص أبو الحسن قاسم ، ومروان كيالى ، وحمدى التيمى . وغيرهم ..

بالإضافة لأسماء أخرى كانت مستهدفة لم تستطع المخابرات الإسرائيلية النيل منها .
أما ما هو خارجى في الهدفين السابقين .. فقد جمعت معلومات وبيانات موثقة من مراكزها الأساسية في الدول العربية عبر مجندين وعملاء لهم في المنطقة .. ولعبت السفارة الأمريكية في هذا المقام دوراً أساسياً . وكانت البيانات خاصة بقدرات الدول العربية وإمكانياتها ، وعلاقاتها مع القوى الدولية الأخرى . والمؤسسات الداخلية والخارجية في تلك الدول ، بالإضافة إلى بحث كامل بشأن الحصول على معلومات عن علاقات الدول العربية بعضها بالبعض الآخر .. كما تطرق بحث آخر إلى الاستعدادات العسكرية والنظم العربية المتبعة في الخطط العسكرية للمعارك الحربية ..

ونظراً للحجم الهائل للمعلومات التى وردت إلى إسرائيل في فترة الستة أشهر المحددة سلفاً ، فقد عهد إلى هيئة مخابرات (فاعادات) وهي باختصار هيئة مركزية لأجهزة المخابرات والأمن الإسرائيلى .. بأن تعمل ــ وهذه حدود وظيفتها فى تلك الفترة ــ على إيجاد التنسيق التام لكل أنشطة الأمن والمخابرات في الداخل والخارج ، ولذلك عولت الحكومة الإسرائيلية على هيئة (فاعادات) تعويلاً كبيراً في التخطيط للمعلومات الواردة بشأن المنطقة العربية ، فضمت الهيئة مدير الموساد ومدير المخابرات العسكرية ، ومدير الشين بيت ، بالإضافة للمفتش العام للبوليس ، والمدير العام لوزارة الخارجية . ومدير مركز البحوث والتخطيط السياسى التابع لوزارة الخارجية ومستشار رئيس الوزراء للشئون العسكرية ، ومستشار رئيس الوزراء للشئون السياسية ، ومستشار رئيس الوزراء لشئون الأمن .. بالإضافة لرئيس قسم المهمات الخاصة .

ولعل وجود مثل هذا الفريق من أقطاب السياسة الإسرائيلية في كل التخصصات والمواقع يؤكد على أن المعلومات التى وردت عن النظم العربية خطيرة للغاية ،

خاصة في ضوء تكليف كل منهم بكتابة تقرير تفصيلى من واقع خبرته وعمله ، ويستعين في كتابة التقرير بالأقسام الرئيسية في إدارته ، وكل منهم له جزء خاص يخطط له ، فمنهم من كلف بالحديث في تقريره فقط عن إمكانيات الدول العربية وقد يتطرق الأمر إلى كتابة تقرير مفصل ومنفرد بشأن سلاح معين ورد إلى مصر أو سوريا والمخططات في هاتين الدولتين بشأن استخدام هذا السلاح .. وهذا ماركز عليه الجانب الإسرائيلى تماماً بالنسبة للأسلحة الشرقية التى استوردتها مصر من الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشرقية قبل ذلك .

كما تناولت التقارير السابقة الحديث عن أغلب المؤسسات السياسية والاقتصادية في دول الوطن العربى ، وإن احتلت مصر وسوريا والأردن ــ بالترتيب ــ النصيب الأكبر في دراسة مؤسساتهم والعلاقات بينها والتنظيم الهيكلى في تلك المؤسسات ، أما جميع المؤسسات العسكرية ، فقد عهد بشأنها في تقرير آخر مفصل لمدير الاستخبارات العسكرية تولاه معه مستشار رئيس الوزراء للشئون العسكرية .

وبالطبع لم تتم كتابة هذه التقارير المفصلة في يوم وليلة .. بل أن هناك تخطيطاً آخر تم وضعه لكتابة هذه التقارير ، وهي أن يتم عقد اجتماع دورى لهيئة (فاعادات) بجميع أركانها السابق ذكرها مرة أو مرتين كل أسبوعين ، يتم فيه عرض ما توصلوا إليه من نتائج ، ثم تجرى دراسة تلك النتائج الأولية بمعرفة خبراء إسرائيليين عسكريين وسياسيين ونفسيين .. بالإضافة إلى استخدام العقول الالكترونية ، والتى يعهد إليها بتحليل النتائج الأولية لهذه المعلومات .

وفي الاجتماع التالى تتم دراسة النتائج على أن يوالى البحث لاستكمال التقارير

وباختصار فإن كل اجتماع لهيئة (فاعادات) ، كان يتم فيه إقرار أمرين :

الأول نتائج الاجتماع السابق .. والثانى عرض النتائج الجديدة تمهيداً لدراستها وعرضها في الاجتماع اللاحق .

وقد شهدت تلك الفترة تعاوناً كثيفاً بين هيئة (فاعادات) والمخابرات المركزية الأمريكية (السى ــ آى ــ إيه) فيما يتعلق بجمع المعلومات وتحليلها .. وسوف يأتى ذكر ذلك تفصيلاً في موضع آخر .

المهم أن هيئة (فاعادات) لم يقتصر دورها فقط على ذلك ، بل امتد أيضاً لدراسة كل التقارير الواردة من السفارات الإسرائيلية في عواصم العالم ، والتى كان يتم تحليل نتائجها عبر العقول الإلكترونية ..

ونتيجة للمعلومات الغزيرة والدقيقة التى حصل عليها الموساد الإسرائيلى عبر هيئة (فاعادات) أولت القيادة السياسية الإسرائيلية رجال الموساد الإسرائيلى أهمية خاصة ، وأغدقت عليهم الرواتب المرتفعة ..

وقد اعتبرت الدولة الإسرائيلية أن دور الموساد يتعدى عملية جمع المعلومات إلى عملية الحفاظ على الكيان الإسرائيلى ذاته .

وقد حدد الموساد لنفسه الوسيلة لتحقيق الهدف ، وهي جمع المعلومات الخارجية عن (الأعداء) .. وترى وثائق الموساد أن الدول العربية ، وخاصة المتاخمة في الحدود مع إسرائيل هي العدو الأول ، والمهدد الأساسى للكيان الإسرائيلى القائم .. وانطلاقاً من هذا المفهوم يعود اهتمام الموساد بالمعلومات الخاصة بهذه الدول .

وفي ترتيب أولويات الموساد .. تكون أهمية المعلومات العسكرية لهذه الدول كما يلي :

١ ــ حالة الجيش في كل دولة عربية من حيث العتاد العسكرى

٢ ــ حالة الجيش في كل دولة عربية من حيث التعامل العسكرى مع دول لعالم الخارجى

٣ ــ مصادر التسليح المختلفة الأنواع لجيوش الدول العربية

٤ ــ جميع المعلومات العسكرية المتعلقة بإدخال أسلحة جديدة للجيوش العربية ، وخاصة الأسلحة ذات النوع المتقدم في التكنولوجيا الحديثة ، وكيفية استخدام الجيوش العربية لها .

٥ ــ التدريبات العسكرية في الوحدات المختلفة ، والهدف من هذه التدريبات ، والتوقيتات التى تتم فيها تلك التدريبات . والأسلحة المستخدمة في التدريبات العسكرية ومضاهاتها بالأسلحة المستخدمة في مسرح العمليات ، مقارناً ذلك بالأسلحة الحديثة التى يمتلكها الجيش في كل دولة عربية على حدة

٦ ــ العدد الكمى لجيش كل دولة عربية على حدة ، ثم الحالة المعنوية والنفسية للجنود ومحاولة دراسة الأحوال الاجتماعية لهؤلاء الجنود عبر العملاء والمندوبين .

٧ ــ البعثات العسكرية الخارجية وهدفها ، ونوعية الأسلحة التى يتم التدريب عليها مع دراسة الأحوال الاجتماعية للضباط الذين يسافرون في تلك البعثات العسكرية ومتابعتهم عقب عودتهم من تلك البعثات .

٨ ــ التغييرات في القيادات العسكرية في دول الوطن العربى ، والهدف من هذه التغييرات مع محاولة تَعُرف على شخصية القائد الجديد وفكره العسكرى فيما مضى ، وحياته العسكرية كاملة .

٩ ــ التعاملات العسكرية بمختلف أنواعها مع الدول العربية بعضها والبعض الآخر ، وفي هذا يتم رصد سفر الوفود العسكرية للدول العربية ، ومحاولة تَعُرف على نوعية المباحثات العسكرية التى تمت ، وتتم صياغة تقارير سريعة في هذا الصدد .

١٠ ــ دراسة مسرح العمليات العسكرية إذا ما طرأت أية مستجدات على تلك المسارح لكل الدول العربية .

وهذا التكليف لا يقتصر فقط على جهاز الموساد ، وإنما يشاركه جهاز الاستخبارات العسكرية (الآمان) .. وهذا التكليف حددته هيئة « فاعادات » بالنسبة للشق العسكرى من المعلومات ، ولا يحول ذلك أيضاً دون اشتراك جميع أجهزة الاستخبارات ، وإن كان العبء الأكبر منها ملقى على عاتق الموساد ..

والموساد الإسرائيلى في حقيقة أمره مكون من ثمانية أقسام .. الأول خاص بالتخطيط وتنسيق المعلومات .. والثانى خاص بجمع المعلومات ، والثالث خاص بالعمل السياسى والخارجى ، والرابع خاص بشئون الأفراد والمالية والتحركات والأمن ، والخامس خاص بالتدريب ، والسادس خاص بالبحوث ، والسابع خاص بالعمليات والتقنية ، والثامن خاص بالتكنولوجيا ..

على أن أهم قسمين هما التخطيط وتنسيق المعلومات ، وجمع المعلومات ، يليهما التدريب ثم البحوث .. والقسم الخاص بالعمل السياسى والخارجى تتجمع فيه نوعية معينة من التقارير خاصة بالعلاقات السياسية بين الدول العربية وبعضها البعض ، فهناك تقارير دورية بمعدل شهرى ، يتم فيها إرسال تلك النوعية من التقارير ، أو يتم إرسالها إذا ما طرأت ظروف مستجدة على العلاقات السياسية بين الدول العربية .. بل إن هيئة (فاعادات) في حالة أي تقارب سياسي وخاصة بين دول القلب ، تعمد إلى دراسة خطط عسكرية محتملة لامكانية أن يكون هدف هذا التقارب السياسى بين الدول العربية (إسرائيل) .. بل ويمتد الأمر في تخطيط الموساد إلى محاولة إثارة الخلافات والقلاقل بين الدول العربية وبعضها البعض في حالة تقارب سياسى قائم بالفعل .. أو تقارب سياسى محتمل .. ويتم إثارة هذا الخلاف عبر الحكومة الإسرائيلية نفسها ، والتى تأخذ بتوصيات الموساد وهيئة (فاعادات) في هذا الصدد .

ونظراً لأهمية تلك النقطة .. فهي في حاجة إلى مزيد من التوضيح . فعلى سبيل المثال .. كان من شأن التقارب السياسي بين مصر والأردن وهما من الدول المستهدفة بالأساس في التخطيط الاستراتيجي الإسرائيلي التخابري أن أوصى الموساد هيئة (فاعادات) بإثارة قضايا خلافية بين البلدين .. فتبدأ عملية التحليل لمسار العلاقات المصرية ــ الأردنية منذ عهد بعيد بواسطة العقول الالكترونية ، والتي تخرج بنتائج محددة ، يتم رفعها إلى الحكومة والقيادة السياسية الإسرائيلية .. وكان من ضمن النتائج التي توصلوا إليها في هذا الصدد إحراج مصر في التعامل السياسي مع الأردن خاصة.، ومع الدول العربية الأخرى بوجه عام . وذلك لضمان بقاء مصر بعيداً عن الصف العربي .. وهذه السياسة يتم ارساؤها وإصدار التوجيهات بشأنها إلى أجهزة الإعلام الإسرائيلية ، والتي تبدأ في تنفيذ مهمتها حسب توجيهات الموساد .. كأن تركز الإذاعة والصحف على مضمون رسالة من مبارك لأعضاء الحكومة الإسرائيلية تتناول ، إما تهنئتهم بمناسبة معينة أو قد تكون أساساً رسالة لم ترد من مبارك ، يتم التركيز عليها لإثارة حفيظة رجل الشارع العربي على مصر ، وإشارة الحكام العرب على السياسة المصرية التي تهنيء حكام إسرائيل في وقت تحتل فيه إسرائيل الأراضي العربية وقد لجأت إسرائيل إلى هذا الأسلوب بالذات مراراً وتكراراً في مناسبات مختلفة ــ وهناك أسلوب آخر هو أن توعز إسرائيل إلى الحكام العرب عبر القنوات الدبلوماسية الأجنبية أو عبر السفارات الأمريكية بأن مصر متفقة معها بصدد سياسات معينة تعرف إسرائيل مقدماً وجهات النظر العربية بشأنها ولهذا فقد كانت العلاقات المصرية ــ الأردنية مستهدفة بالذات من قبل أجهزة الاستخبارات الاسرائيلية .. وقد أدرك قادة مصر والأردن هذه الحقيقة .. بل أن العاهل الأردني الملك حسين وقبيل عودة العلاقات العربية مع مصر .. وفي أثناء إحدى زياراته للقاهرة طلب من الرئيس مبارك أن يجمد علاقته تماماً بإسرائيل وألا تستقبل مصر أي مسئول إسرائيلي في تلك الفترة التي صاحبت عودة العلاقات

العربية مع مصر ، وعندما علمت إسرائيل بما ينوى العرب الإقدام عليه ، عرضت على مصر استقبال العديد من المسئولين السياسيين العسكريين الإسرائيليين ، وكانت الحجة في ذلك هي التباحث حول مسيرة السلام بالشرق الأوسط .. وإزاء رفض مصر استقبال أي مسئول سياسى إسرائيلى أثناء أو بعد قمة عمان بقليل .. لجأت اسرائيل ابان فترة عودة العلاقات لأسلوب آخر ، يقضى بضرورة أن تراجع مصر موقفها من إجراءات التطبيع على المستويات الثقافية والاقتصادية والسياسية كافة بل والعسكرية أيضاً .

ولا شك في أن كل ذلك ليس في حقيقته سوى تخطيط منظم تقوم به أجهزة الموساد بهدف إحراج مصر أمام العرب ولذلك يكون طبيعياً القول إن جميع محاولات التقارب السياسى سواء القائمة أم المحتملة بين الدول العربية وبعضها البعض هي مستهدفة في التخطيط الإسرائيلى .. كما يولى الموساد أهمية خاصة للعلاقات السياسية في كل دولة عربية على حدة سواء أكانت عبر المؤسسات الرسمية وعلاقات بعضها بالبعض الآخر .. أم علاقات المؤسسات الرسمية بالمؤسسات غير الرسمية . ثم تأتى في المرتبة الثانية علاقات المؤسسات غير الرسمية بعضها بالبعض الآخر .. والتركيز في هذا المقام على وجهة نظر هذه المؤسسات إزاء إسرائيل وأفكارها الخاصة في تكييف العلاقات مع دول العالم الخارجى .. وليس مهما نقل قيادة من مؤسسة رسمية إلى مؤسسة رسمية أخرى ، ولكن المهم هو إدخال قيادة جديدة إلى المؤسسات الرسمية ذاتها ويستثنى من ذلك المؤسسات العسكرية ، والتى تولى إسرائيل أهمية خاصة لأى تغييرات فيها حتى ولو كانت طفيفة .. أما بشأن رؤساء الدول العربية فإن التعامل معهم في جهاز الاستخبارات الإسرائيلى يتم وفق قواعد أخرى . فهناك ملف كامل لكل رئيس دولة عربية على حدة يطلق عليه (أرشيف الرئيس) .. وهذا الأرشيف يظل مفتوحاً مادام رئيس الدولة العربية في الرئاسة ، ويغلق بوفاته أو بتخليه عن الرئاسة .. وبجانبه يوجد ملف آخر لأعضاء الحكومة والشخصيات

المؤثرة في سياسات الدولة العربية .. كل على حدة .. وفي الملف الأول يتم رصد اجتماعات الرئيس كافة مع أعضاء حكومته ويعتمد في هذا الصدد على أسلوبين .. إما التعرف على نتائج اجتماعات الرئيس مع أي عضو من أعضاء حكومة من المصادر العلنية وهي الصحف أو وسائل الإعلام المختلفة ، أو الأسلوب السرى الآخر عبر السفارات الأجنبية الموجودة في الدول العربية .. ويعتمد في هذا الصدد بصورة مباشرة على دور السفارات الأمريكية .. ولا يسجل في أرشيف الرئيس مباحثاته أو اتصالاته مع قادة الدول العربية الأخرى ، حيث تخضع تلك المعلومات لنوعية خاصة من التعامل ، وهي تقارير سريعة يتولاها القسم الثالث في الموساد .. وأرشيف الرئيس يتضمن أيضاً معلومات كاملة عن تاريخ الرئيس السياسى والاجتماعى متضمناً مولده ونشأته وأسلوب حياته الاجتماعية وأصدقاءه المقربين في فترات العمر المختلفة ، ثم تاريخ دخوله العمل السياسى وعلاقته بأعضاء حكومته والتوجهات الأساسية التى تحكم مسار تفكيره .. وفي هذا المجال تعطى أهمية خاصة لنوعية القائد العسكرى ، أى الذى اعتلى الرئاسة بعد تدرجه في مناصب عسكرية فيسجل في الأرشيف تاريخ حياته العسكرية واشتراكه في العمليات العسكرية والتخطيط العسكرى الذى كان يتبعه ، وفترات تدريبه المختلفة في دول العالم الخارجى .. ويُصنف الزعماء العسكريون بصورة عامة إلى قسمين : الذين تلقوا تدريبهم العسكرى في المعسكر الاشتراكى وخاصة في الاتحاد السوفييتى ، والذين تلقوا تدريبهم في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية .. كما يضم الملف تسجيلاً كاملاً لأحاديث الرئيس أو الزعيم العربى في المناسبات المختلفة وأحاديثه للصحف الأجنبية والعربية ، ويتم تحليل هذه الأحاديث عبر فرقة خاصة من الخبراء الإسرائيليين .. وإن كان الاعتماد الأساسى على العقول الالكترونية ، كما تولى أهمية خاصة لرسائل الرئيس أو الزعيم العربى إلى أقرانه من الرؤساء العرب ، ويتم تصنيف تلك الرسائل إلى مضمونين : الأول عددى ويتعلق بعدد الرسائل المتبادلة في خلال السنة الواحدة ، ثم التركيز على مضمونها الفعلى سواء عبر المصادر العلنية أو السرية .

كما تعطى أهمية خاصة لاجتماعات الرئيس أو الزعيم العربي مع مستشاريه السياسيين والعسكريين ولذلك لا يكتفى فيها بالاعتماد فقط على المصادر العلنية لما يدور في تلك الاجتماعات ، وإنما يظل ملف هذه المعلومة مفتوحاً لحين إستيفاء المعلومات من المصادر السرية ..

وتسجل الموساد لرئيس الدولة أو الزعيم العربى علامة خضراء في بطاقات خاصة للزعماء العرب ، إذا ما كانت المعلومات الواردة تفيد بأن الرئيس أو الزعيم العربى تحدث ولو من بعيد بما يفيد خدمة المصالح الإسرائيلية . وتسجل على الملف علامة حمراء إذا تحدث ولو بشىء من بعيد يضر المصالح الإسرائيلية . ولا تنطبق العلامات الحمراء أو الخضراء على رؤساء الدول فقط ، وإنما تمتد أيضاً إلى المسئولين السياسيين في كل الدول العربية ، وتعطى أهمية خاصة للمسئولين العسكريين ، وتعدد العلامات الحمراء على مسئول معين أو على شخصية سياسية بارزة يجعله مستهدف من قبل أجهزة التخابر الاسرائيلى ، سواء بالإغتيال أو التهديد ، وغالباً لا تقدم إسرائيل على تنفيذ تلك العمليات مع الشخصيات السياسية البارزة ، إلا إذا كانت تلك الشخصية تمثل خطراً حقيقياً وداهماً للمصالح والأهداف الإسرائيلية سواء في المنطقة أو خارج المنطقة .. والموساد في هذا يولى أهمية خاصة للزعماء الفلسطينيين ، والذين هم مستهدفون بالفعل بالإغتيال ، ولذلك يتولى قسم آخر هو الفرقة السوداء) رصد تحركات تلك الشخصية ويتم الاستعانة في هذا بالمخابرات المركزية الأمريكية (السى ـــ آي ـــ إيه) في جمع المعلومات الخاصة عن المستهدف .. وهذا التخطيط لا يقتصر فقط على الزعماء والمسئولين السياسيين العرب ، بل يمتد أيضاً إلى أي مسئول في أي دولة من دول العالم ، ولكن إطار التوثيق والتحليل يختلف عن الإطار الموجه بصورة أساسية للمنطقة العربية .

ولقد تم اغتيال الكونت دى برنادوت ، وعدد كبير من الزعماء الفلسطينيين بعد أن تعددت العلامات الحمراء على ملفاتهم واصبحوا هدفاً للموساد .. ومع ذلك فإن تعدد العلامات الحمراء ليس وحده كفيلاً بتنفيذ عمليات الإغتيال ، إذ أنه تلى المرحلة السابقة مرحلة دراسة للشخصية المستهدفة .. وعلى الدراسة أن تخرج بنتيجة .. إما إيجابية أو سلبية . فقد يؤدى اغتيال هذه الشخصية أو تلك ، إلى أضرار لا تتناسب مع درجة الفائدة من الإغتيال .. وتقاس درجة الضرر بعدة مقاييس ، منها مقياس الرأى العام العالمي وهذا لا توليه إسرائيل أهمية كبرى ، على أنه في كل الأحوال يجرى التنسيق والتشاور مع المخابرات المركزية الأمريكية (السى ــ آي ــ إيه) في كل هذه الأمور .. وهذا التشاور قد يؤدى إلى تراجع الفرقة السوداء عن الإقدام على عملية الإغتيال .. أما إذا كانت نتيجة الدراسة إيجابية فإنها تبدأ الخطوات العملية في تنفيذ العملية ، وبعد دراسة الشخصية المستهدفة تقدم على العملية دون تردد .. ويخضع لهذا الإطار المعلوماتى في الغالب الشخصيات الفلسطينية التى تعرضت للإغتيال .. ويكاد يكون هناك اتفاق عام على عدم الإنصياع لموقف الرأى العام العالمى تجاه عملية اغتيال الشخصيات الفلسطينية .

وإذا كان هذا الإطار ينطبق بصورة أكثر تفصيلاً على الموساد الاسرائيلى ، فإن مصلحة الأمن العام ، وهي أحد فروع أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية أو ما يطلق عليها (شين بيت) تولى أيضاً أهمية خاصة للمنطقة العربية .. ويشمل التنظيم ٨ أقسام ، أولها يتعلق بالشئون العربية ، وثانيها الشئون غير العربية ، والثالث أمن الحماية ، والرابع العمليات المساعدة ، والخامس قسم التكنولوجيا ، والسادس التحقيقات والاستشارات القانونية ، والسابع التنسيق والتخطيط ، والثامن الإدارة .

وتتميز مصلحة الأمن العام ، بوجود أقسام إقليمية فرعية ، ومكاتب بصورة رسمية معترف بها من قبل الحكومة الإسرائيلية في حيفا والقدس .. كما تعتمد مصلحة

الأمن العام أو (الشين بيت) فيما يتعلق بالشئون العربية ــ بصورة أساسية ــ على السفارات الإسرائيلية ، التى تتابع بشكل دورى أسلوب التسليح العربى ، وخاصة مشتريات السلاح العربي من الدول الأوروبية ، بل إن السفارات الاسرائيلية تتدخل أحياناً بناء على توجيهات مصلحة الأمن العام والموساد والاستخبارات العسكرية بدور مباشر لدى الدول الغربية لمنع التعاقدات بخصوص الأسلحة وتسخدم في هذا نفوذها ونفوذ اليهود في الدول الأوروبية والولايات المتحدة لمنع مرور أي صفقه عسكرية للدول العربية . وقسم الشئون غير العربية في مصلحة الأمن العام يركز أيضاً على العمليات الخاصة بتهجير اليهود إلى إسرائيل ، يعاونه في هذا الصدد أجهزة التخابر مجمعة ، وعلى هذا القسم أن ينسق بين جميع أجهزة التخابر بشأن عمليات التهجير .

وفي الحقيقة فإن هذا النشاط ليس بجديد على عمل الاستخبارات الاسرائيلية ، وإنما يرجع تاريخه إلى عام ١٩٤١ وقد تولى القيام به في ذلك الوقت أحد فروع منظمة (غلياه بت) وتركز هدف هذا التنظيم التخابرى على تحريض اليهود للهجرة إلى فلسطين ، وكان مركز نشاطه الأساسى في مصر ، حيث استطاع أفراد هذا التنظيم إنشاء علاقات اجتماعية واسعة داخل مصر ، بل ونجح التنظيم في مصر إلى حد بعيد ، حيث استطاع بمجهوداته أن يبحر سفينة من ميناء الاسكندرية حاملة عدداً كبيراً من اليهود المصريين للإقامة في فلسطين ، وقد تلقى التنظيم في مصر معاونة على أيدى ضباط بريطانيين جندوا للتخابر لصالح إسرائيل .. كما أحضرت إسرائيل في تلك الفترة إلى داخل مصر عدداً كبيراً من الفتيات اليهوديات ، واللاتى كان لهن دور بارز في إتمام عمليات الهجرة اليهودية من مصر إلى فلسطين .. وبمساعدة هذا التنظيم نشأ جهاز سرى للمخابرات الإسرائيلية في مدينة الإسكندرية ، تولى عملية تكوينه شاب يدعى (دافيد بيرى كون) وترأسته سيدة تدعى (روث كليفر) .. وكانت المهمة الأساسية المنوطة بهم تهريب اليهود المصريين

إلى فلسطين .. وفي أقل من عام تمكن هذا التنظيم من إنشاء شبكة جاسوسية واسعة امتدت أطرافها إلى القاهرة ، بل وفي العواصم الأوروبية ، وكان المقر الرئيسى لها في الإسكندرية ، ثم جاء (ليفى ابراهام) الذى طور مهام التنظيم في الإسكندرية ، وأضاف إلى اختصاصاته مهام التجسس السياسى والعسكرى ، والقيام بعمليات إرهابية واسعة النطاق ، واشاعة عدم الاستقرار داخل مصر لتشجيع اليهود للهجرة إلى فلسطين ، ولم تكن إشاعة عدم الاستقرار قاصرة فقط على مصر ، بل امتدت إلى بقية الأقطار الخارجية حتى أوروبا ..

وفي العام ١٩٤٨ تطور الأمر بصورة أكثر دقة ، عندما اعتمد زعماء اليهود بصورة أساسية على مطلقة ثرية من اليهود المقيمين في مصر ، وتدعى (يولندا جيانى) التى نشطت في تهريب اليهود ، واستخدمت نفوذها الواسع في مصر في تزوير وثائق السفر ودفع ٨ رشاوى للكثيرين واستطاعت أن تجند عدداً كبيراً من العملاء في مصر لصالح إسرائيل ..

وفي الخمسينات ، توسع هذا المكتب لينشىء مكتباً في القاهرة بدعوى السياحة أطلق عليه (مكتب جرونبرج للسياحة) في عمارة (الإيموبيليا) وأنشأ فرعاً آخر بنفس الاسم في الإسكندرية ، وكان اليهود ــ عبر هذا المكتب ــ يحصلون على تذاكر سفر مجانية إلى (مرسيليا) . ومنها يتم نقلهم إلى فلسطين .. المخطط نفسه الذى استعمل في مصر ، استخدمه اليهود في اليمن ولبنان حيث نجحت المخابرات الإسرائيلية في ترحيل (٤٧١٤٠) يهودياً يمنياً للإقامة في فلسطين وما يزيد عن (١٥,٠٠٠) يهودى لبنانى .

وهكذا يتضح أن إسرائيل نشأت أساساً بفضل جهود أجهزة مخابراتها ، والتى كان لها الجهد الأول والأكبر في ترحيل اليهود إلى فلسطين لإنشاء دولتهم ، وساعدتهم حينذاك قوات الإحتلال التى كانت تربض على الأراضى العربية ،

وخاصة القوات البريطانية في مصر ، والتى كان لديها معلومات كاملة عن نشاط مكاتب المخابرات الاسرائيلية ، ومع ذلك تركت لها المجال واسعاً لتنفيذ مخططاتها الرامية إلى إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين ، بل إن النواة التى انشئت في مصر هي التى استعيد من أهدافها ما يدخل في أهداف المخابرات الإسرائيلية الآن ، حيث أن تلك النواة التجسسية في مصر ، بالإضافة لهدفها في تهجير اليهود إلى فلسطين كانت تقوم على أهداف جمع المعلومات السياسية والعسكرية لمصر . وجمع معلومات توضح الموقف السياسى والعسكرى للدول العربية ، بل وكانت هذه المعلومات التى ترسل إلى زعماء اليهود يرفق بها توصيات حول الخطوات الواجب اتباعها في ضوء المعلومات السرية المتوفرة .

وهذا التاريخ الطويل يوضح مدى عمق الفترة الزمنية التى تتعامل فيها مصر مع أجهزة المخابرات الإسرائيلية .. وهذا الطول الزمنى هو الذى جعل الموساد يركز اهتماماته على مصر وخاصة في النواحى العسكرية المرتبطة بـ :

- الخطط العسكرية المصرية في توزيع القوات المسلحة .
- أسلوب تعبئة القوات المسلحة المصرية .
- نظم جداول التدريب في القوات المسلحة .
- المعلومات الخاصة بتطورات التسليح المصرى من ناحية مصادره .

ومن جانب آخر .. تلعب المخابرات الإسرائيلية دوراً خطيراً في إثارة القلاقل داخل أرجاء الوطن العربى ، فهى تعمل عبر أجهزتها على تشجيع الحركات الإنفصالية والتمردية ضد الحكومات العربية القائمة ، وقد تكون وسيلة الإتصال في ذلك إما مباشرة تتعلق بالدعم العسكرى المباشر لتلك الحركات أو عبر وسطاء أوروبيين أو عرب ، وهى هذا تلعب السفارات الإسرائيلية في الدول الأجنبية الدور الأساسى من ناحيتين : أحديهما عبر التقارير التى ترد إلى أجهزة الاستخبارات بشأن

تطور تلك الحركات وأهدافها من التمرد حتى لو كانت تلك الأهداف غير منسجمة مع المصالح الاسرائيلية ، فهي تسعى ـــ أي إسرائيل ـــ إلى هدف أكبر ، وهو إثارة القلاقل داخل الدولة العربية الواحدة ، وإثارة الاضطرابات للحكومات العربية .

وتفسر هذه العملية إحدى وثائق اللجنة العليا للأمن التى جاء فيها « أنه من مقتضيات التكتيك الإستراتيجى الإسرائيلى انشغال الحكومات العربية في صراعات داخلية ، حتى تنصرف إلى مواجهتها ، الأمر الذى يحقق هدفين مزدوجين .. أولهما .. إضعاف القوى العربية في مواجهة تلك الأحداث الداخلية ، ومايصاحبها من انصراف تلك الحكومات العربية عن التفكير في مقاومة إسرائيل ، ثانيها .. تفرغ إسرائيل لبناء قوتها الذاتية واستعادة تفوقها على العنصر العربي » .. وهذا الهدف تقوم بتنفيذه أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية عبر تدعيم القوى المناوئة للحكومة الشرعية العربية بالسلاح .. وهناك منظمة سرية تابعة لجهاز الاستخبارات العسكرية (الآمان) مهمته تأمين مصادر السلاح ووسائل تهريبه إلى ما يطلق عليه في إسرائيل « الدول الصديقة » .

وقد نجحت تلك المنظمة في إنشاء شركات ومصانع وهمية في أوروبا لتمويه إرسال السلاح وتغليفه بصناديق للبضائع ، كما نجحت المخابرات الاسرائيلية في الحصول على أذونات تصاريح لشراء السلاح من الدول الأوروبية ، وخاصة إيطاليا وبلجيكا وفرنسا ، بالإضافة إلى ذلك فإن هناك عدداً من الطيارين الأمريكيين والبريطانيين ، بالإضافة إلى طيارين من جنوب أفريقيا يساعدون المنظمة السرية وأجهزة الاستخبارات الأخرى في تهريب السلاح من أوروبا إلى الأقطار التى يرغبون في تهريب السلاح إليها ، تحت أسماء وهمية ، وبصناديق وهمية أيضاً ..

وفي فرنسا يرتبط جهاز المخابرات الاسرائيلية بشبكة واسعة من العسكريين الذين بفضلهم يحصلون على كميات وافرة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة » فضلاً عن تعاملاتهم المباشرة مع شركات الطيران والتى تسهل مهمتهم إلى حد كبير .. وما ينطبق على مجال الطيران ، ينطبق أيضاً على المجال البرى ، حيث لدى اسرائيل شبكة واسعة من رجال الموانىء الأوروبية يتم تجنيدهم بصورة مباشرة لصالح الاستخبارات الإسرائيلية ، وذلك مقابل رواتب شهرية يتم صرفها من السفارات الإسرائيلية في العواصم الأوروبية .

وفي الولايات المتحدة ، يلعب اللوبى الصهيونى دوراً مباشراً في تجارة السلاح ، بل أنه في الولايات المتحدة جمعية سرية تتولى أمور التسليح وتجارته .. ويرجع تاريخ نشأة هذه الجمعية إلى الحرب العالمية الثانية ، حيث قامت هذه الجمعية في البداية بشراء مخلفات الحرب العالمية الثانية والتى أرادت الولايات المتحدة التخلص منها ، وبالفعل فقد استفادت اسرائيل من شراء هذه الأسلحة .

ولتحقيق أهدافها في العالم العربي تستخدم أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية أساليب عديدة لتجنيد الجواسيس في تلك البلدان .. وهناك حقيقة لابد من الإقرار بها أولاً ، وهي أن هناك أكثر من (٥٠٠) منظمة يهودية .. هدفها ينحصر في تجنيد العملاء العرب للتجسس لصالح دولة إسرائيل ، وهذه المنظمات اليهودية واسعة الإنتشار في الأقطار الأوروبية والولايات المتحدة .. وهي تمتلك تنظيمات دقيقة في تلك الأقطار والـ (Boss) أو زعيم المنظمة هو فقط الذى يتاح له الإتصال المباشر بأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية في اسرائيل .. وتقوم المنظمات اليهودية بعملها استناداً إلى ما يطلق عليه « الواجب القومى للحفاظ على إسرائيل » .. ومما يضفى أهمية كبرى على دور المنظمات اليهودية ، هو أن عناصرها من اليهود لهم قدرة تأثيرية هائلة على الاقتصاد الأوروبي بل ويمكنهم السيطرة على توجيه أجهزة الإعلام ،

والمنظمات اليهودية تتلقى توجيهات بأن على عناصرها أن تنغرس في التجمعات العربية والسفارات العربية في الدول الأوروبية ، وعن طريق هذا الأسلوب يتم تجنيد العملاء والمندوبين الذين يعملون في الدول الأوروبية .. ثم هناك أجهزة خاصة في تلك المنظمات ، وظيفتها التدريب والتلقين على كافة الأساليب المتبعة ، ثم يتولى قسم آخر الدراسة الكاملة للمجند ، ويتولى قسم ثالث تلقين المجند أصول اللغة والعادات والتقاليد إذا كان المجند من خارج القطر العربى المستهدف .

ومن المستهدفين أساساً في البلدان العربية موظفو الهيئات الدولية ، وبالطبع فإن هناك أسلوبين متفق عليهما للتجنيد .. أولهما .. الجنس .. وثانيهما .. المال .. وقد يتم استخدام الأسلوبين معاً .

ويأتى في الأهمية التالية المراسلون الأجانب ، والذين تلقى عليهم إسرائيل عبئاً كبيراً في معرفة ما يتصل بالشئون السياسية من الأخبار الدقيقة عن كل ما يدور في البلاد العربية .

وقد ثبت بالفعل ، ومن واقع سجلات المخابرات العربية أن أكثر من ٤٠٪ من المعلومات التى في حوزة إسرائيل عن المنطقة العربية نقلها إليها مراسلون أجانب يتسترون في العمل الصحفى في البلاد العربية ، خاصة وأن هؤلاء المراسلين الأجانب قد اتسعت حدودهم ، وأصبحوا يكونون علاقات وطيدة مع أجهزة الحكم في البلاد العربية .. وعلى شاكلتهم أيضاً الدبلوماسيين الأجانب ، وخاصة الدبلوماسيين الذين لدولهم علاقات طيبة مع إسرائيل .. وقد أكدت التقارير أن عدداً كبيراً من الدبلوماسيين الأجانب (الآسيويين) في المنطقة العربية مجندون للعمل لصالح إسرائيل .

وتعد تجارة المخدرات أحد العناصر الأساسية والهامة لنجاح عمل الاستخبارات الاسرائيلية وهي تمر بمراحل أساسية ، حيث يتولى قادة أجهزة الاستخبارات

الإسرائيلية تسلم كمية المخدرات الواردة إليها ، وخاصة من تركيا ولبنان عبر البحر .. وفي الأغلب تكون مدينة (نهاريا) هي المكان الذى يجرى عبره التسليم .

وقد أكدت تقارير دبلوماسية أن مصر هي المستهدف الأول في تجارة المخدرات وأن إسرائيل تقوم بتهريبها عبر الحقائب الدبلوماسية للأجانب تارة ، أو عبر أحد الطرق الملتوية تارة أخرى .. وفي الغالب تكون هناك كميات محددة للمجندين الذين يعملون معها تعطى لهم مجاناً لإغرائهم بالاستمرار في العمل مع إسرائيل .

والشواطىء اللبنانية مكان خصب لعمل أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية ، بل وسبق أن نفذت عمليات عديدة في تلك الشواطىء بنجاح ، حيث يتم تسليم المخدرات ، وفي الوقت نفسه يتم تجنيد عملاء يجرى نقلهم مباشرة إلى إسرائيل لمقابلة ضباط الاستخبارات الإسرائيلية ، ثم يعودون مرة أخرى إلى لبنان .

ومن الأساليب التى تلجأ إليها إسرائيل في الكشف عن حقائق الموقف السياسى أو العسكرى أو الاقتصادى لعدد من الدول العربية .. وهي حسب الترتيب الإسرائيلى حالياً (لبنان ــ سوريا ــ الأردن ــ مصر) تجنيد أعداد كبيرة من أبناء القرى الحدودية ، مستغلة في ذلك حاجتهم للمال .. ولذلك فإن المنظمات اليهودية تعمل على توفير اعتمادات مالية طائلة لأبناء تلك القرى .

وأسلوب التجنيد المتبع ، يتم عبر العسكريين الإسرائيليين المرابطين في الحدود ، حيث يحاولون في البداية إنشاء صلات اجتماعية محض مع سكان القرى الحدودية ، ثم تطرق تلك العلاقة إلى تكليف هؤلاء السكان بمهام بسيطة لا صلة لها بأعمال الجاسوسية ، كإحضار الأطعمة والمشروبات للجنود الإسرائيليين .. وفي مقابل ذلك يتقاضون مبالغ معينة ، ينظر إليها سكان تلك القرى على أنها مبالغ ضخمة ، ثم يتم تخير العناصر الصالحة .. ومعيار الصلاحية يعتمد على أمرين .. أولهما ذكاء المجند وسرعة بديهته في تفهم ما يجرى حوله . ثم علاقاته الاجتماعية بالمركز أو العاصمة ..

ولا يلتفت كثيراً إلى معيار درجة تعلمه ، ولكن إن وجد هذا المعيار في الشخص المجند ، فإنهم يستخدمونه بصورة أكبر من ذويه غير المتعلمين .

وقد أثبتت الحقائق المقررة في سجلات المخابرات العامة ، أن عدداً كبيراً من أبناء القرى الحدودية يرفضون بشدة استخدامهم في أعمال التجسس ، ولكن إسرائيل لا تتركهم وشأنهم ، فهى تلجأ إلى استخدام الأسلوب الإرهابى ، حيث يجرى التهديد بنسف البيوت أو حرق المزارع أو سرقة المواشى أو غير ذلك من الأساليب الملتوية والمتعارف عليها من إسرائيل .

وتستخدم الاستخبارات الاسرائيلية نوعية دقيقة من الأجهزة لتنفيذ أهدافها في المنطقة .. حيث توضح للعميل بعد تجنيده « خطة أمنية » يكون مطالبا بتنفيذها ، وتتضمن طريقة الإتصال والمواعيد المحددة للإتصال . والشيفرات الخاصة التى من خلالها يتم إرسال المعلومات أو تلقى التعليمات المحددة ، وهذه الأجهزة دقيقة جداً ، وأحجامها متناهية في الصغر ، الأمر الذى أربك أجهزة المخابرات العربية لفترة من الزمن .. وهناك مؤسسات بعينها هي التى تتولى تصنيع تلك الأجهزة .. وتعد مؤسسة « تديران » وهي صاحبة اختصاص أصيل في صناعة الأجهزة الإلكترونية العسكرية هي المؤسسة الأم لصناعة أجهزة التصنت والإتصال الإسرائيلى ، وتتبع هذه المؤسسة شركة (جنرال تليفون آند الكترونيك) الأمريكية ، وهناك قسم خاص في تلك الشركة الأمريكية يتعامل مع جهاز المخابرات المركزية الأمريكية والذى يعد بدوره حلقة وصل مباشرة مع أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية .. ومؤسسة (تديران) تقوم بصنع أجهزة الإتصال المتناهية الصغر في الحجم ، ولها قدرة على التقاط الإشارات أو الأحاديث من المسافات البعيدة جداً ، وصوتها يكون واضحاً جداً ..

وقد كان لسوريا النصيب الأكبر من التعامل مع أجهزة مؤسسة (تديران) ، بل لجأت السلطات السورية في فترة من الفترات إلى إصدار أمر عسكرى بوقف جمع أجهزة الإرسال العسكرية ، بالإضافة إلى ذلك فإن هناك مؤسسات متخصصة بجانب مؤسسة (تديران) تعمل على صناعة وسائل دقيقة للتصوير ، كأن تكون علب كبريت أو ولاعات سجائر أو أقلام مثلاً . ووسائل التصوير والإتصال تعد بداية الاختبارات بالنسبة لأي عميل يجرى تجنيده .

بعد هذه المرحلة تبدأ المرحلة الثانية ، وتتعلق بتزويده بمحاليل كيميائية خاصة ، وقد أثبتت تلك المحاليل الكيمائية دقتها المتناهية في الكشف عن فحوى الرسائل ، وحالياً يستخدم الموساد أجهزة أشعة لقراءة محتويات الرسائل .. أما طريقة استخدام الحبر السرى ، فهى تتم من خلال الخطوات التالية :

الخطوة الأولى : يتم مسح طرفى الورقة بالقطن الجاف لمدة ٢٠ دقيقة .. والخطوة الثانية : بأن توضع هذه الورقة في شكل عمودى على سطح زجاجى .. والخطوة الثالثة : يضع العميل مذكرته برفق مستعينا في ذلك بعود كبريت يضعه في محلول خاص . والخطوة الرابعة .. يتم وضع الورقة بعد ذلك في وضع أفقى .. والخطة الأمنية للعميل تقف عند هذا الحد .. ولكنها تستمر بالنسبة للأجهزة القائمة في إسرائيل ، لأنه من مقتضيات الخطة الأمنية ــ أجهزة حفظ المعلومات ؛ والتى يستخدم فيها كود معين ، يمنع تسرب الملفات ، ثم تقوم العقول الألكترونية بتحليل المعلومات ، وخاصة العسكرية منها .. وبعد تحليلها تخضع تلك المعلومات للمراحل التى ذكرناها سالفاً في التخطيط والتنسيق واستنباط النتائج ، ثم تأتى مرحلة الطريقة العملية للإستفادة من هذه المعلومات .. وذلك إما بالخطة العسكرية المحتلة . وهي مسئولية جهاز الاستخبار العسكرى ، أو بوضع خطة الإغتيال ، وهي مسئولية الغرفة السوداء ، أو التهديد لهدف استراتيجى عربى ، وهي مسئولية الموساد بالإشتراك مع الأجهزة الأخرى .

□ الفصـــل الثامـن □

الـ سى . آي . إيه .. في خدمة الموساد

ـ علاقة الموساد والسى آي إيه ، ليست علاقة جديدة أو وقتية ، إنما هي علاقة قديمة واستراتيجية . وهي تقوم على عدد من الدعامات المشتركة ، أبرزها تحقيق المصالح المترابطة بين الطرفين الأمريكى والاسرائيلى .

وتأخذ عملية التعاون اشكالاً عديدة ومتعددة . أهمها عمليات تبادل المعلومات والخبرات ، وأيضاً التنفيذ المشترك .

لقد عبر وزير الخارجية الأمريكى الأسبق هنرى كيسنجر عن المعنى العام للترابط الاستراتيجى بين الطرفين ، بقوله « إن علاقتنا بإسرائيل غير قابلة للبحث والمناقشة فهي أشبه بعلاقة سطور الكتاب ، نحن نسطر سطراً ، واسرائيل تسطر السطر التالى ، وعلى الجميع أن يفهم ذلك » . ولكن مشكلة المشاكل أن الكثيرين لا يفهمون ذلك .. أو فلنقل أنهم يتعمدون تجاهل ذلك .

صحيح أن لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل خصوصيته ، ولكن الخلافات حتى وإن وضحت في بعض الأهداف التكتيكية إلا أن هناك إتفاقا واضحاً بين الطرفين في الخطوط الاستراتيجية العامة . فلكل أطماعه في المنطقة . ولكل أساليبه في تحقيق هذه الأطماع .

ومن هذا المنطلق يجرى التنسيق بين الطرفين في شتى المجالات . ومن بينها السفارات الاسرائيلية والأمريكية في الخارج . وتحديداً بين مكاتب أجهزة الاستخبارات فيها . وذلك بهدف ضرب الأهداف الاستراتيجية العربية كالمصانع أو مصادر الطاقة ، أو جميع الإنشاءات العربية الخاصة بالتصنيع الاقتصادى والعسكرى .

ويجرى تصوير هذه الأهداف عبر الأقمار الصناعية ، أو طائرات التجسس الأمريكية ، ثم تخضع هذه الصور للتحليل في أجهزة الأمن القومى الأمريكي لتقدم بعد ذلك إلى أجهزة الاستخبارات العسكرية الصهيونية .

وضمن الأهداف المشتركة في هذا الإطار ، محاولة إحداث أكبر نوع من التخريب السياسى والاقتصادى الطائفى ببلدان المنطقة . وقد كان لبنان في مقدمة هذه البلدان التى تمت فيها عملية التخريب الإسرائيلي والأمريكى . وقد انعكس ذلك في الواقع الذى يعيشه لبنان في الوقت الراهن ، حيث التناحر الطائفى والطبقى والسياسى ، الأمر الذى يكاد يذهب بالكيان اللبنانى من أساسه .

إن دور المخابرات المركزية الأمريكية « السى آي إيه » . قد كبر واستفحل منذ زمن بعيد ، إلى الدرجة التى دفعت بالرئيس الأمريكى الأسبق « ترومان » إلى القول : « بأن ما يقلقنى ويزعجنى حقاً هو دور المخابرات الأمريكية في السياسة الخارجية الأمريكية ، فهي تقوم بتحديد السياسة ، ثم رسمها ، ثم تخير أهدافها ، ثم تضع لنا بعد ذلك أسلوب تنفيذ هذه السياسة .. أنه دور لابد لنا من مراجعته » .

صحيح أن للكونجرس الأمريكى الحق في الاطلاع على أعمال السى آي إيه ، ولكن قانون الأمن القومى الأمريكى ١٩٤٧ أعطى الحق للسى ـــ آي ـــ إيه في أن تستثنى ماتراه بشأن العمليات السرية التى تقوم بها من العرض على الكونجرس أو الحكومة الأمريكية .

وبمقتضى ذلك ، فإن السى آي إيه . راحت ترسم ملامح حكومة داخل الحكومة ، وأصبحت سلطاتها تمتد إلى كل كبيرة وصغيرة داخل الولايات المتحدة وخارجها . لقد دفعت هذه السلطات الواسعة أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى إلى أن يتساءل أثناء مناقشة هذه القضية عام ١٩٧٥ بالقول « أريد أن أتساءل من يحكم أمريكا نحن أم الحكومة الخفية التى لا نراها ولا نسمع عنها ؟ ..

إن الميثاق السرى الذى يحدد طبيعة عمل السى آى إيه لا يقصر عملها على الولايات المتحدة فقط ، بل يعطيها الحق في التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى أيضاً . وهذا قطعاً لا يتم إلا عبر برنامج فعال لجمع المعلومات وتحليلها .

والرئيس الأمريكى الأسبق ترومان ، الذى كان صاحب القرار الفعلى لإنشاء السى ـــ آى ـــ إيه ، حدد ومنذ اليوم الأول أهدافها بقوله (أن دور ـــ السى ـــ آى ـــ إيه ، ليس فقط مناقشة الصراع بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ، ولكن دورها يتعدى ذلك بكثير ، إنها في المقام الأول مؤسسة للحفاظ على مصالحنا وأهدافنا في جميع الأقطار الأوروبية والأمريكية والآسيوية ، ويجب أن نحافظ بقوة على مصالحنا في الشرق الأوسط)

ولكن الرئيس الأمريكى (دالاس ، أدخل مفهوماً جديداً لعمل المخابرات الأمريكية ، عندما أضاف إليها القيام بأنشطة سرية أعتبرها من دواعى الأمن القومى الأمريكى) . وهذا الاختصاص مالبث أن تحول لاختصاص أصيل لعمل (السى ـــ آى ـــ إيه) في السبعينات والثمانينات .. ومن هنا فلا عجب أن تستخدم

الولايات المتحدة طائرات تجسسية على درجة عالية جداً من التقنية لهذا الغرض مع أن الطائرة الواحدة تكلفها بلايين الدولارات .

وللسى آى إيه ، أساليب غاية في السرية .. تستخدمها في عملياتها ، تبدأ من مرحلة الإنتهاء من جمع المعلومات ، ثم تليها مرحلة يطلق عليها (المصفاة) وظيفتها إختيار المعلومات الواردة ، والتأكد من صحتها عبر الأجهزة الالكترونية المعدة لهذا الغرض .. وبها داكرة إلكترونية لمقارنة المعلومات الواردة بالمعلومات السابقة التى وردت منذ زمن بعيد ..

ثم تأتى بعد ذلك مرحلة (الإنتقاء) وتهدف لجدولة المعلومات ، وإعطاء كل جزئية فيها رقم خاص ، تعقبها مرحلة (التخير) ويقصد بها تخير الوسائل والأساليب للتعامل مع هذه المعلومات ..

وعند مناقشة هذه المعلومات غالباً ما يتم ذلك بأرقام كودية .

وفي إثناء مرحلة الإختيار تتم المناقشة الكاملة لأوجه المعلومات الواردة ، ويتولى ذلك أفراد من السى ــ آى ــ إيه ، على درجة عالية من خبرة التكتيك السياسى والعسكرى ، ويتم في بعض الأحيان الاستعانة بأفراد من الخارجية الأمريكية لنفس الكفاءة..

بعد ذلك .. يأتى دور لجنة الأربعين وهي مكلفة بمهمة تلقى التقارير من مستشار الرئيس للأمن القومى ، لمناقشتها .. وهي لا تضع أية اعتراضات على تنفيذ أية عملية سرية ، طالما كان ذلك يهدف لخدمة المصالح الأمريكية .

ولهذه اللجنة أن تتخذ ماتراه ملائماً من أساليب للتدخل في السياسات الداخلية للدول . وفي إطار سرية العمل والقرارات التى تتخذها اللجنة ، فإنها تتخذ ما تراه ملائماً .. وهي محكومة في ذلك بثمانية أساليب محددة سلفاً من قبل جهاز الأمن

القومى الأمريكى ، تستهدف في جملتها التأثير على السياسات الداخلية للدول الأخرى .. وتتلخص الأساليب الثمانية في :

ــ تقديم المشورة أو النصح السياسى للحكومة القائمة بأن تتراجع عن تنفيذ سياسة معينة ، أو الاقدام على تنفيذ سياسة ما .
ــ تقديم معونات مالية فردية لبعض الأفراد والجماعات ، وفي هذا تلعب السفارات الأمريكية الدور الأساسى من أجل تنفيذ هدف ما للحكومة الأمريكية .
ــ تقديم معونات مالية وفنية لأحزاب سياسية أو جماعات مناوئة للسلطة الشرعية ، أو تنظيم ما داخل المؤسسة العسكرية للدولة المستهدفة .
ــ تأييد مالى وفنى ومعنوى لمنظمات خاصة داخل بعض الدول ، مثل النقابات والتعاونيات أو منظمات عسكرية أو اجتماعية .
ــ تدريب خاص لبعض الأفراد والجماعات داخل بعض الدول على استخدام أساليب معينة لتعطيل سياسة ما للحكومة الشرعية .
ــ القيام بإتخاذ قرارات اقتصادية لها مسارها الضار على الاقتصاد القومى في الدولة المستهدفة .
ــ القيام بعمليات عسكرية مباشرة لاسقاط نظام الحكم في دولة ما .
ــ تقديم أسلحة ومعدات عسكرية حديثة للجماعات المناوئة للسلطة لإسقاطها .

• • •

وفي حالة الخلاف حول أي من تلك الوسائل اللازم استخدامها ، فإن التقرير المعد يخضع للمناقشة في جلسات أخرى . يشرح فيها كل مبرراته ويشارك في الجلسات مدير (السى ــ آى ــ إيه) ومستشار الرئيس للأمن القومى ، ويمكن أيضاً الاستعانة بخبراء من الخارجية الأمريكية ، تنحصر مهمتهم في شرح المعطيات الكاملة بالنسبة للعلاقات التى تربط الولايات المتحدة بالدولة المستهدفة ،

والأهداف البعيدة للولايات المتحدة في تلك الدولة ، ويستمر الجدل حتى يتم الاتفاق على الأسلوب الملائم ، ويعقب ذلك تصديق الرئيس الأمريكى .

وللسى ــ آى ــ إيه أن تنفذ عمليات سرية ، تتصل بشأنها مباشرة بالبيت الأبيض ، متخطية في ذلك دور مستشار الرئيس للأمن القومى .

وبحكم طبيعة الدور التآمرى الذى تقوم به السى ــ آى ــ إيه ، فإنها تستعين بفريق ضخم يتعدى الـ (١٨) ألف شخص ، بالإضافة للعملاء والمندوبين المجندين في دول العالم المختلفة .. وأيضاً العملاء الذين يستترون خلف الصفة الدبلوماسية ، والذين تقع عليهم مهمة موافاة السى ــ آى ــ إيه بتقرير أسبوعى ومفصل عن كل كبيرة وصغيرة في الدول التى يعملون بها .. وفي تقرير للسى ــ آى ــ إيه أعد في مرحلة سابقة ، قدر عدد من يعملون لحسابها من خارج الولايات المتحدة بخمسة آلاف شخص .

وفيما يتعلق بالمنطقة العربية ، فإن للسى ــ آى ــ إيه رؤية محددة ، حولها وهناك مقولة هامة لريتشارد بيل ــ أحد قادة السى ــ آى ــ إيه القدامى ــ في هذا الصدد حددها بقوله (إن حكومات هذه البلاد ضعيفة من الناحية التنظيمية ، ولذلك فإن إدراكها لشئون الأمن القومى لبلادها ينقصه الكثير حتى يكتمل ، وإن الصراع على السلطة في تلك المنطقة أمر دائم ومستمر ، فإما أن يتم تقاسم السلطة بالفعل ، وأن يكون هناك إتفاق عام على ذلك الشكل من السلطة ، وهنا قد يبدو دورنا أصعب بعض الشيء .. أما إذا كان هناك تقاسم بين الأحزاب والمنظمات والأفراد .. وإن كان هناك عدم رضاء على السلطة القائمة ، فإنه يجب أن نساعد جميع هذه الفئات التى ينبغى أن تقدم لها المساعدات الخارجية دون أدنى تردد ، لأن ذلك ــ إذا كلفنا حفنة من الدولارات فإنه سيعود علينا بالفائدة العظمى .

وقد عبر أحد قادة السى ــ آى إيه عن الأهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية بالقول « إنه لا يمكن الاستغناء عنها ، فالعرب قليلى الحيلة في تأمين أنفسهم .. لذلك فإنه إن لم نصل إلى الحكومة القائمة ، ونقنعها بسياساتنا ، فإنه يجب ترويض القوى المحلية المناوئة للحكومة ، وعلينا أن نقدم في ذلك كل مساعدة ممكنة .. وإن لم تروض الحكومة القائمة .. علينا أن نضرب الابنية .. أن نقاتل من يناوئنا ، ألا نسمح بإقامة أي هدف استراتيجى على أراضيهم ، فالمنطقة مستهدفة من عدونا الأيديولوجى (والاتحاد السوفييتى) ، وهي معركة بقاء أو فناء لنا أولهم (يقصد الاتحاد السوفييتى) !!

وفي إطار حرب المعلومات .. نجح رجل أعمال مصرى ، له علاقات إجتماعية واسعة مع مسئولين أمريكيين في الحصول على وثائق أمريكية غاية في الأهمية والخطورة ، تدور حول السبل التى اعتمدتها السى ــ آى ــ إيه ، للتعامل مع المنطقة العربية .. وبدافع الوطنية والولاء ، قام هذا الرجل بتقديم تلك الوثائق للسلطات المختصة .

وترى تلك الوثائق أن التغلغل هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع دول المنطقة ، والتغلغل ليس مفهوماً بسيطاً .. فهو يعتمد على مفهومين من وجهة نظر السى آى إيه : تغلغل خارجى تقوم فيه اسرائيل بالدور المباشر ، من خلال التسرب إلى دول المنطقة ، وجمع الحقائق المحيطة بهم .. وتغلغل داخلى تقوم فيه السفارات الأمريكية بالدور المباشر ، وله وسائل متنوعة . تتم عن طريق تقديم التمويل لإحدى الجماعات المناوئة للسلطة ، أو القيام بعمليات عسكرية ، أو تخير إحدى الوسائل الثمانية السالف ذكرها .

ولعل النقطة الهامة في عمليات التغلغل ، تكمن في تكليف ضباط يعملون في السفارات الأمريكية للقيام بمهمة إعداد تقارير يومية أو أسبوعية أو شهرية ، وتتراوح مدة إنتدابهم مابين سنتين أو ثلاث سنوات ، والهدف من وراء قصر المدة الزمنية إبقاء أمر هؤلاء الضباط سراً .. وهم خلال فترة عملهم يحملون ألقاباً دبلوماسية غير صحيحة ، وإذا تعذر ذلك يأتون للمنطقة متسترين بالعمل كمراسلين أجانب لصحيفة أو إذاعة ما ، أو عبر شركات أعمال أمريكية .. أو غير ذلك .

وفيما يتعلق بمسألة التعاون بين السى ــ آى ــ إيه والموساد الإسرائيلى ، فالهدف الأساسى يكمن في تبادل المعلومات ، بهدف ترتيب الأوضاع من جديد في المنطقة العربية ، عبر إحداث تأثيرات سياسية واقتصادية معينة ، سعياً وراء ضمان استمرار السيطرة والنفوذ الأمريكى في المنطقة .

وفي هذا الإطار ، تقوم السى ــ آى ــ إيه ، بمعاونة أجهزة أمريكية متخصصة (الخارجية ــ الأمن القومى) بعمليات الرصد الجوى عبر الأقمار الصناعية المزودة بأجهزة تصوير شديدة الحساسية ، ذات زوايا عريضة ، وتحمل الأشعة تحت الحمراء التى تستطيع قياس الحرارة في الأهداف الأرضية المستهدفة ، بالإضافة لأجهزة تصوير تليفزيونية ، كما تقوم طائرات التجسس الأمريكية الشهيرة مثل (سى ـ ١ ـ ٧١) ، بتقديم المعلومات الكاملة في إطار التعاون بين السى ــ آى ــ إيه والموساد الاسرائيلى .

ولتسهيل مهمة التجسس على المنطقة العربية من قبل الأقمار الصناعية ، تم إنشاء قاعدة في أثينا للربط بين وحدات الاستطلاع أمريكية المزودة بطائرات إلكترونية ، وهي تقوم بعملها بصورة دورية للمرور على السواحل العربية .

وقد وصف أحد المسئولين السياسيين الأمريكيين طبيعة التعاون المعلوماتى القائم بين السي ــ آى ــ إيه والموساد الاسرائيلى بأنه" لا يضاهيه أي تعاون آخر ، حيث وصل إلى الحد الذى فاق فيه التعاون الذى كان قائماً مع بريطانيا بشأن الترتيبات النووية في أوروبا .. ويدخل في إطار هذا التعاون ، المعلومات الاستراتيجية العامة ، ثم المعلومات الاستراتيجية الخاصة بالمنطقة .

ويتضمن الإطار الأول المعلومات الكاملة عن الإتحاد السوفييتى ، ومواقفه المحتملة تجاه دول المنطقة ، سواء تعلقت تلك المواقف بدراسة التسليح السوفييتى لدول المنطقة من حيث ماهية السلاح ، أو بعقد الصفقات العسكرية وطريقة وميعاد التسليم ، والطريقة الجغرافية التى ستمر بها الأسلحة حتى تصل إلى القطر العربى ، والأهداف السوفييتية من تلك الصفقات ومدى موافقة القطر العربى على تنفيذ تلك الأهداف من عدمه .

وتتضمن المعلومات الاستراتيجية العامة جميع المعلومات السياسية الخاصة بالتشاور السياسى مع الزعماء السوفييت ، ومدى اختلاف أو توافق تلك الرؤى السياسية ، ودراسة أفكار أمريكية سياسية يقربها تجاه القطر العربى المستهدف ، بهدف احتواء الأفكار السوفييتية ، وتقليصها ، ويؤخذ في الأعتبار ألا تمس تلك الأفكار أو تهدد الأمن القومى الإسرائيلى ، وهي في الغالب تستهدف شغل الزعماء العرب ردحاً من الزمن في مناقشتها ، للتأثير على محتوى الأفكار السوفييتية المطروحة .

أما المعلومات الاستراتيجية الخاصة ، فهي في الأغلب معلومات عسكرية ، حيث تقوم الولايات المتحدة بإمداد إسرائيل بكافة الصور التى التقطتها أجهزة الأقمار الصناعية الأمريكية بشأن مسارح العمليات العسكرية للدول العربية ، وخاصة عند حدوث أى تغيير أو جديد على تلك المسارح .. وتتضمن هذه المعلومات والدراسات

والبيانات الوافية عن الأراضى العربية ، وتحصيناتها ، ومواقع صواريخها ومراكز إداراتها ، ومطاراتها السرية ، ونوعية التدريبات العسكرية التى تجرى على هذه الأراضى والأسلحة الجديدة التى دخلت إلى المنطقة العربية ، وملائمتها لمسرح عملياتها الحربى .

وتحظى مصر بأهمية خاصة في سياق المعلومات الاستراتيجية .. ووفقاً للاحصائيات فإن أكثر من ٤١٪ من المعلومات العسكرية الخاصة عن مسرح العمليات العسكرى في مصر تم نقلها عبر السى ـ آى ـ إيه للموساد الاسرائيلى .

وتلى مصر في الأهمية في هذا الجانب من المعلومات سوريا فالأردن فلبنان فالعراق ، ثم دول الخليج ودول شمال أفريقيا .. وهي بالترتيب (ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب) .

أما المعلومات الإقتصادية ، فهي لا تدخل في إطار المعلومات الاستراتيجية الخاصة ، وإن كانت السى ـ آى ـ إيه تطلع عليها أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بصورة غير دورية ، وتعتمد إسرائيل في هذا الصدد على إمكانياتها .

ويقع العبء الأكبر في تحصيل هذه المعلومات على السفارات الأمريكية التي تلعب دوراً مشبوهاً ، فتقوم بجمع معلومات كاملة عن الأوضاع الداخلية والخارجية .

وقد أفاد تقرير سرى للغاية حصلت عليه إحدى الشخصيات العربية المهمة في الولايات المتحدة وأطلعت عليه مسئولين سياسيين عرب في واشنطن ، بأن ما تحصل عليه إسرائيل من معلومات عبر السى ـ آى ـ إيه هي معلومات موثقة غير قابلة للشك ، وهي متطابقة تماماً ، حيث أن الصور التى ترسل عبر السفارات الأمريكية في المنطقة العربية إلى السى ـ آى ـ إيه ترسل منها صورة أخرى للموساد الإسرائيلى .

ولا شك في أن عملية الطائرة العراقية الميج ٢١ التى اختطفت ــ منذ أعوام ــ إلى إسرائيل ، تؤكد مدى التآمر المشترك ،والتعاون القائم بين السى ــ آى ــ إيه ففي البداية قامت السى ــ آى ــ إيه بإرسال (٣) مندوبين لتتبع الطيار العراقي (منير روفا) ، والذى كان يتلقى دورة تدريبية في الولايات المتحدة ، وبعد تتبعه بحوالي شهر . تم إعداد تقرير عن الطيار العراقي ، يبين مزاجه الشخصى بالإضافة إلى معلومات شملت نشأته وتدريبه العسكرى ، بعد ذلك تم تغيير المندوبين الثلاثة ، ليحل محلهم إثنان أخران .. وبطريقة ما تم التعرف على الطيار العراقي ، وتم استدراجه بهدف دراسة جوانب شخصيته ، كما جرى اصطحابه إلى سهرات حمراء خاصة ، واستمرت هذه العملية زهاء خمسة عشر يوماً وهكذا .. إلى أن تم النجاح في تجنيده لحساب السى ــ آى ــ إيه . وقد أرسلت المعلومات كاملة للموساد الإسرائيلي بشأن هذا الطيار ، الذي كان من الأكفاء في سلاح الجو العراقي ، وتحدد الهدف في اختطاف طائرة ميج ٢١ ــ عراقية للحصول على جميع الأسرار والأمور المتعلقة بتلك الطائرة ، وزودت الموساد من جهتها السى ــ آى ــ إيه بالوسائل اللازمة لتنفيذ العملية ، بالإضافة للوسائل التي كانت قد أعدتها السى ــ آى ــ إيه .. وتم الاتفاق على أن تهبط الطائرة عقب اختطافها في فلسطين المحتلة ، وبمجرد هبوط الطائرة ، كانت هناك مجموعة من الخبراء الأمريكيين في انتظارها .

وفي الحروب التى خاضتها مصر مع إسرائيل كان لدور الموساد بالتنسيق مع السى ــ آى ــ إيه .. الفضل الأول في تحديد مسار الحروب .. وقد أثمر هذا التعاون بشكل خاص إبان حرب ١٩٦٧ ..

ففي الثاني من يونيو ١٩٦٧ ، وصل الجنرال (ماير عيت) رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية إلى واشنطن فجأة ، حيث حل في إحدى البنايات القديمة في نيويورك ، والتقى هناك مع مسئولين أمريكيين في الأمن القومى والسى ــ آى ــ إيه .. وتسلم في هذا اللقاء (١٤) وثيقة أمريكية تتناول معلومات عسكرية غاية في الدقة والأهمية عن :

ـ الأسلحة السوفييتية الموجودة في الجيشين المصرى والسوفيستى .
ـ الخطط العسكرية السوفييتية والتى تتدرب عليها الجيوش العربية .
ـ العدد والعتاد العسكرى الكامل للجيش المصرى
ـ نقاط الضعف والقوة في مسرح العمليات العسكرى المصرى والسورى مرفقا بها خرائط جغرافية منفصلة ، عن سيناء وهضبة الجولان .

كما زودت السى ـ آى ـ إيه الموساد بصور التقطتها طائرات التجسس لمواقع بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات ومراكز إنتشارها ومواقع الرادارات . بالإضافة لتفصيل كامل عن مكان عمل الدفاع الجوى المصرى ..

وفي الوثيقة الحادية عشرة ، كانت الخطة العسكرية الأمريكية والتى خلصت إلى ضرورة توجيه ضربة حاسمة للطيران المصرى في الساعة الأولى للهجوم .. بهدف شل حركته ، لأن ذلك من شأنه أن يتيح للقوات الإسرائيلية البرية سرعة التحرك .

وتم بالفعل تنفيذ أغلب ماورد بالخطة الأمريكية ، ولم تدخل القيادة العسكرية الإسرائيلية سوى بعض التعديلات الطفيفة بشأن عملية بدء الهجوم على المواقع المصرية .

وجملة القول .. أن التعاون بين الموساد الإسرائيلي والسى ـ آى ـ إيه كان وراء الهجمة الإسرائيلية على مصر في ١٩٦٧ ، كما لعبت السى ـ آى ـ إيه الاستنزاف دورا مهما في حرب مع الموساد الإسرائيلي ، حيث استطاعت الأقمار الصناعية الأمريكية ، وطائرات الاستطلاع بواسطة التصوير الجوى ، رصد (٤٥) بطارية صواريخ كانت موجودة على بعد (٣٠) كيلو متراً من قناة السويس ، ورصد أكثر من (٢٠٠) موقع عسكرى كانت القوات المسلحة المصرية تستخدمها ، بالإضافة لتصوير كامل لمواقع صواريخ سام (٢) ، بل ورصد الأماكن التى توجد فيها هذه الصواريخ بدقة .. وأيضاً رصد كامل لبطاريات صواريخ من طراز سام (٣) .

كما أن عملية التجسس المشترك لم تتوقف حتى بعد حرب ١٩٧٣ ، فلا تزال إسرائيل وأمريكا يتجسسان على مصر ، حتى برغم توقيع إتفاقيات كامب ديفيد ذلك أن إسرائيل والولايات المتحدة لا يمكن لهما أن يثقا في مصر أو غيرها من الدول العربية لاعتبارات عديدة ، كما أن مصر ذاتها لن تثق يوماً في الموقف الإسرائيلى أو الأمريكي تجاهها ..

ومن ثم يصبح طبيعياً القول إن مطاردة الذين يتجسسون على مصر هو واجب وطنى بلا جدال .

● ● ●

□ الفصـــل التاســـع □

ستون دقيقة في منزل عبد الناصر

ــ عند نهاية العقد السابع من هذا القرن . عاشت مصر مايمكن تسميته بمرحلة الصدام مع الذات . ففي سنوات هي بمثابة اللحظة في عمر الزمن والتاريخ .. انقلب كل شيء .. في تسابق محموم وغير مفهوم ..

كان كل شيء ينهار بأقصى مما تتصور العقول . وكان التغيير من النقيض إلى النقيض يسبق تفكير البشر .

وعاشت الجماهير الإحباط لفترة من الوقت . بعد أن اكتشفت الخديعة ورأت بنفسها الأنخاب تتطاير احتفالاً بعودة الهدوء والسلام مع أبناء العمومة الجدد .

الحسابات أربكت الجميع . والإعلام وجه سمومه بلا رحمة .
ولكن عمر الكذب قصير .

• • •

في التاسع عشر من نوفمبر ١٩٧٧ قام السادات برحلته المشئومه إلى القدس . راح يبحث عن السلام وسط القتلة والسفاحين . ويمد يديه إلى الأيدى الملوثة بالدماء على مدى عشرات السنين .

حفنة قليلة من أبناء هذا الوطن قالوا لا في هذا الوقت ومنهم . محمود نور الدين .

كانت الحملات الإعلامية شديدة وموجهة بعناية . قالوا للجماهير : كفى حرباً وموتاً ودماراً .. آن الوقت لمصر أن تهدأ وتنعم بالخيرات .

.. لكن السنين تمضي ويتحول كل شيء إلى سراب .. فمصر لم تنعم بالخيرات ، بل إن الوضع الاقتصادى إزداد سوءاً والمنطقة لم تنعم بالسلام ، فإسرائيل هدفت من خلف كامب ديفيد إلى عزل مصر ، وتقييدها ، لتعربد بقوة في المنطقة العربية .

● ● ●

ترسبت حالة من الغليان والقهر في الأعماق .. المشاعر الثائرة الجياشة راحت تعبر عن نفسها ، في مواقف شتى .. ولكن الستار أسدل على الفصل الرئيسى في المأساة بأسرع مما يتصور الكثيرون .

وبنهاية السادات ، انتهى الفصل الأول .

.. ومع البدايات الأولى للعقد الثامن ، تأكد للجميع أن رهان السلام ، هو كذب ووهم وادعاء . في يونيو من العام ١٩٨٢ ، كانت الهمجية الإسرائيلية تقتل وتسفك وتعربد في لبنان .. قتلوا الأطفال بلا رحمة .. مزقوا أجساد الشيوخ والنساء .. ولم يرحموا أحداً .

.. كان الجميع يصرخون : وامعتصماه .. ولكن لا أحد يجيب ! .

.. أكثر من ثمانين يوماً وإسرائيل تحاصر المقاومة الفلسطينية في بيروت .. ولكن الجميع كانوا في سبات عميق .

.. ومع خروج المقاومة الفلسطينية إلى خارج لبنان ، كان الشعب العربي من المحيط إلى الخليج يتألم أسى وحسرة ..

ولكن ماذا هو فاعل ؟ !!

● ● ●

عندما قام السادات بزيارته إلى القدس ، كان محمود نور الدين يعمل بمكتب المخابرات العامة بالسفارة المصرية في لندن .. لم يطق الاستمرار .. تقدم باستقالته بعد أن وجد نفسه على طرف نقيض مع الحكم .

.. محمود رجل عصامي وهو من مواليد الإسكندرية في ١٩٤٠/١/٢٦ ، عندما سافر إلى لندن في عام ١٩٦٢ ، لم يكن يحمل معه من مؤهلات سوى الثانوية العامة . أراد أن يتزوج من نادية حسن سرى .. لكنهما اتفقا فقط على الخطبة .. فمن يدرى .. ؟ !

.. كانت نادية وقتها طالبة بالمرحلة الإعدادية .. لكنها جميلة وذكية .. أحبت محمود ، وبقوة ، وتواعدت معه على اللقاء مرة أخرى .

.. ظل محمود يعمل بالسفارة المصرية ، ويتدرج في وظائفها إلى أن عين ملحقا إدارياً عام ١٩٦٨ ، بعد أن حصل على دبلوم الإقتصاد من جامعة لندن ، ثم عمل بمكتب المخابرات العامة ، وكان مثار إعجاب رؤسائه .

.. لقد كان محمود يؤدى عمله عن إيمان وعقيدة .. ولم يكن يتعامل مع وظيفته ، كوظيفة وحسب ، وإنما كان مناضلاً في سبيل وطنه ، شأنه شأن كل هؤلاء الشرفاء الذين أذاقوا المخابرات الإسرائيلية الأمرين لفترات طويلة من التاريخ .

.. وقد رشحه العميد على أحمد على الذى كان يعمل ملحقاً عسكرياً بلندن آنذاك ليحصل على وسام عن دوره وخدماته أثناء حرب أكتوبر . وقدمه للمشير أحمد إسماعيل وزير الحربية ، والذى عُهد إلى محمود بتأمين حمايته أثناء زيارته إلى لندن .

.. وحتى ذلك الوقت وبعده لم يكن محمود ، كما كان غيره يعتقد أن الوضع من الممكن أن ينقلب بين لحظة وأخرى من النقيض إلى النقيض ..

.. لكن ذلك قد حدث في ١٩٧٧ .

.. ولهذا لم يكن هناك خيار غير الاستقالة .. والنضال ..

● ● ●

.. في البداية أسس مجلة أسماها « ٢٣ يوليو »

فالذين يعرفون محمود منذ زمن يقولون أنه لم يتخل أبداً عن ناصريته . كان صديقاً لأبناء عبد الناصر وكان يتولى حماية الابن الأكبر خالد لفترة من الوقت .

.. استمرت المجلة لمدة عام تقريباً .. ولكن محمود لم يتمكن من الاستمرار . خصوصاً وإنه كان يرفض تبعيتها لأي من الأنظمة .

.. وظل ينتظر ..

.. وفجأة سقط السادات .. وسقطت معه أشياء كثيرة .. إلا كامب ديفيد .

ظلت موجودة ، وأن بدأ الرئيس مبارك يتخلى عنها تدريجياً لكن كامب ديفيد وضعت أساساً جديدة في التعامل مع إسرائيل .. فالسياح يتدفقون ــ والعلم يرفرف على واحد من أكبر عمارات القاهرة .

وفي عام ١٩٨٣ كانت قد وصلت إلى عدد من المثقفين المصريين خطابات تهديد من حركة كاخ الصهيونية والتى يتزعمها الحاخام مائير كاهانا .. هدد فيها بالقتل في مواجهة كل من يعادى الحركة الصهيونية .

وقد أثارت تلك الهمجية محمود نور الدين ، كما أثارت غيره .

في تلك الفترة قرر محمود أن يعود إلى مصر ، طلب من السفير حسن أبو سعده سفير مصر في لندن ، التوسط له لدى الرئيس مبارك كى يسمح له بالعودة إلى مصر . وبالفعل تمت الموافقة ، وبذل محمود جهوداً كبيرة من أجل أن يصدر مجلة جديدة من لندن شريطة أن توزع في مصر .. لكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح بعد ذلك لأسباب قال عنها محمود أنها شخصية ! ..

● ● ●

وعندما عاد محمود إلى القاهرة ، طلب من شقيقه عصام أن يقوم بتوصيله إلى منزل أسرة الزعيم الراحل جمال بعبد الناصر .. فهناك صلة فكر ومودة تربطة بأنجاله خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم .. ستون دقيقة فقط غابها محمود نور الدين في منزل الزعيم الراحل .. عاد بعدها إلى شقيقة .. لكن الدقائق الستين ، كانت غنية ومثمرة .

لقد أعاد اللقاء إلى ذاكرته ، اشياء كثيرة لم ينسها محمود ، وإنما راح يتذكرها وبقوة هذه المرة . عقد مقارنة بسيطة في ذاكرته بين مصر عبد الناصر .. ومصر الآن .. مصر عبد الناصر القوية المناضله ، ملاذ المناضلين والثوار .. ومصر الآن التى يمرح فيها جواسيس الموساد وعملاء الاستخبارات الأمريكية ، يجمعون المعلومات ، ويتجسسون على الوطن تحت ستار الدبلوماسية . محاولات تركيع من كل اتجاه عبر إثقال مصر بالديون واغراقها في المتاعب الاقتصادية وقطع الصلة بينها وبين امتها العربية .

.. إنها عوامل عديدة تلك التى تفاعلت في ذهن محمود نور الدين وذاكرته .

وبعدها اختمرت الفكرة ..

عندما ألقي محمود بجسده داخل السيارة ، كان أول شيء ابلغ به شقيقه عصام إنه قرر تشكيل منظمة ناصرية عسكرية هدفها الأساسى والوحيد هو توجيه الرصاص إلى الإسرائيليين والأمريكيين . لم يعترض عصام ولم يتردد .. فهو أيضاً ضابط سابق ، وبينه وبين الإسرائيليين ماصنع الحداد !

.. وكانت الخلية الأولى من شخصين .. هما الشقيقان

ومنذ اليوم الأول حدد محمود لعصام .. مواصفات العضو المؤهل للانضمام للتنظيم .. والصفة الأولى كانت الطهارة وحسن السلوك والسمعة . لقد قال محمود لشقيقه « خلى بالك من الشخص اللي تجيبه . يبقى نظيف ، يعنى مايكونشى له قضايا أو سوابق حبس في أي قضية ، لأن هذا الشخص سيقوم بعمل وطنى ، ولا يمكن أن يكون هناك واحد متهم في أي قضايا مخلة وتطلب منه أن يقوم بعمل وطنى » .

محمود انقطع فترة طويلة عن مصر ، ولهذا عهد إلى شقيقه بهذه المهمة .. إذن فليقدم إليه الكوادر ، وسيقوم محمود بمفاتحتهم بعد أن يتأكد من عمق انتمائهم الوطنى وتوجههم الناصرى .

.. وقد كان ..

قدم أحمد عصام إلى شقيقه أول الأعضاء العقيد محيى عدلى ضابط بالقوات المسلحة عاش الأزمة بكل تفصيلاتها ، وظل يعانى ، هو الآن وجد فرصته ولهذا لم يتردد . ثم تلاه المقدم أحمد على شارك في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وتمت محاصرته مع زملائه في منطقة عيون موسى .. شاهد زملاءه يتساقطون شهداء أمام عينيه — أبلى بلاءً حسناً ، ولهذا حصل على نجمة سيناء : وبدأ الأربعة يخططون .

وتوالت عمليات ضم الأعضاء للتنظيم .. فمنذ العام ١٩٨١ كان أحمد عصام على علاقة ومعرفة بضابط شرطة بجوازات المطار يدعى المقدم محيى دسوقى وذلك بحكم الجوار في السكن . وأثناء عودة محمود نور الدين من إحدى زياراته للعاصمة البريطانية تعرف إليه عبر عصام ، وقيل أنه جرى ضمه للتنظيم .

تذكر عصام صديقه بالخدمة العسكرية نظمى شاهين ، يعرف عنه وطنية متأججة دوماً ، ذهب إلى منزله في عابدين ، سأل عنه ولكن عرف أنه سافر للعراق .. أرسل له خطاباً عاجلاً طلب منه العودة ، وبالفعل عاد نظمى بأسرع مما يتوقع صديقه . التقى به ، واصطحبه إلى شقيقه محمود . جلس ثلاثتهم يتحدثون في كل شيء .. وتطرق الحديث إلى السياسة والوجود الإسرائيلى في مصر .. فاتحوه بأمر المنظمة ، كان نظمى متحمساً . لكنه طلب امهاله لبعض الوقت . وسرعان ما عاد ليعلن انضمامه . وليلعب دوراً هاماً في ضم عدد من العناصر إلى التنظيم وضمن أهم الذين جندهم إلى صفوف التنظيم إسماعيل عبد المنعم إسماعيل والذى سافر إلى الكويت بعد ذلك والرقيب أول بالقوات الجوية اسامة خليل ، وحماده شرف . كما تعرف عصام بعد ذلك عن طريق صديق له يدعى عادل عشماوى (توفى) على الشيخ حامد إبراهيم يوسف وهو برتبة مساعد بالقوات المسلحة (الحرب الكيماوية) وقد توطدت العلاقة بين محمود والشيخ حامد بعد إصابة محمود بمرض نفسى ، حيث كان الشيخ حامد يلازمه دوماً ثم قام محمود بضمه بعد ذلك إلى التنظيم .

وازاء إستمرار الانتكاسة المرضية التى أصيب بها محمود بتأثير المرض النفسى ، فقد تم احتجازه بمستشفى أبو العزايم بمدينة نصر ، حيث تولى د . حمدى الموافى علاجه . انتهت فترة العلاج . وخرج محمود هو الكاسب بعد أن نجح في ضم د . حمدى موافى إلى التنظيم . ونجح أيضاً في ضم سامى فيشة الهربائى الذي جاء به نظمى

ليقوم بتوصيل الكهرباء إلى شقة محمود نور الدين . كما جرى ضم جمال عبد الحفيظ عبر عصام إلى صفوت التنظيم في يناير ١٩٨٦ .

وأثناء رحلة استجمام قام بها محمود نور الدين إلى الغردقة تعرف هناك على العميد حسن رهوان عن طريق العقيد محيى عدلى وشقيقه العقيد ممدوح عدلى عضوى التنظيم . وقيل إن هناك عقيداً آخر بقوات الدفاع الجوى حضر معهم ويدعى الأحمدى . وقد قام محمود بمفاتحة العميد حسن رهوان وكان يشغل موقع نائب قائد قوات الدفاع الجوى بالغردقة ، فوافق على الفور حسب ما ذكر محمود نور الدين ، وقال أنه يمكن له ضم بعض قيادات الجيش الأخرى . فوافق محمود ، واستمرت العلاقة بين الطرفين ، وكان حسن رهوان يقوم بتهنئة محمود تليفونياً من الغردقة بعد الإعلان عن كل عملية تقوم ثورة مصر بتنفيذها .

● ● ●

وهكذا نجح التنظيم خلال سنوات معدودة في أن يضم إلى صفوفه عدداً كبيراً من رجال القوات المسلحة والمدنيين أيضاً . بل أن تاجر السلاح محمود يوسف والذي لم تكن له أية علاقة بالأمور السياسية . فوجىء محمود أثناء زيارة له في بيته أنه قام بوضع صورة عبد الناصر على جائط منزله وبشكل بارز .

والملاحظ هنا أن محمود لم يفاتح أيا من الذين تحادث معهم بشأن التنظيم ، وأعلن رفضه للفكرة بالعكس فقد رحب الجميع بالفكرة بل إن عدداً كبيراً منهم قد شارك في العمليات العسكرية التى جرى تنفيذها ضد الإسرائيليين والأمريكان بل إن أعضاء التنظيم فوجئوا يوم تنفيذ عملية المعرض بأن أحمد على قد جاء معه بشخصية يرونها للمرة الأولى وكان هذا الشخص يدعى مراد وهو برتبة رائد في قوات الصاعقة . وقد قدمه أحمد على إلى محمود نور الدين ولم يجلس معه إلا ساعات بسيطة ، فما كان من الرائد مراد إلا أن انضم في سرية إلى التنظيم . وبعد أيام راح يشارك في عملية المعرض مع زملائه الآخرين .

ولا شك في أن كل ذلك يعطى دلالة واضحة حول مدى الكراهية التى يتمتع بها الاسرائيليون والأمريكيون في مصر . وأن هدف القتال ضدهم أمر لا يختلف عليه أحد ، وأن استعداد التضحية لدى المصريين في سبيل ذلك الهدف هو استعداد غير محدود .

• • •

□ الفصـــل العاشـــر □

دور خـــالـــد عبـــد النـاصــــر

الزمان : ١٩٨٧/٩/٢٠ ــ الوقت صباحاً
المكـان : الزنزانة رقم ٦ بالدور الأول بسجن ملحق مزرعة طرة .

تعود المساعد كامل جرجس جبره ، أن يقوم بتوزيع طعام الأفطار في الصباح الباكر ، على المسجونين ، منذ أن التحق بالعمل في مصلحة السجون . يساعده في ذلك عدد من العساكر وصف الضباط . منذ أن قدم إليه هؤلاء المعتقلون الجدد ، وهو يعاني الأمرين . الحراسة مشددة ، والكشف الطبى على الأكل يتم بشكل دورى ومنتظم .. الغذاء في موعده والحرص مطلوب . باختصار فقد أحس الرجل بأنها مسئولية ليست بالهينة . في صباح ذلك اليوم جاء المساعد كامل جرجس مبكراً ، أعطى التمام ، وبدأ يمارس مهامه اليومية . موعد الفسحة اليومية التى لا تزيد عن دقائق معدودة قد حل . إذن فلتفتح الأبواب وليخرج أعضاء التنظيم الواحد تلو الأخر . الآن جاء موعد توزيع الأفطار .. في السجون : الفول هو سيد الموقف في هذا الوقت من الصباح . ولكن المعتقلين في هذا السجن لهم وضعية خاصة .

فقد اعتقل هنا فؤاد سراج الدين وهيكل ومحمد عبد السلام الزيات وعلى صبرى وآخرون . وهذا السجن يطلقون عليه فندق خمسة نجوم على سبيل المزاح . إذن فليكن إلى جوار الفول شيء .. ولهذا كانت المربى .

دفع المساعد كامل بمفتاح طويل يحمله بين يديه ، إلى باب الزنزانه رقم ٦ بالدور الأول . هنا يسكن محمود نور الدين قائد تنظيم ثورة مصر . هم بترديد جملته التقليدية : صباح الخير ـــ الأفطار يا أستاذ ..

ولكن لم يجب أحد . صمت مطبق . يبدو أنه نائم ، قالها المساعد كامل في محاولة لخداع النفس .

ولكن هل يعقل ذلك ؟ .. ليس من صفاته النوم حتى هذا الوقت في الصباح . تقدم المساعد كامل منه بحذر ، كان جسده مغطى ببطانية لا تظهر وجهه ، سحب المساعد كامل البطانية بحذر من على جسده ، بعدما ذهبت نداءاته سدى . وفجأة وجد الدماء تنزف من يديه الإثنتين . جرح قطعي واضح تسبب في ذلك ، صرخ المساعد كامل .. نظر حوله في الزنزانة ، قرأ عبارات ، كتبها محمود نور الدين بدمه : الأمن برىء من دمائى .. احذروا الفتنة ! تحيا مصر !

● ● ●

بسرعة البرق انتقل إلى الزنزانة النقيب علاء الدين مصطفى سالم ضابط العنبر بالسجن وشاهد الحادث وأجرى الاتصالات اللازمة ، بعدما تم استدعاء طبيب أول السجن حسام رفقى . قدم تقريراً عاجلاً قال فيه أنه بتوقيع الكشف الطبى على المتهم المذكور وجد في حالة شبه غيبوبة ، وبه جرح قطعي بسمك الجلد والأنسجة الرخوة اسفله بكلا الرسغين الأيمن والأيسر من الناحية الأمامية بعرض الرسغ . وقدر كمية الدماء التى نزفت من محمود بحوالى ٢٠٠ سم^{3} . أثبت أن نبضه ٥٤ / ل

ضعيف ومنتظم . وقد تم وضعه تحت الملاحظة الطبية . على أن يجرى تنفيذ العلاج المذكور بتذكرته . ولم ينس أن يرفق بالمحضر الشهادة الطبية بذلك .

● ● ●

أبلغت أجهزة الأمن ، نيابة أمن الدولة بالحادث . وفي الثامنة مساء اليوم نفسه قدم إلى السجن أحد رؤساء نيابة أمن الدولة ، وبصحبته ضابط من أمن الدولة ، حيث تقابل مع الرائد يسرى مصطفى عبد الدايم مأمور السجن بالنيابة ، والرائد طبيب عادل سيد عبد الفتاح الذى قدم أورنيك علاج المتهم . وقرر له أن المتهم يمكن استجوابه ، وأنه موجود بالزنزانة رقم ٦ بالدور الأول ــ توجه الجميع إلى هناك . وجدوا محمود مرتديا جلبابه الأبيض . وبمناظرته شاهدوا ضمادتين طبيتين حول منطقة الرسغين . وفتح المحضر معه .

● ● ●

في محضر التحقيق حول الواقعة قال محمود نور الدين إنه بعد عودته من التحقيق أمس في ٩/١٩ ، صعد فوق الحوض الموجود بدورة المياه الملحقة بغرفته ، وكسر قطعة زجاج من الشباك الزجاجى الموجود بها . قام بوضعها في سيفون دورة المياه . وكان هدفه هو أن يغتال نفسه . ولكن شيئاً قد حدث . إذ دخل عليه أحد الضباط وتحدث معه في شأن القضية المتهم فيها هو وآخرون . غير رأيه في الانتحار ، ولكن في الصباح المبكر عاوده ذات الاحساس . قال إن هناك جهات مختلفة تحاول زج أشخاص لا علاقة لها بثورة مصر . وقال : إنهم يريدون تشويه صورة ثورة مصر الوطنية . ولهذا السبب حاول الإنتحار وإنه هو الذى احدث هذه الإصابات بنفسه .

● ● ●

التقط المحقق الخيط وراح يسأل محمود نور الدين : هل لك أن تفسر لنا ما تقصد من هذه العبارات ؟

ــ أجاب محمود : هذا الإحساس كان نتيجة التحقيقات المتعددة التى دارت معى هنا في السجن ، فقد أحسست أنهم يحاولون زج أبرياء في قضية ثورة مصر ومحاولة تشويه صورتها الوطنية ، مثل محاولة الإيحاء بأن هناك تمويلا خارجيا لها أو أية علاقات أخرى مع أي نظام عربي وخاصة ليبيا ، ومحاولة زج أبناء الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لمجرد صداقتى القديمة لهم ، والتى تمتد لسنوات عديدة ، عندما كنت أعمل بالسفارة المصرية في لندن ، وكان يعمل معى في نفس الوقت السيد عبد الحميد جمال عبد الناصر بدرجة سكرتير ثان بعد أن رقى إلى هذه الدرجة ليضم إلى دبلوماسيى السفارة .

● المحقق يسأل : ومن هم أبناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذين توطدت صلتك بهم ؟

محمود يجيب : تربطنى بأبناء الزعيم الراحل جمال عبد الناصر علاقة صداقة مع كل من خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم .

وكانت صداقة ضمن إطار العلاقات العائلية في محيط أعضاء السفارة المصرية في لندن وقنصليتها العامة ومكاتبها الفنية . ثم انقطعت هذه العلاقة عدة سنوات بعد مغادرتهم لندن ولم يحدث أي اتصال تقريباً منذ عام ١٩٨٠ ، ثم بدأ الاتصال مرة أخرى بعد فترة طويلة من وجودى في القاهرة لا أتذكر مدته بالضبط . ولم تكن بالطبع هي نفس العلاقة والصداقة العائلية القديمة ، وإنما كانت عبارة عن لقاءات قصيرة ومتقطعة وعلى فترات زمنية طويلة .

● وهل كانت بداية تعرفك واتصالك بخالد وعبد الحكيم عبد الناصر بالقاهرة أم بالخارج ؟

ـ تعرفت على خالد داخل السفارة المصرية في لندن أثناء زيارته لها وعملى بها آنذاك حيث كان يقيم في لندن للحصول على درجة الدكتوراه التى حصل عليها من هناك وعن طريق خالد وعبد الحميد تعرفت على عبد الحكيم والذى كان يحضر إلى لندن في زيارات إلى اشقائه .

● المحقق يسأل : هل كان لأي من أبناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر دور في شأن إصدار مجلة ٢٣ يوليو التى اصدرتها في لندن ؟

ـ محمود يجيب : كانوا على علم بها ، ولكن لم يكن لهم دور فيها سواء بالكتابة أو بأى شكل آخر .

● المحقق يسأل : ألم يكن هناك تمويل من جانبهم ، أو من جانب أي نظام عربي آخر في شأن إصدار هذه المجلة ؟

ـ محمود يجيب : لم يكن هناك أي تمويل منهم أو من أي نظام عربي آخر .. والدليل على ذلك أن المجلة لم تستمر في الصدور إلا لمدة سنة أو أقل ..

● المحقق يسأل : وما مناسبة قطع علاقتك بأبناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر حسبما ذكرت قبل ذلك ؟

ـ محمود نور الدين يجيب : لم أقطع علاقتى بهم ، ولكنهم تركوا الإقامة بلندن خاصة بعد أن نُقل السيد / عبد الحميد عبد الناصر إلى ديوان عام وزارة الخارجية بالقاهرة وحصول الدكتور خالد عبد الناصر على شهادة الدكتوراه من لندن . وهم يقيمون بالقاهرة بالإضافة إلى مشاكلى العائلية وأوضاعها .

● المحقق يسأل : وكيف بدأ الإتصال في العلاقات بينك وبين أبناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعد عودتك إلى القاهرة ؟

ـــ محمود نور الدين يجيب : قمت بالإتصال بهم تليفونياً بعد فترة من عودتى .. وأخبرتهم بوجودى وإقامتى بالقاهرة . ولم تتم إلا لقاءات قليلة بينى وبينهم .

● المحقق يسأل : هل كنت تتردد على مسكن أي من خالد وعبد الحكيم وعبد الحميد عبد الناصر ؟

ـــ محمود نور الدين يجيب : لم أتردد على مسكن أي أحد منهم نظراً للظرف العائلى الذي كنت أمر به وهو انفصالي عن زوجتى الأولى .

● المحقق يسأل : وهل استمر عدم ترددك بعد زواجك من زوجتك الثانية ؟

ـــ محمود نور الدين يجيب : نعم ، استمر عدم ترددى عليهم نظراً لأن زوجاتهم كن على صداقة وطيدة بزوجتى الأولى .. ولم يكن من المقبول أن أقدم لهم زوجتى الثانية .

● المحقق يسأل : ألم يتردد عليك بمسكنك بأي محل إقامة من محال إقامتك بالقاهرة خالد أو عبد الحكيم أو عبد الحميد عبد الناصر ؟

ـــ محمود نور الدين يجيب : تردد عبد الحميد وعبد الحكيم ، كان من النادر جداً . وزيارات الدكتور خالد عبد الناصر كانت قليلة وكانت تعيننى على بث همومى العائلية ، نظراً لإطلاعه عليها حيث كان على علم بها من قبل .

● المحقق يسأل : وكم عدد المرات التى تردد فيها على مسكنك كل من خالد وعبد الحكيم وعبد الحميد عبد الناصر إبان فترة إقامتك بالقاهرة وبعد عودتك من الخارج ؟

ــ محمود نور الدين يجيب : كما ذكرت من قبل ، بالنسبة لعبد الحكيم وعبد الحميد كانت مرات ترددهما عليَّ نادرة . وبالنسبة للدكتور خالد عبد الناصر فقد كانت قليلة يصعب تحديدها بالضبط خاصة أنها كانت ، كلها ، زيارات عاجلة وقصيرة .

● المحقق يسأل : وهل لك أن تذكر محال إقامتك التى تردد عليك فيها خالد عبد الناصر ؟

ــ محمود نور الدين يجيب : مسكنى بمدينة نصر بالحي الثامن شارع على الببلاوى ثم مسكنى بشارع الشهيد مصطفى حلمى بمصر الجديدة بعد أن انتقلت إليه .

● المحقق يسأل : وهل كان هناك أعضاء من منظمة ثورة مصر موجودون أثناء زيارة خالد عبد الناصر لك ؟

ــ محمود نور الدين يجيب : نظراً لقلة هذه الزيارات التى كانت تتم بدون موعد مسبق ، فقد كانت زيارات قصيرة عاجلة . كما ذكرت . وأتذكر أن الدكتور خالد جاء لزيارتى ذات مرة أثناء وجود بعض أعضاء منظمة ثورة مصر بمنزلى . ولم يكن الدكتور خالد يعلم عنها أي شيء بالمرة ، وأود أن أنوه بالإضافة إلى ما ذكرت إلى أن العلاقة بيننا في القاهرة كانت ضعيفة للغاية نظراً لفقدان العنصر العائلي فيها .

● المحقق يسأل : ومَن مِن أعضاء المنظمة شاهد د . خالد عبد الناصر أثناء تردده عليك ؟

ــ محمود نور الدين يجيب : لا أتذكر أن الكثير من أعضاء المنظمة قد قابلوه أو شاهدوه في منزلي ، ولا أعتقد أنها تعدت مرات قليلة جداً قد تكون ثلاث أو أربع .. لا أتذكر .. وهؤلاء الأعضاء على ما أتذكر هم مقدم /أحمد على ونظمى شاهين وسامى إبراهيم والعقيد محى عدلي وأخى عصام .

● المحقق يسأل : وهل كانت تدور مناقشات أو أي أحاديث بين أعضاء المنظمة مع خالد عبد الناصر أثناء زيارته لك ؟

ـ محمود نور الدين يجيب : في الغالب لم تتعد تلك الأحاديث عبارات الترحيب والمجاملة العادية ، ولم تدر أية مناقشات أثناء ذلك خاصة ، وكما ذكرت ، إن زيارات الدكتور خالد كانت قصيرة وعابرة ولم يكن هناك شيء مشترك لتدور حوله أحاديث أو مناقشات .

● المحقق يسأل : وهل يتفق ما ذكرته الآن مع كون منظمة ثورة مصر تتخذ من الفكر والخط الناصرى منهاجاً لها ؟

ـ محمود نور الدين يجيب : لا أرى أن هناك أي رابط يربط بين انتهاج أعضاء منظمة ثورة مصر للفكر الناصرى وبين شخصية الدكتور خالد ، خاصة وأن المنظمة تنهج في فكرها الناصرى فكراً جديداً متطوراً ينتقد بعض أخطاء العهد الناصرى . وهو بالطبع قد يغضب ، أو أقصد قد لا يتفق مع نفسية ابن الرجل الذى ابتدع ونظَّر هذا الفكر .

● المحقق يسأل : وماذا كان رد فعل خالد عبد الناصر بعد تنفيذ منظمة ثورة مصر لأى عملية من عملياتها الأربع عندما كان يلتقى بك خلال هذه الفترة ؟

ـ محمود نور الدين يجيب : لم تكن هناك لقاءات بعد تنفيذ منظمة ثورة مصر لعملياتها .. ولم نتبادل الحديث عنها أو أعمالها بشكل واضح نظراً لحرصى الشديد على إخفاء أمر منظمة ثورة مصر عن الدكتور خالد ليقينى بأننى سألقى منه معارضة شديدة ، بل ويقينى بأنه إذا كان على علم بأى علاقة لي مع منظمة ثورة مصر ، فإن ذلك في تقديرى ، كان سيعنى نهاية صداقتنا .

● المحقق يسأل : وهل كانت علاقة خالد عبد الناصر بأعضاء منظمة ثورة مصر تسمح بأن يتحدث معه أي من أعضاء المنظمة ـ بعيداً عنك ـ عن المنظمة وأعمالها المسلحة التى تقوم بها ؟

ـ محمود نور الدين يجيب : لم تكن هناك أي علاقة لأي من أعضاء منظمة ثورة مصر بخالد عبد الناصر ، وهي كما ذكرت لم تتعد عبارات الترحيب والمجاملة القصيرة في وجودى . وأعنى بهذا التحديد اللقاءات التى تمت بالمصادفة البحتة في منزلى وهي قليلة جداً كما سبق أن ذكرت .

● المحقق يسأل : ألم تقم بإرسال أحد أعضاء المنظمة إلى مسكن خالد أو عبد الحميد أو عبد الحكيم عبد الناصر لأي سبب أو أي مناسبة ؟

ـ محمود نور الدين يجيب : لا .. لم يحدث هذا مطلقاً ! .

● المحقق يسأل : وهل كان هناك آخرون بصحبة خالد عبد الناصر حال تردده عليك بمسكنك ؟

ـ محمود نور الدين يجيب : لا .. وإنما كان يأتى بمفرده في المرات القليلة التى جاء فيها .

● المحقق يسأل : وهل كانت هناك هدايا أو أمتعة يحملها إليك خالد عبد الناصر أثناء زيارته لك ؟

ـ محمود نور الدين يجيب : نعم حدث أحياناً أن طلبت من الدكتور خالد بعض الملابس من الخارج نظراً لعدم سفرى .. وتكرم الدكتور خالد بإحضار بعضها إلَيَّ مثل بعض الملابس الخارجية التى كنت في حاجة إليها .. بنطلونات أو بدلة .

● المحقق يسأل : ألم يكن هناك عمل تجارى مشترك بينك وبين أي من أبناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سواء خلال فترة وجودك بالخارج أو بعد عودتك إلى القاهرة ؟

ـــ محمود نور الدين يجيب : لا .. لم يكن هناك شيء من ذلك .

ـــ المحقق يسأل : ألم يكن هناك تعامل مالى بينك وبين خالد عبد الناصر إبان فترة وجودك بالقاهرة أو قبل عودتك إليها ؟

ـــ محمود نور الدين يجيب : لا .. لم يكن بيننا أي شيء من ذلك طوال فترة علاقتي به . ولكن قد يكون حدث أحياناً أنى طلبت منه شراء ملابس لي من لندن وعند إحضاره لها أقوم بمحاسبته على ثمنها .

ـــ المحقق يسأل : هل لديك أقوال أخرى الآن ؟

ـــ محمود نور الدين يجيب : لا ..

هذا عن موقف محمود نور الدين والذى قال كلاماً كثيراً وضمن ما قاله أيضاً أن هناك سبباً آخر دعانى لمحاولة الانتحار وهو أننى سئلت من قبل رجال الأمن عن علاقتى بالدكتور مصطفى الفقى المستشار السياسى للسيد رئيس الجمهورية . وفهمت أنا من هذا السؤال أن هناك محاولة للربط بين علاقتى بالدكتور مصطفى الفقى وبين معرفتى بموعد المقابلة السرية التى تمت بين السيد رئيس الجمهورية والوزير الصهيونى عيزرا وايزمان وكان يحضرها زيفى كيدار ، الذي أصيب في العملية الأولى بعد وقت قليل من عودته من هذه المقابلة التى حضرها ، فأوضحت لرجال الأمن بأن علاقتى بالدكتور مصطفى الفقي كانت وطيدة منذ أيام لندن ، ومنذ محاولتى إصدار مجلة مصرية تصدر في لندن وتوزع في مصر ، وقد طلبت منه أن يتدخل في الموافقة على ذلك إلا أنه لم يتم إصدار هذه المجلة لأسباب شخصية . وعلى كل حال فقد نفيت لرجال الأمن علمى المسبق بهذه المقابلة السرية التى تمت وحضرها زيفى كيدار ، ولكن بعد الحادث علمت بها من خلال خبر نشرته جريدة الأهالى .

● ● ●

هذا هو ما تحدث به محمود نور الدين عن الأسباب التى دفعته إلى محاولة الانتحار . ويبدو أنها أسباب حقيقية . خصوصاً وأن هناك معلومات كانت تقول إن مسئولا أمريكيا كبيرا ، ترافقه شخصية مصرية ، قد قاما بزيارة سجن ملحق مزرعة طره ، وأن المسئول الأمريكي التقى بمحمود نور الدين ، وطلب منه توريط أبناء عبد الناصر في هذه القضية مقابل بعض الأموال ، وإدخاله مصحة نفسية عقلية تمهيداً للبحث في حالته بعد ذلك على أمل استبعاده من المحاكمة كلية .. إلا أن محمود نور الدين رفض ذلك بإصرار واعتبره خديعة واضحة ، هدفها الإنتقام من عبد الناصر والناصرية ، وتشويه صورة أنجال عبد الناصر أمام الرأي العام ، للظهور وكأنهم مرتزقة يقبضون من الأنظمة العربية .

وبعيداً عن مصداقية أو كذب هذا الذى يتردد ، فإن الذين يعرفون محمود نور الدين جيداً ، يقولون إن شخصيته القوية ، لا تدفع إلى سلوك الانتحار إلا إذا كانت هناك ضغوط فوق طاقته ، عندئذ فقط يمكن لمحمود نور الدين أن يضحى بحياته .

• • •

ولم يكن مارده محمود نور الدين هو البداية في محاولة توريط أبناء الزعيم الراحل خصوصاً الابن الأكبر خالد . وإنما البداية كانت على يد عصام شقيق محمود والذى أدلى باعترافاته في هذا الصدد .

يروى عصام القصة من بدايتها ، أمام النيابة : في عام ١٩٨٢ ، كان محمود نور الدين موجوداً في سجن السويد ، حيث يقضى فترة عقوبة بسيطة بعد خلافه مع زوجته وإبلاغها السلطات بأنه اعتدى عليها بالضرب . قال عصام إنه كان يريد بعض النقود للسفر إلى شقيقه أرسل إليه محمود خطاباً ، طلب منه فيه الذهاب إلى بيت عبد الناصر في منشية البكرى لمقابلة خالد أو أى من أبناء عبد الناصر ، ويقترض

منهم مبلغاً يمكنه من السفر إلى السويد . عصام ذهب إلى هناك . التقى بخالد وعبد الحميد ، حكى لهما القصة . عبد الحميد كان أسرع من خالد في الرد قال : سندبر لك مبلغاً .. عصام قال : انني لاحظت تهربهما مني بعد ذلك .. اتصالات تليفونية عديدة تمت ، وفي النهاية أعطى مبلغ ألفى جنيه ، لم يتذكر عصام من أعطاه المبلغ خالد أم عبد الحميد . تلك كانت البداية . ومنذ ذلك الوقت تحديداً شعر عصام أن علاقة ما تربط بين أبناء عبد الناصر وشقيقه محمود .

وتمر الأيام . ويخرج محمود من السجن . يقرر العودة إلى لندن ، ومن هناك يجرى اتصالات مع بعض المسئولين المصريين ، ويقرر العودة إلى القاهرة . كان في نيته أن يصدر مجلة ، يسمح له بتوزيعها في مصر ، حتى وإن كانت تطبع في لندن ، خصوصاً وأن موقفه من الرئيس مبارك ، كان يختلف عن موقفه من الرئيس السابق أنور السادات .

ولم يوفق محمود في مشروعه الجديد . لهذا سافر ثم عاد وقرر الإقامة الكاملة ـ في مصر ، زوجته ظلت في السويد ومعها بناتها وبناته . عودته إلى القاهرة دفعته إلى أن يفكر في المستقبل . بعد ثلاثة أيام ، طلب محمود من شقيقه عصام أن يوصله إلى منزل خالد عبد الناصر في ٥٩ ش الثورة بأرض الجولف بمصر الجديدة . الزمان كان النصف الثانى من عام ١٩٨٣ . انتظر عصام أسفل المنزل ، وصعد محمود إلى الدور الثانى حيث شقة خالد عبد الناصر ، كان قد اتصل به هاتفياً .. وانتظره خالد بالمنزل . اللقاء استمر نحو ساعة .. تعانق الاثنان وتحدثا طويلاً ..

● ● ●

عصام أصابه القلق .. مال إلى أحد الشوارع الجانبية يشترى علبة سجائر روثمان .. وعاد ينتظر شقيقه بعد مضى نحو ساعة غادر محمود شقة خالد إلى السيارة التي تنتظره ... في الطريق إلى منزل عصام ، كما يقول الشقيق الأصغر حدثه محمود

كثيراً عن اليهود .. انتقد اتفاقية كامب ديفيد ـ تحدث عن تغلغل اليهود في مصر .. وأخيراً قال له إنه هو وأولاد عبد الناصر خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم ، اتفقوا على تأسيس منظمة ناصرية لها جناح عسكرى ، يتزعمه محمود .. والهدف هو إجبار الحكومة على طرد السفير الإسرائيلي واغلاق السفارة الإسرائيلية ، ومن ثم اسقاط اتفاقية كامب ديفيد . اندهش عصام ، وقال له وهل كان عبد الحميد وعبد الحكيم موجودين حقاً مع خالد ؟ .. فأعاد محمود التأكيد عليه من جديد . طرح محمود الفكرة على عصام فوافق على الفور .. خصوصاً وأن محمود كان يعلم أن أخيه ضابط سابق بالقوات المسلحة وله خبرة في أعمال الاستخبارات والتدريب على السلاح . وأنه بعد انتهاء خدمته ، قدم نفسه إلى حزب التجمع كمواطن مصرى يريد التطوع إلى جانب الفلسطينيين ، في فترة العدوان الإسرائيلي على لبنان . استنتج عصام بعد هذا الحديث إن خالد هو الزعيم الحقيقي للتنظيم ، وليس شقيقه ، وقال في التحقيقات أن شقيقه محمود كان ينادى خالد دوماً باسم الزعيم . وعند سؤال عصام عن حقيقة الدور القيادى لخالد عبد الناصر في هذا التنظيم فإنه أجاب بالقول : لقد تبين لي ذلك لأنه بعد إتمام أول العملية الأولى والاعلان عنها جاء خالد إلى شقة محمود ، والتقى به في اجتماع على انفراد .

وأضاف : إننى جلست في إحدى المرات مع خالد في شقة محمود في شارع السلحدار .. وعندما جاءت سيرة العملية الأولى « زيفى كيدار » ، أنا قلت إن الذين اشتركوا في العملية الأولى ، يريدون أن يقوموا بعملية ثانية . هنا رد خالد مباشرة : لابد أن تمر فترة سكون ، لأن المباحث والدنيا كلها مقلوبة ورانا ! . أمسك عصام بالخيط ، راجع الكلمات في ذاكرته . وقال : إن محمود أيضاً قال لنا هذا الكلام منذ قليل . هنا يفهم من هذا الكلام أن خالد كشف عن شخصيته . ولهذا عندما يُسأل عصام من قبل النيابة . ألم تنتهز الفرصة كى تتحدث مع خالد صراحة عن دوره . أجاب عصام : أنا لم أكن في حاجة لأن استفسر منه عن شيء ،

فقد هدانى استنتاجى الأول إلى أنه هو زعيم التنظيم . يستمر عصام في اعترافاته ويتحدث عن أموال كثيرة كان يقوم خالد عبد الناصر بتسليمها إلى محمود نور الدين . بل وضمن ما قاله في هذا الصدد إنه بعد أن أطلق عليه شقيقه محمود النار قبل ذلك جاء إليه محمود ، وإن الصلح تم عبر أبناء عبد الناصر . وإن ضمن ما أبلغه به محمود أن القذافى سوف يدفع أربعة ملايين دولار سيتم تقسيمها بين محمود وخالد وعبد الحكيم وعبد الحميد وكل واحد منهم سيأخذ مليون دولار . وضمن مارردده عصام أيضاً أن خالد عبد الناصر قد سبق أن حول بناء على طلب محمود مبلغ ٢٠ ألف دولار إلى زوجته السابقة نادية سرى بالسويد ، ولكن نادية رفضت تسلم المبلغ لأنها لم تكن تعرف من أين جاء إليها هذا المبلغ . عصام قال في التحقيقات إن خالد عبد الناصر كان خائفاً جداً بعد أن رفضت نادية تسلم المبلغ حتى لا ينكشف الأمر . مع أن المسألة طبيعية كما نرى . وتحدث عصام أيضاً عن قيام خالد عبد الناصر باحضار بعض الأسلحة إلى التنظيم .. وغير ذلك كثير .. وهنا بادره المحقق بسؤال : وهل كان خالد عبد الناصر يتدخل بإصدار التكليفات أو بإبداء الرأى والمشورة بصدد ما كان يقوم به أعضاء التنظيم ؟

أجابه أحمد عصام : أمامى وفي حضور باقي الأعضاء لم يكن خالد يتحدث في العمليات ولا في خطة التجهيز ، ولكنه كان دائم التردد على الشقة ، وكلامه مع محمود كان دوماً على انفراد . وعندما كان محمود يتحدث عن أي شيء ، كان يقول إن خالد قال لي على كذا أو كذا . ويضيف عصام : في العملية الثالثة الخاصة بالمعرض وبعد أن انتهيت أنا ونظمي من توزيع البيان على بعض الصحف ووكالات الأنباء . حضر خالد في شقة محمود بمدينة نصر للتهنئة جلس معي في حضور محمود ، وقال إحك مرة أخرى ماذا حدث بالضبط . يضيف عصام : أنا حكيت له تفاصيل تنفيذ العملية ، وقال لي وقتها إنه كان يتمنى أن يشارك في تنفيذ هذه العمليات .

● المحقق يسأل : الم تجد في حديث خالد فرصة سانحة لأن تطلب منه أن يكشف لك صراحة عن مصادر تمويل ذلك النشاط ؟

ـ عصام يجيب : مسألتش

● المحقق يسأل : وما تعليلك لذلك ؟

ـ عصام يجيب : أنا قلت خلي العملية ماشية على أساس إن احنا كنا على هدف واضح وهو إننا ضد الإسرائيليين في مصر .

● المحقق يسأل : ألم تقف عما إذا كان خالد عبد الناصر كان يعلم بخطة كل عملية واجراءات وخطوات التجهيز لها وتنفيذها سواء قبل اتمامها أو بعده ؟

ـ استنتاجي أنه يعرف والدليل إنه كان قبل التنفيذ وأثناء التجهيز للعملية كان تردده بيزيد على محمود ويوم التنفيذ نفسه بيبقى عنده خبر . فمثلاً في العملية الأولى زى ماقلت قبل كده إن محمود وأحمد على بعدما خلصنا وهما راجعين مرا به على حسب قول أحمد على وفي العملية الثالثة حضر بعد انتهاء العملية للتهنئة ، وطلب منى أن أحكى له مرة ثانية تفاصيل العملية وأنا قلت على العمليتين دول لانهما اللي حضرتهم واشتركت فيهما .

● المحقق يسأل : هل تعرف عما إذا كان له تدخل في أمر إعداد البيانات التى كانت توزع من حيث صياغتها أو من حيث أية أمور أخرى تتعلق بها ؟

ـ أحمد عصام يجيب : لا أعلم .

● المحقق يسأل : وهل كان خالد عبد الناصر يقوم بإجراء اتصالات بأعضاء المنظمة على انفراد أو مجتمعين ؟

ـ أحمد عصام يجيب : ساعات لما يكون جاي لمحمود ويصادف أن يكون أحد منهم موجود . يقعد معاهم شوية وبعد كده يخش هو ومحمود يقعدوا في أوضة محمود .

● المحقق يسأل : ألم يقم خالد عبد الناصر بإجراء اتصالات بأعضاء المنظمة بطريقة سرية ؟

ـ عصام يجيب : حسب ماأعلم مع الأعضاء لا ، إنما معايا أنا زى ماقلت قبل كده ، إن محمود وخالد في حضورى معاهم كلفونى بأن أي اتصالات مع خالد عبد الناصر ، لما أروح له البيت أو اتصل بالتليفون ، كل الاتصالات دي يجب أن تتم باسم ممدوح الدسوقى وفعلاً لما كنت اتكلم في التليفون أو اروح له البيت بناء على طلب محمود ، كنت أقول إن اسمى ممدوح الدسوقى ، ويشهد بذلك الطباخ والشغالة اللى في بيت خالد عبد الناصر .

● المحقق يسأل : وما هي التكليفات التى كان يطلب منك محمود أن تنقلها لخالد عبد الناصر ؟

ـ عصام يجيب : مفيش غير تحديد مواعيد بينهما أو أن محمود عاوزه يعدي عليه .

● المحقق يسأل : وهل سبق أن ترددت على مسكن خالد عبد الناصر ودار بينكما حديث بداخل مسكنه .

ـ عصام يجيب : أيوه .. أنا كنت باروح كتير ، عندما كان يرسلنى محمود باسم ممدوح الدسوقى فإذا وجدته ، ويكون لوحده يسمح لي بالدخول وأقول له إن محمود عايزه ، ويدوب أقعد شويه وأمشى على طول ، إنما لو كان عنده حد فيكلمنى من على الباب وأمشى .. وطبعاً رحت له مرات تانية من نفسى عندما زادت الخلافات بينى وبين محمود بسبب إنه مش عاوز يدينى فلوس ، وكنت أروح آخد من خالد عبد الناصر زي ماقلت قبل كده .

● ● ●

وفي محضر أخر جرى التحقيق مع عصام حول طبيعة دور خالد عبد الناصر ..

● المحقق يسأل : ما قولك فيما قررته بأقوالك السابقة بالتحقيقات من أن خالد عبد الناصر سبق أن سلمك خلال عام ١٩٨٧ شيكاً مسحوباً من حسابه من البنك الأهلي المصري فرع روكسى بمبلغ يزيد عن الألفى جنيه بينما الثابت مما أفاد به البنك بأنك قمت بسحب مبلغ ألف جنيه نقداً من حساب المذكور يوم ٤ يناير ١٩٨٧ ؟

وأطلعه المحقق على صورة الشيك المسحوب بمبلغ ألف جنيه مصري

ـ عصام يجيب : أنا فعلاً الذي سحبت هذا المبلغ من حساب خالد عبد الناصر بالشيك الذي أعطاه وكان لحامله ، ومثلما قلت من قبل هذا تم فعلاً في عام ١٩٨٧ . ومن الإطلاع على صورة الشيك والبيانات المكتوبة في ظهره بخط يدى أمام موظف البنك .. وهي إسمى وعنوانى . بعد ذلك أخذ منى الموظف بطاقتى وكتب رقمها .. وافتكرت تانى إنه كان هناك شيك آخر بالدولار وأعتقد إنه كان في حدود ألفين دولار تقريباً . وقد قمت بصرفه خلال عام ١٩٨٧ . وأتذكر أن هذين الشيكين كانوا ورا بعض . والمدة بين صرف الشيك الأول (بالمصرى) وصرف الشيك الثانى (بالدولار) لم تكن بعيدة .

● المحقق يسأل : ما ظروف استلامك الشيك من حساب خالد عبد الناصر بعملة أجنبية ـــ وهى الدولار ـــ وسبب ذلك ؟

ـ عصام يجيب : وقتها كنت عايز أسافر انجلترا أدور على أخويا الصغير علاء لأنه كان في إنجلترا وانقطعت أخباره ، وقتها كانت هناك خلافات بينى وبين محمود أخويا ، وماكنشى بيدينى فلوس فرحت لخالد عبد الناصر في بيته وقلت له أنا عايز أسافر انجلترا أدور على أخويا علاء فادانى شيك بالدولار ومش فاكر كان لحامله ولا باسمى .. وصرفته برضه من البنك الأهلى فرع روكسى .

● المحقق يسأل : متى سلمك خالد عبد الناصر ذلك الشيك ؟

ـ عصام يجيب : مش فاكر إمتى اداني الشيك ، إنما أنا سافرت بعد ماصرفت الشيك ، وكان ذلك في يناير ١٩٨٧ . وسافرت الأول إلى أمريكا ومن هناك أخذت تأشيرة إنجلترا لأنه ماكانشي من الممكن آخدها من مصر لأني كنت خالفت شروط الإقامة من حيث مدتها في إنجلترا قبل كده أيام ماكنت باسافر وأنا طالب ، فالطريقة الوحيدة لأني آخد تأشيرة دخول إنجلترا اني اسافر بلد تانية غير مصر وآخد تأشيرة لندن من هناك . وده اللي حصل بعد ماقعدت في نيويورك أربع أيام حصلت على التأشيرة ورحت على إنجلترا وقعدت أسبوع أبحث عن أخويا علاء من خلال العناوين القديمة اللي كان مقيم فيها .. ومقدرتش ألاقيه ورجعت تاني مصر .

● المحقق يسأل : وما الذى يدعو خالد عبد الناصر إلى أن يعطيك مبالغ مالية للإنفاق منها على أمور خاصة ليستَ ذات صلة بنشاطكم التنظيمى ؟

ـ عصام يجيب : المفروض إن أنا فرد في التنظيم وهو عارف كده . ومتعرض لمشكلة تؤرقني .. فيجب على خالد أنه يساعدني في حل المشكلة على حسب ماأنا حاطط في اعتبارى إن هو الزعيم فطبيعى أن يدينى فلوس .

● المحقق يسأل : ألا تذكر أن خالد عبد الناصر قد أعطاك هذا الشيك منذ عدة شهور سابقة على تاريخ صرفك له وأنك احتفظت به مدة من الزمن لحين سحبه .

ـ عصام يجيب : لا .. أنا أخذته من خالد عبد الناصر وغالباً تاني يوم رحت صارفه .

● المحقق يسأل : هل تذكر رقم الشيك وتاريخ تحريره ؟

ـ أحمد عصام يجيب : لا أذكر .. وإنما أنا صرفته في يناير ١٩٨٧ .

● المحقق يسأل : ما قولك فيما ورد بإفادة البنك الأهلى المصرى من أن شيكاً لحامله بمبلغ الفين دولار قمت بصرفه من حساب خالد عبد الناصر الجارى بالعملة الأجنبية يوم ١٩٨٧/١/١٨ . بينما حرر هذا الشيك بتاريخ ١٩٨٦/٢/١٨ .

ـ عصام يجيب : فعلاً الشيك هو اللى أنا صرفته .. مبلغ الدولارات بموجب اسمى وعنوانى ، وأنا اللى كتبته على ظهر الشيك ورقم بطاقتى مكتوب عليه على الظهر . وإنما أول مرة ألاحظ أن الشيك انكتب بتاريخ ١٩٨٦ . أنا اللى متأكد منه إن وقت ماداه لي خالد عبد الناصر صرفته تانى يوم .. وماأعرفشى خالد كتب التاريخ بتاعه قبل كده ليه .

● المحقق يسأل : هل حرر خالد عبد الناصر هذين الشيكين في حضورك ؟

ـ عصام يجيب : أيوه .. هو في المرتين كتب الشيكين وأنا قاعد معاه في البيت .

● المحقق يسأل : هل تعرف ما إذا كان خالد عبد الناصر سبق أن حرر عدة شيكات لسحبها من حسابه بالعملة المحلية أو الأجنبية لشقيقك محمود أو لأى شخص آخر من أعضاء التنظيم ؟

ـ عصام يجيب : أنا ماعرفش إن خالد إدى أي شيكات لأى حد من أفراد التنظيم .. إنما بالنسبة لمحمود أعتقد في خلال عام ١٩٨٦ كان محمود اتصل بي من الإسكندرية وقال لى أطلب من خالد إن هو يحول من حساب خالد مبلغ (٢٠) ألف دولار لحساب واحد اسمه حامد . ومش فاكر باقى اسمه . وهو صاحب العمارة اللى محمود واخد فيها شقق الإسكندرية اللى قلت عليها قبل كدة .. ومحمود وقتها ملانى في التليفون اسم حامد بالكامل ورقم حسابه في بنك في الإسكندرية في بنك ومش فاكر اسمه ولا رقم الحساب .. وبلغت الرسالة لخالد . وخالد قال حاضر هعمل التحويل .. إنما ماعرفش إذا كان عمله ولا لأ .

● المحقق يسأل : هل سبق أن تعاملت مع خالد عبد الناصر مالياً بواسطة شيكات بخلاف الشيكين السابق الإشارة إليهما ؟

ـ عصام يجيب : لا قبل كده ولا بعد كده .. ومافيش غير الشيكين دول .

● المحقق يسأل : ألم يسبق لك أن قمت بسحب أية مبالغ لنفسك أو لمحمود من بنوك بواسطة شيكات حررها لك أو سلمها لك ؟

ـ عصام يجيب : لا .. لم أتعامل مع محمود بشيكات قبل كده .

● المحقق يسأل : وهل تعرف عما إذا كان محمود قد سبق أن حرر أو سلم أية شيكات لأى شخص ؟

ـ عصام يجيب : لا .. ماعرفش حاجة زي كده .

● المحقق يسأل : ما سبب اختيارك السفر إلى أمريكا للحصول على تأشيرة دخولك إنجلترا منها على نحو ما قررت بصدد بحثك عن مصير شقيقك علاء ؟

ـ عصام يجيب : أنا قلت أسافر أمريكا أضمن . لأنى سبق أن سافرت أمريكا عند اختى زي ماقلت في بداية أقوالى .. وكنت ملتزم بحدود مدة التأشيرة . وأنا أخذتها من مصر بإجراءات سهلة وتوقعت إنى تخد منها تأشيرة انجلترا باجراءات سهلة فعلاً وحصل ماتوقعته . وخصوصاً إنى أثناء تواجدى في أمريكا أول مرة حصلت منها على تأشيرة إنجلترا بسهولة .. وعلشان كده أخذت تأشيرة أمريكا لأسافر لإنجلترا .

تلك هي الاتهامات التى وجهت إلى خالد عبد الناصر على لسان أحمد عصام . اتهامات دون سند أو دليل . ويمكن لأى فرد أن يلقيها في مواجهة أي من خصومه .

ولكن يبقى القول إن الأمر رهن بالتحقيقات التى سوف تجرى مع خالد عبد الناصر في حال حضوره إلى البلاد ، ومثوله أمام النيابة .

□ الفصـــل الحادى عشر □

زيفـى كيـدار .. إعـــلان الـولادة

كانوا أربعة رجال ....

محمود نور الدين وشقيقه عصام والعقيد محيى عدلى والمقدم أحمد على .

اتخذوا القرار .. وبقيت عملية الإعداد والتنفيذ . محمود نور الدين كما هو معروف رجل مخابرات من الطراز الأول .. ومحيى وأحمد على هما من ضباط الجيش المشهود لهم بالكفاءة . وعصام سائق ماهر للسيارات .

قالوا : إن أبجديات العمل العلمى تبدأ بالإعداد الجيد . إذن علينا أن نراقب السفارة الإسرائيلية . ومنها إلى مساكن الإسرائيليين . حى المعادى من الأحياء الراقية في مصر . كلام كثير يتناثر عن أن غالبية الإسرائيليين يقطنون هناك خصوصاً وأن سفيرهم يتوسط هذا الحى حيث يقطن في شارع بور سعيد . كان البحث يدور على اتجاهين . واستغرق أسابيع عدة . عرفوا أن سيارات الدبلوماسيين ورجال الموساد الإسرائيليين تحمل رقم ١١٤ دبلوماسية ، كان تحديدهم للهدف واضحاً ، إنهم يريدون توجيه سهامهم إلى رجال الموساد . وقبل البدء بالعملية كان لابد من

تجريب السلاح ، فمن يدريهم حقيقة الأمر . ذهبوا معاً إلى حيث طريق القاهرة ــ الإسماعيلية الصحراوى . لم يكن السلاح جيداً ، الرشاش العوزى الإسرائيلى مثلاً كانت تنطلق منه طلقة ولا تنطلق الأخرى . البندقية الآلية والمسدس الاسبانى لم يفرغا رصاصهما مرة واحدة . ولكن ما العمل وليس أمامهم من خيار أخر ؟ ! . عادوا من جولات التدريب إلى المرحلة الأصعب ، ظلت فترة المراقبة أكثر من اسبوعين ، يخرجون في الصباح الباكر ليراقبوا سيارات السفارة ، وهي في الطريق إليها ، وينتظرونها وهي عائدة إلى مساكن أعضاء السفارة . واختاروا لذلك كل المنافذ المؤدية إلى منطقة المعادى . والمنافذ الأخرى المؤدية إلى مبنى السفارة الإسرائيلية .

• • •

تقع السفارة الإسرائيلية في نهاية كوبرى الجامعة ، وتعتبر على يمين القادم من الكوبرى بإتجاه جامعة القاهرة حيث يقع مدخل العمارة التى تتخذ السفارة من الأدوار النهائية فيها مقراً لها . هناك ممر يصل مابين شارع الجيزة إلى الميدان الذى يتوسطه تمثال نهضة مصر أمام حديقة الحيوان . والممر يوجد أسفل الكوبرى ، وقد تم اغلاقه منذ اتخذت السفارة مقراً لها بهذه المنطقة . رجال الشرطة متناثرون في كل إتجاه يدققون في القادمين ويوقفون من يشتبه فيه . هناك جراج للعمارة توضع به سيارات السفارة وحولها حراسة مشددة خوفاً من احداث أية عمليات تخريبية بها ... اختار التنظيم زيفى كيدار مسئول أمن السفارة الإسرائيلية وأحد رجال الموساد ليكون هدفهم الأول .. راقبوا تحركاته .. الخطة كانت تستلزم وضعه تحت المراقبة جيداً .. وأثناء المراقبة التى كانت تجرى في شارع ٢١٠ بمنطقة دجله بالمعادى حيث العقار رقم ١ ، استفز أعضاء التنظيم بعض الإسرائيلين الذين كانوا يرقصون ويشربون الخمر على انغام الديسكو وبصوت واضح سمعه الجميع .. لم يراعوا حرمة شهر رمضان المعظم .. وكان المارة يرونهم في الشرفة الواسعة من أسفل الشارع .

هذا المشهد استفز المقدم أحمد علي ، طلب من محمود نور الدين السماح له بإطلاق رصاص بندقيته الألية عليهم ، لكن محمود طلبْ منه التمهل .. فالمعركة لم تبدأ بعد ، والبداية ستكون قوية وفعالة .

اتفق الأربعة على أن تنفيذ العملية يجب أن يتم ليلاً . ففي المساء كثيراً ما يخرج الإسرائيليون فرادى للسهر واللهو ـــ وتلك فرصة مناسبة لتنفيذ العملية بنجاح . وبعد أن استقر الأمر على ذلك . بدأوا يفكرون في شراء سيارة ينفذون بها عمليتهم المرتقبة . كان الاتفاق أن يجرى تنفيذ العملية بالسيارة الجديدة ، ثم تترك في مكان جانبى ، حتى إذا ما توصلت إليها الشرطة يكون أيضاً من الصعب التوصل عبرها إلى الذين نفذوا العملية . وكان هناك اقتراح أخر بأن تجرى سرقة سيارة من أي مكان ، تنفذ بها العملية وتترك لتعود إلى صاحبها بعد ذلك . ولكن الأمر استقر في النهاية على شراء سيارة قديمة . إما من خلال الإعلانات أو من أحد معارض السيارات . وإلى سوق سيارات المعادى الواقع إلى جوار ميدان الحرية بقليل كانت وجهة عصام ومعه محيى عدلي . ذهبا إلى هناك صباح يوم الجمعة ، حيث تقام السوق يومي الجمعة والأحد من كل أسبوع . كانت الخطة تقضى بدفع جزء كبير من المبلغ ، وأن يجرى كتابة العقد الابتدائى باسم وهمي قبل التسجيل .

وبالفعل فقد استقر الأمر على شراء سيارة نصر ١٢٨ لونها برتقالى . كان صاحب السيارة يقف إلى جوارها . تقدم منه عصام ، نظر إلى السيارة تفحصها مرة واثنين ، أراد أن يوهم صاحبها ، فطلب منه أن يرى موتور السيارة لم يظهر على وجهه الرضا الكامل . يبدو أن السيارة مستهلكة . نظر إليه صاحبها .. قال بصوت أجش : سليمة والله يابيه . عصام انتهز الفرصة ، طلب منه أن يجربها، ركب السيارة ، أدار محركها .. تقدم بها امتاراً معدودة وإلى جواره صاحب السيارة ، ثم عاد بها إلى مكانها من جديد .

نظر عصام إلى صاحب السيارة وقال : مش بطالة !! أمسك الرجل بالجملة التى نطق بها عصام .. بألف جنيه بس يابيه .. نظر إليه عصام وقال مش كتير ؟ ولكن الرجل ظل يحلف بأغلظ الإيمان ، فما كان من عصام إلا أن قال له : خلاص أنا موافق .. ولو أنها سوف تصرف أكثر من خمسة ألاف أخرى .

● ● ●

كان محيى عدلى يراقب الموقف عن بعد ، قال عصام لصاحب السيارة إذن على بركة الله ـــ وهذه هي العقود أحضرتها معي .. لم يسأله عن بطاقته .. ومن ثم فإن صاحب السيارة لم يسأل عصام أيضاً . تمت كتابة العقد الابتدائى عصام كتب بيانات وهمية عن شخصه ، بينما سجل صاحب السيارة بياناته الحقيقية . سأل عصام نفسه : وماذا لو سألنى الرجل عن بطاقتى ؟ وكانت الإجابة جاهزة لديه ، سأقول له لقد نسيتها ، وإذا أصر فإنى سأترك الجمل بما حمل .. ولكن الرجل لم يسأل . أخرج عصام من جيبه حزمة نقود سلمها إلى صاحب السيارة كانت فقط ٨٠٠ جنيه ، وبقى من المبلغ مائتى جنيه ، تواعد عصام مع الرجل على أن يسلمها له أثناء التسجيل . طلب صاحب السيارة من عصام أن يوصله في طريقه إلى دار السلام ، لم يتردد عصام وإنما أجلسه إلى جواره وانطلق بالسيارة إلى دار السلام .. كان محيى لايزال يرقب الوضع .. شعر أن عصام يهم بالتحرك فانطلق خلفه ، وكان يقود سيارة عصام البيجو ٣٠٥ . قبيل دار السلام بقليل تواعد الرجلان على أن يلتقيا أمام قهوة استرا بميدان التحرير بعد يومين ، ليكملا اجراءات تسجيل السيارة ، وليسدد عصام بقية المبلغ إلى صاحبه .

● ● ●

سار عصام بالسيارة وخلفه محيى عدلي اتجها يميناً باتجاه كوبرى مصر القديمة ثم إلى طريق صلاح سالم ، ثم إلى مصر الجديدة .

ركن عصام السيارة ١٢٨ في مكان ما ، وركب إلى جوار محيي عدلى واتجها إلى منزل محمود نور الدين خلف مدرسة السلحذار . ابلغ عصام شقيقه بأن كل شيء على مايرام . دفع محمود ثمن السيارة ، لكن عصام أبلغه بأن السيارة في حاجة إلى بعض قطع الغيار — طلب منه محمود أن يعمل على اصلاح السيارة بأقصى سرعة . وبالفعل اتجه عصام إلى ميكانيكى سيارات . تعمد ألا يكون صاحب ورشة حتى لايسأل في يوم ما . تم اصلاح الكهرباء وتغيير البوجيهات . وفي أحد المحلات الأخرى تم لصق المادة الغامضة على زجاج السيارة ، بناء على تعليمات محمود نور الدين .

● ● ●

كان الزمان هو شهر يونيو ١٩٨٤ . وقد تصادف تلاقى شهر رمضان المعظم مع هذا الشهر .

في شهر رمضان تبدو الحياة في القاهرة جميلة وهادئة يذهب الناس إلى الحسين والأماكن الأخرى ذات الطابع الدينى ، يقضون الليل كله وحتى مطلع الفجر . وبينما الجميع منهمكون بالاستمتاع بليالى شهر رمضان المعظم ، كان أعضاء ثورة مصر منهمكين هم أيضاً في متابعة الهدف ، نزل الأربعة من شقة محمود نور الدين ، محيى عدلى وعصام جاءا بالسيارة الفيات ١٢٨ من أمام فندق البارون . قام عصام بقيادتها ، بينما تولى محيى عدلى قيادة سيارة عصام البيجو ٣٠٥ . أما محمود وأحمد على فقد ركبا معاً سيارة محمود التويتا . أتفق الجميع على أن يلتقوا أمام مسجد جمال عبد الناصر . وهناك صلوا ركعتين ، وتحركوا جميعاً على طريق المعادى ..

● ● ●

سارت السيارات الثلاث خلف بعضها البعض ، السيارة التويتا وكان يقودها محمود نور الدين ومعه المقدم أحمد علي .. والسيارة الفيات ١٢٨ وكان يقودها أحمد عصام . أما السيارة البيجو ٣٠٥ فقد كان يقودها العقيد محيى عدلى .

سلكوا طريق الأوتوستراد ، مروا على قلعة صلاح الدين ، تذكروا الأمجاد ، وقرأوا الفاتحة لكل شهداء العروبة ... في أقل من نصف ساعة كانوا قد وصلوا إلى منطقة صقر قريش ، بداية المعادى الجديدة من ناحية طريق الأوتستراد . وهناك ترك محمود نور الدين سيارته التويتا ، وركب المقدم أحمد علي مع عصام . سارت سيارة عصام ومن خلفها السيارة التى كان محمود قد قام بقيادتها بدلاً من محيى عدلى الذى ركب مع عصام أيضاً . وأمام المنطقة التى يسكن فيها الإسرائيليون وقفوا يراقبون الأجواء ، بعد أن تركوا السيارة البيجو ٣٠٥ في أحد الأماكن القريبة . كان محمود وأحمد على قد لمحا سيارة تحمل أرقام ١١٤ دبلوماسية في طريقها إلى المقطم ، بينما كانا في الطريق إلى منطقة دجلة ، اتفقوا على أن ينتظروا هذه السيارة . ومر أكثر من ثلثى ساعة ولم يظهر شيء في الأفق . تخوف محمود من أن يكتشف الأمر ، خصوصاً بعد أمعن بعض البوابين النظر طويلاً في هذه السيارة التى تقف في المواجهة . وبداخلها أربعة اشخاص . تحركت السيارة في الاتجاه نفسه . وظل الجميع ينتظرون الهدف بفارغ الشوق . وفجأة لمح أحمد على « الهدف » قادما من بعيد . كان « الهدف » يركب سيارة بيجو ٣٠٥ موديل جديد ولونها كريمى فاتح .. نزل محمود من السيارة وظل بعيداً بعض الشيء ، جاء « الهدف » مسرعاً . اتجه ناحية المكان الذى يترك فيه سيارته ، كان على بعد نحو ٥٠ متراً تقريباً من العمارة التى يقطن فيها . تحرك عصام بالسيارة في اتجاه « الهدف » .. كان « الهدف » يرتدى قميصا وبنطلونا .. كان أصلعا وقصيرا ونزل من سيارته ، سار باتجاه العقار رقم ١ ش ٢١٠ حيث يسكن .. دفع عصام بالسيارة أمامه من .. حادثه بالإنجليزية : من فضلك .. وفجأة انهمر الرصاص ! ..

● ● ●

كان ثلاثتهم بالسيارة : عصام وأحمد على ومحيى عدلى ، بينما كان محمود خارجها لملاقاة « الهدف » ـــ محمود كان يرتدى في هذا اليوم قميصا أسود وبنطلونا بنفس

اللون وكان يرتدى « كاوتش » بنيا غاما لم يستخدم هو أو الآخرين أيا من أدوات التنكر ، باستثناء بعض النظارات . فقط محمود كان قد صبغ شعره بحيث يمكن أن يظهر وكأنه أبيض تارة وأقرب إلى الأسود والبنى تارة أخرى ، والأمر متوقف على التسريحة . كانوا قد وزعوا السلاح على بعضهم البعض بعد أن حملوه في حقيبة تنس طويلة ووضعوا في مؤخرتها مضارب للتنس . الأسلحة كانت مسدسا أسبانيا وخنجرا ٩ مم . وكان هذا من نصيب محمود . بندقية آلية للمقدم أحمد على . رشاش عوزى ٩ مم للعقيد محيى عدلي . أما عصام فقد اسندت إليه قيادة السيارة . وضع المقدم أحمد علي فوهة ماسورة بندقيته الألية ٧,٦٢ إلى الشباك الخلفى .. أطلق منها عدة طلقات باتجاه « الهدف » الذى كان يجرى إلى الخلف وبطريقة عكسية وملتوية باتجاه مقدمة السيارة . محمود كان يقف هناك في مقدمة السيارة ، واجهه وهم بالتعامل معه ، في البداية لم تنطلق الرصاصات من المسدس الأسبانى .. أعاد محمود الضغط على الزناد فانطلقت بعض الرصاصات .. لكن الهدف حاول أن يخرج مسدساً كان موجوداً في خصره الايمن ، لم يتمكن . يبدو أنه أصيب ، ولهذا كان كل ما يهمه هو النجاة بحياته .. ومع دوى صوت الرصاص الذى لم ينقطع خرج رجال الأمن المصريون مسرعين ، أطلقوا رصاصهم في كل اتجاه .. ولكن محمود هرع يجرى بطريقة ملتوية إلى أن وصل إلى السيارة ، كان الباب الخلفى مفتوحاً طلب محمود من شقيقة عصام الاسراع حتى لا يصيبهم رصاص المصريين ، في وقت رفضوا فيه مبادلتهم الرصاص . ونجح عصام .. سلك الطريق الموازى لدجلة عبر مزلقان السكة الحديد سار موازياً لشارع القمر الصناعى واتجه حيث سيارة محمود ثم مباشرة إلى منطقة البساتين . استقل عصام ومحيى عدلى السيارة البيجو ٣٠٥ وتركوا الفيات ١٢٨ ــ وبالقرب من طريق الأوتوستراد كان قد نزل محمود نور الدين وأحمد علي واستقلا السيارة التيوتا التى تركاها هناك ..

انتظر محمود نور الدين وأحمد على بعض الوقت ، ولكن عصام ومحيى عدلى لم يحضرا ــ انصرفا ، ثم تجمع الأربعة في شقة محمود نور الدين بعد ذلك . التقوا

جميعاً على مائدة الانتصار ــ ابتسموا رغم القلق ، تعانقوا والدموع تملأ عيونهم .. أحس أحمد على أنه بدأ ينتقم لزملائه الشهداء . وشعر العقيد محيى عدلي أنه سوف يثأر من هؤلاء الذين خاض معهم حروبا عديدة ، وحتى عصام أحس بذاته لأول مرة ، أما محمود نور الدين فقد كان المايسترو الذى شعر بأن بناءه بدأ يثمر عن شيء .. بسرعة البرق أعدوا بياناً باسم تنظيم ثورة مصر يتبنى العملية . قام محيى عدلى وأحمد عصام بتوزيعه بعد كتابته على الآلة الكاتبة . وضعت البيانات داخل مظاريف خاصة . كتب عليها من الأمام أسماء الصحف الحزبية ووكالات الأنباء . تم توزيع الخطابات على الأماكن المخصصة وكان عصام يترك المظاريف أسفل الأبواب المغلقة . فقط جريدة الأهالى هي التى كانت أبوابها مفتوحة ، عصام سلم الخطاب إلى عامل كان موجوداً بالمقر ، قال له أن هذا الخطاب يحوى شكوى هامة ، أرجو توصيلها إلى رئيس التحرير . عصام قال أنه بعد اتمام العملية أبلغه أحمد على أنه ومحمود نور الدين اتجها إلى منزل خالد عبد الناصر في شارع الثورة ، أحمد على صعد إلى خالد في شقته وأبلغه أن العملية تمت وفي المساء أدرك الجميع أن « الهدف » قد أصيب وكان الهدف زيفى كيدار مسئول الأمن بالسفارة الإسرائيلية . وأحد عملاء الموساد بالقاهرة .

وكان إطلاق الرصاص على زيفى كيدار .. بداية الولادة . في ١٩٨٧/٦/٤ ــ وكأنهم اختاروا التاريخ بعناية !

• • •

إتـراكـــشى يـذهـــب إلـى الجحيـــم

هرعت أجهزة الأمن تبحث عن هؤلاء الذين أطلقوا الرصاص على زيفى كيدار ، ولكن دون جدوى .. لقد ابتلعتهم الأرض ، ولم يظهر لهم أي أثر . وبدأت وسائل الإعلام العالمية تردد إسم ثورة مصر ، كتنظيم جديد ، أصدر بيانا تبنى فيه عملية إطلاق الرصاص على زيفى كيدار .. وحتى ذلك الوقت كان الجميع أيضاً يطرحون التساؤلات عن المنظمة ، وعما إذا كانت سوف تستمر في خطها الذي أعلنته ، أم أن ماجرى هو من قبيل الدعاية ليس أكثر ولا تخرج عن كونها عملية مقصود بها إحداث فرقعة وحسب ، ولكن الأيام تمر .. وساعد التنظيم يقوى ويضم إلى صفوفه شخصيات جديدة ، جرى كسبها بطريقة سهلة وبسيطة .

لم يكن هناك مجهود كبير تتطلبه عملية كسب العناصر الجديدة للتنظيم . فقط ما أن يتم شرح أهداف التنظيم لأي من هؤلاء حتى ينتهى الأمر ، وهكذا ضم التنظيم نطمى شاهين وحمادة شرف الدين وسامى إبراهيم وآخرين . كبر ساعد التنظيم وأصبح عليه أن يفكر في عملية جديدة .

في ذلك الوقت كان محمود نور الدين يقيم بشقة في الحي الثامن بمدينة نصر . وكما هي العادة أقام معسكراً لمدة أسبوع للأعضاء المشاركين في تنفيذ الخطة . وأثناء ذلك كانوا يذهبون إلى مسرح العمليات . وفي أوقات متفرقة من نفس اليوم ، بقصد معاينة المكان ومراقبة « الهدف » ودراسة مخارج ومنافذ مسرح العمليات حتى يتم التنفيذ بشكل دقيق .

في هذه المرة كان الهدف الذي حدده التنظيم شخصية إسرائيلية كبيرة ، تركب سيارة فاخرة وتقطن في شارع جانبي على بعد ٤٠٠ متر من منزل السفير الإسرائيلي بنفس المنطقة . جرى تحديد موعد تنفيذ العملية في الثامنة من صباح ١٩٨٥/٨/٢٠ وهو الموعد الذي يوافق خروجه إلى عمله بالسفارة .

وكما تقضي الخطة ، تم شراء سيارة فيات ١٣٢ ، قام بشرائها نظمي شاهين وسامي إبراهيم . نزع نظمي صورة خاصة ببطاقة أحد الأشخاص ووضع صورته عليها واشترى السيارة على هذا الأساس .

تحرك الأربعة من شقة محمود بسيارتين ، ولم يكن معهم عصام هذه المرة ، فقد كان يعالج بعد إطلاق محمود الرصاص عليه ، عندما هدد بخيانة التنظيم .

محمود كان يحمل في هذه العملية طبنجة إسبانية عيار ٩ مم وبندقية آلية لنظمي وأحزى لحمادة شرف الدين ، أما سامي إبراهيم فقد كان يحمل هو الآخر بندقية آلية أمريكية .

تركوا السيارة الفيات بعيداً عن شقة محمود ، ولهذا عندما هموا بالرحيل ركبوا جميعاً سيارة محمود التيوتا واتجهوا إلى السيارة الفيات ١٣٢ . نزل نظمي ، وأخذ حقيبة السلاح ، ووضعها في السيارة الفيات ، وقاد هو هذه السيارة ، بينما قاد محمود السيارة التيوتا . قبل الوصول إلى مسرح العملية ترك محمود سيارته بالقرب

من القمر الصناعى . تعرفوا المكان .. ثم لحق بهم محمود سيراً على الأقدام حتى لا يثير الشك .. تولى هو قيادة السيارة الفيات . وذهب الجميع إلى حيث الهدف كان السلاح جاهزاً للانطلاق .. وقد اتضح أن هناك هدفاً آخر ربما توفق فيه المجموعة ، حيث كان هناك دبلوماسى إسرائيلى آخر يقطن مع الهدف .

ولكن حدث مالم يكن متوقعاً ـــ السيارة ليست بحالة جيدة .. وهم يعرفون ذلك .. إلا أنهم فوجئوا بأن السيارة قد تسرب منها الكثير من الزيت منها . أحسوا بالخطر فقرروا تأجيل العملية لحين إصلاح العطب . واتفقوا جميعاً على العودة في صباح اليوم التالى . وبينما هم عائدون إلى حيث سيارة محمود نور الدين التى تركها أمام القمر الصناعى بمنطقة المعادى الجديدة .

شاهد محمود فجأة اتراكش أحد رجال الموساد الإسرائيلى المعروفين له جيداً . والذى كان مسئولاً عن الموساد في انجلترا في وقت كان فيه محمود يعمل بمكتب المخابرات المصرية في السفارة المصرية بلندن .

كان اتراكش يركب سيارته الفولكس جولف ذات اللون الأزرق . وكانت معه سيدتان إسرائيليتان تعملان بالسفارة الإسرائيلية . إتضح فيما بعد أن الأولى زوجته والأخرى سكرتيرته . وفي ثوان معدودة قرر محمود نور الدين إتمام العملية . شعر اتراكش بسيارة محمود تحاول الاحتكاك به . نظر في المرآة وقيل أن القلق ظهر في ملامحه وكأنه يعرف محمود نور الدين ـــ لم ينطق ولم يتكلم . ولكن نور الدين كان قد ضيق عليه الخناق . أغلق عليه الطريق ودفعه إلى جوار الرصيف . على بعد حوالى مائة متر من قلعة السفير الإسرائيلى بالمعادى . في ذلك الوقت كان يقف في منتصف الشارع مساعد شرطة . شاهد الحادث . نزل سامى إبراهيم من السيارة ، قبل أن تقف سيارة اتراكش بثوانى قليلة .. أفرغ ما في بندقيته الآلية الأمريكية باتجاه سيارة اتراكش .. نظمى شاهين من الجانب الآخر أطلق رصاصاته . ونفس

الأمر فعله حماده شرف الدين والذي كان يجلس إلى الخلف من محمود . تأكدوا من مصرع اتراكش على الأقل . صعد سامى إلى السيارة .. إلتف محمود بها وعاد راجعاً إلى المعادى .. وكأن شيئاً لم يحدث ! .

● ● ●

ساروا بسرعة جنونية ، انحرفوا يميناً وتركوا شارع ١٨ إلى ش النهضة .. كانت السيارة الفيات ١٣٢ التى يستقلونها تحمل أرقام ٧١٩٦٨٤ ، ورغم أن عدداً كبيراً من سكان المنطقة شاهدوا الحادث ، فإنهم لم يدلوا بأية أوصاف قد تقود إلى أعضاء التنظيم !

نزلوا من السيارة بعد أن تركوها عند تقاطع شارعى ٥٩ ، ٧٥ بالمعادى الجديدة .. وانطلقوا باتجاه شارع القمر الصناعى .. نزلوا منها حاملين حقائب السلاح في أيديهم واتجهوا إلى شارع ٢٧٥ حيث كانت هناك سيارة في انتظارهم .. ولم تكن تلك سوى السيارة التيوتا التى انطلقت بهم إلى مدينة نصر .

وبعد ذلك بفترة جاءت قوات البوليس وعثرت بالمصادفة على السيارة ، التى كانت بها آثار دماء ، من بعض الإسرائيليين الذين أُطلق عليهم الرصاص .

كان المشهد مذهلاً .. أصاب الجميع بحالة من الذهول .. وأول من أصيب هو المساعد على أحمد يحيى المساعد بقسم شرطة المعادى . والمساعد على ضمن قوة الحراسة الخاصة بقسم المعادى ، ومن سوء قدره أنه مكلف بحراسة منزل السفير الإسرائيلى رقم ١٨ بشارع بورسعيد . وهو يقوم بتسلم عمله بشكل دورى كل يوم في السابعة صباحاً .

وفي ١٩٨٥/٨/٢٠ توجه الرجل إلى مكان عمله كالمعتاد . وكان معه اثنان من رجال الشرطة (درجة ثانية) أحدهما يدعى سيد والآخر يدعى كمال . وكالعادة

فإنه عندما يصل المساعد على كل يوم يقوم في بداية خدمته بالمرور حول فيلا السفير الإسرائيلي كنوع من التمام الدورى .

وبعد أن أنهى تلك المهمة . وقف أمام منزل السفير حيث الشارع في المواجهة . وضمن ماقاله في محضر النيابة : إنه بينما كنت واقفاً سمعت صوت انطلاق أعيرة نارية يقدر عددها من ١٥ إلى ٢٠ طلقة متتالية ودفعة واحدة فتوجهت إلى مصدر إطلاق الأعيرة النارية وقمت بالجرى في شارع بورسعيد ، حيث شاهدت على ناصية ش ١٨ السيارة المضروبة وشاهدت سيدة تقف بجوار السيارة وكان الدم ينزف من يدها ووجهها . فقمت بطلب السيارة الخاصة بالشرطة والإسعاف وشفت واحد برضه يجلس في مقعد السيارة ونايم على دركسيون القيادة وواحدة ست كانت تجلس على الرصيف المجاور .

● سأله رئيس النيابة وما الذى شاهدته فور وصولك إلى مكان الحادث ؟

ـ أجاب : شفت عربية واقفة على ناصية شارع ١٨ وشارع بورسعيد وبجوارها واحدة واقفة بتصرخ وبتشاور بايديها وواحده ثانية قاعدة على الرصيف وواحد جوه العربية .

● سئل : وما الحالة التى كانت عليها كل من السيدتين ؟

ـ أجاب : واحدة واقفه جنب السيارة كانت مصابه في وجهها وذراعها واللى قاعده على الرصيف كان شعرها مغطى وجهها واللى جوه السيارة كان نايم على الدركسيون وشفت دم في ظهره .

● سئل : ما الحالة التى كانت عليها السيارة ؟

ـ أجاب : البابين اليمين كانا مفتوحين والزجاج مكسر

● سئل : هل لاحظت شيئاً آخر بالسيارة ؟

ــ أجاب : شفت طلقات فارغه حول السيارة وكان هناك رصاص في اجناب السيارة .

● سئل : وما الذى فعلته بعد ذلك ؟

ــ أجاب : أبلغت القسم والإسعاف وحولت الطريق وخليت السيارات مشيت في شارع تانى .

● سئل : هل المجنى عليه معتاد السير في هذا الطريق ؟

ــ أجاب : الطريق اللى كان ماشى فيه المجنى عليه ده خط سيرهم المعتاد بالنسبة للإسرائيليين وهم رايحين شغلهم ، إنما المجنى عليه ماشفتوش قبل كده .

● سئل : ألم تشاهد المجنى عليه يتردد على منزل السفير الإسرائيلى ؟

ــ أجاب : لا .

● سئل : ما هي المسافة بين منزل السفير الإسرائيلى ومكان الحادث ؟

ــ أجاب : حوالى ٣٠٠ متر تقريباً .

● سئل : هل سمع أحد آخر أصوات الأعيره النارية من قوة الحراسة المعينة على منزل السفير الإسرائيلى ؟

ــ أجاب : كل الحراسة سمعت ــ لكن مافيش حد جاء . لكن بعد فترة جاء المأمور وضباط القسم . ومحدش جاء من ضباط الحراسة ، إلا اثنين ضباط مأعرفش أسماءهم .

● سئل : هل شاهدت وجود أشخاص آخرين عند وصولك إلى مكان الحادث ؟

ــ أجاب : لا ماشفتش حد موجود بمكان الحادث .

● ● ●

في تمام الثانية والربع من ظهر ١٩٨٥/٨/٢٠ ، كانت السفارة الإسرائيلية قد أتمت اتصالاتها مع المسئولين المصريين .. وكلفت أحد العاملين بها ويدعى فيكتور عزران بتسلم جثة اتراكشى والتي تسلمها على الفور ، وتم نقلها على وجه السرعة إلى فلسطين المحتلة . وتم اصطحاب زوجة اتراكشى ايلانتا اتراكشى وسكرتيرته مازل مانشى على ذات الرحلة المتوجهة إلى فلسطين المحتلة ، وذلك بقصد إتمام العلاج في المستشفيات الإسرائيلية ، والاستماع إلى وقائع الحادث لاتخاذ التصرف السريع في المواجهة .

● ● ●

وبينما الأوضاع مقلوبة رأساً على عقب في الخارج ، كان أبطال ثورة مصر ، قد طيروا بيانهم إلى وكالات الأنباء والصحف .. وراحوا يحتفلون بنجاح عمليتهم الثانية : « مصر » !

● ● ●

عمليـــة المعـرض ــ المغامـرة المحسوبـة

في مارس من كل عام ، تقيم الدولة معرضا للمنتجات الصناعية بأرض المعارض بمدينة نصر ، وتشترك في هذا المعرض دولاً عديدة وشركات من شتى أنحاء العالم . وكانت إسرائيل ضمن الدول المشاركة في هذه المعارض لمرات عديدة اعقبت عملية التطبيع بينها وبين مصر .

وفي عام ١٩٨٦ أثار اشتراك إسرائيل في المعرض استياءً واسع النطاق داخل مصر وخارجها . مما دفع الكثير من الأقطار العربية إلى الإحجام عن المشاركة بالمقابل . وكان أعضاء تنظيم ثورة مصر أشد سخطا على هذا الاشتراك من غيرهم . فقرروا الانتقام . واختاروا المعرض ذاته مكانا لتنفيذ عمليتهم ، برغم مايشكله ذلك من مخاطر بالنسبة لهم .

تم تشكيل فريق عمل من محمود نورالدين ونظمي شاهين ومحيى عدلي وأحمد علي وسامي إبراهيم وحمادة شرف الدين وجمال عبدالحفيظ وصديق للمقدم احمد علي هو الرائد مراد ، بالإضافة إلى أحمد عصام الذي عاد إلى نشاطه بعد الشفاء

والصلح مع محمود نورالدين ، راقبوا المعرض من الداخل ، عرفوا عدد العاملين به وكيفية مغادرتهم للمعرض ، وعدد قوة الحراسة المصرية المكلفة بحمايتهم ، تخوف الجميع من أن تنطلق رصاصاتهم في إتجاه يصيب الأبرياء من المصريين . ولهذا تمهلوا وراحوا يدرسون الموقف من كل الإتجاهات . وعندما عرف أعضاء التنظيم أن وزير السياحة الإسرائيلي والسفير الإسرائيلي قاما بزيارة المعرض ، أرادوا استثمار حالة الاسترخاء الأمني بعد مغادرة الوزير والسفير أرض المعرض ، فقرروا تنفيذ العملية . وبالفعل ففي شقة محمود كان يوجد في ذلك الوقت كل من عصام ونظمي ومحيى عدلي وجمال كما قام محمود بالتوجه إلى أحمد علي بشقته بحدائق القبة ، وأبلغه بالتفاصيل وإصراره على تنفيذ العملية . في الوقت المحدد توجه البعض في السيارة البيجو ٣٠٥ الخاصة بعصام ، إلى مكان وجود سيارة أخرى بيجو ٣٠٥ ذهبية اللون ، تم شراؤها قبل العملية بحوالي ثلاثة أيام تقريبا . وقد قام بشرائها كل من محيى عدلي وأحمد عصام . وكانت السيارة البيجو الذهبية اللون في منطقة قريبة بمدينة نصر . وعندما وصلوا إليها ، ركب محمود في السيارة البيجو الذهبي ومعه آخرون حتى وصلوا إلى الجهاز المركزي للمحاسبات بمدينة نصر ، تركوا السيارة البيجو الزرقاء الخاصة بشقيقه عصام ، وركبوا جميعهم معا في السيارة الذهبي ، حيث توجهوا إلى الشارع المجاور للمعرض والذي يصل مابين صلاح سالم وشارع المنصة ، في ذلك الوقت كان هناك أحمد علي ومعه صديقه الرائد مراد الضابط بقوات الصاعقة ، عرض عليه أحمد علي المشاركة في العملية فوافق . كانا ينتظران في سيارة نصف نقل جاءا بها لتغطية ظهور زملائهم مابين مكان خروج الإسرائيليين مترجلين وبوابة خروج السيارات بعد أن يعاد استخدامها .

كانت السيارات الإسرائيلية تقف على رصيف المعرض بجوار السور من الخارج ، ويفصلها عن الشارع الرئيسي سور خشبي عبارة عن ألواح خشبية متلاصقة ، تمنع

المارين بالشارع من رؤية ماهو خلف السور من سيارات . وكان هذا المكان مخصصاً لأصحاب الأجنحة الموجودة بالمعرض .

وجرى تكليف جمال عبدالحفيظ بالوقوف عند بوابة خروج الإسرائيليين مترجلين لاستقلال سياراتهم لإعطاء الإشارة لزملائه بمجرد مشاهدته لهم . وبالفعل ، وفور خروجهم واتجاههم نحو سياراتهم ، حضر جمال مسرعا وأعطى محمود الإشارة .

● ● ●

في ذلك الوقت كان محمود ومحيى عدلى جالسين في السيارة بينما عصام ونظمي واقفين مترجلين عند مكان خروج السيارات بالضبط وكان أحمد علي وزميله يحميان ظهور الجميع . تقدم محمود نور الدين بالسيارة البيجو حتى أول المخرج وقام محيى عدلي وسلم البندقتين الآليتين لعصام ونظمي . وكان في حوزة محمود المسدس الإسباني عيار ٩مم ، أما محيى عدلي فقد كان لديه مسدس وبندقية آلية . وأما جمال عبدالحفيظ فقد كان في حوزته مسدس إسباني عيار ٩مم ، وكان أحمد علي والرائد مراد مسلحين ببندقيتين آليتين ومسدسين ٩مم بالإضافة إلى الخزن الاحتياطية . وقد حمل عصام معه مسدس ٣٨ مم ونظمي مسدس ٩مم .

بمجرد ظهور السيارة الإسرائيلية الأولى تحرك محمود بالسيارة واصطدم بها في مقدمة جانبها الأيسر . فحشرت بالرصيف المقابل ، وكانت خلفها سيارة إسرائيلية ثانية ، وسيارات أخرى عديدة . ومن ثم لم يكن هناك أي مجال للارتداد إلى الخلف أو لأي تحرك آخر . في هذا الوقت قام كل من عصام ونظمي بإطلاق النار على ركاب السيارة الأولى . وقام أحمد علي وزميله مراد بإطلاق الرصاص على السيارة الإسرائيلية الثانية من فوق السور الخشبي . وبادلهم الإسرائيليون إطلاق النار أيضا ومن داخل سيارتهم . ولكنهما لم يصابا لإرتفاع السور الخشبي . وأطلق محيى عدلي رصاص مسدسه باتجاه السيارة الأولى وكذلك جمال عبدالحفيظ .

نفذت العملية بنجاح ، وهرع الجميع إلى السيارة وانصرفوا مسرعين إلى مكان السيارة البيجو الخاصة بعصام . نزل عصام ونظمي ومعهم حقائب السلاح ، بينما توجه محمود بالسيارة ومعه محيي عدلي إلى المنطقة الموجود بها في نادي ضباط القوات المسلحة بمدينة نصر ، حيث تركوا السيارة البيجو الذهبي ، بعد إزالة أية آثار قد تكون عالقة بها . ثم تركوها أمام نادي الضباط . حضر عصام ومعه جمال ونظمي بالسيارة البيجو ، وتم نقل الآخرين من نهاية الشارع وتوجه الجميع إلى شقة محمود نورالدين بمدينة نصر .

لحظات بسيطة ، ونزل عصام ونظمي وقاموا بتوزيع البيان الثالث على وكالات الأنباء واستخدما في ذلك بعض البوابين وحراس الجراجات وأحيانا الأطفال . تحسبا من أية مخاطر أمنية قد تقع .

● ● ●

العالم كله يتحدث عن ثورة مصر ، الخبر يتصدر نشرات الأخبار العالمية .. وعلامات الاستفهام تتزايد كل يوم .
كانت الساعة العاشرة والربع من مساء ١٩٨٦/٣/١٩ . أعضاء التنظيم في حالة اجتماع ، لم يخافوا ولم يتفرقوا ، بل إن نشوات النصر كانت تزيدهم شجاعة على شجاعتهم . وقد قيل إن خالد عبدالناصر قد ذهب إليهم يهنئهم على هذه العملية الجريئة في نفس اليوم ، كما قال أحمد عصام في محضر التحقيق . والعميد حسن رهوان عرف الخبر من الإذاعات ، فقام هو الآخر بإجراء إتصال تليفوني عاجل من الغردقة هنأ فيه محمود نورالدين بالعملية الثالثة .

كان محمود وزملاؤه في غاية السعادة . وكان كل فرد منهم يشعر بأن له ثأراً كبيراً مع الإسرائيليين ، وأن النار لن تنطفىء إلا بالقضاء على أكبر عدد منهم .

في تلك الأثناء كان محمد عادل زغلول وكيل نيابة شرق القاهرة ، يقوم بالتحقيق في ملابسات الحادث .. استدعى الملازم أول طارق عبدالصبور المسئول عن حراسة بوابة المعرض .

● سأله : ماتفصيلات ماحدث ؟

ـــ جاب : أثناء وقوفي ووجودي لحراسة البوابة رقم ١ تبادر إلى سمعي صوت طلقات أعيرة نارية قادمة من شارع غرب الإستاد المؤدي إلى شارع امتداد رمسيس . قمت بالاتصال لاسلكيا بالسيد/ محمود أبوطالب رئيس النقطة ـــ وحضر على الفور . وانتقلنا سويا إلى مسرح الواقعة حيث شاهدنا سيارة هيئة سياسية برقم ١١٤/٢١٤٤٨ وبداخلها أربعة أشخاص مصابين ، والدماء تنزف منهم ، فتم إبلاغ الإسعاف التي نقلتهم إلى مستشفى المقاولين العرب ، وأثناء وجودنا بمكان الواقعة تقابلت مع الجندي عبدالهادي سليم والجندى عبدالموجود حسنين حيث أبلغنا بأن السيارة التي ارتكبت الحادث هي السيارة رقم ١٧٠١ جمرك الاسكندرية .

● سئل : متى وكيف حدث ذلك ؟

ـــ أجاب : في تمام الساعة ٦,٣٠ مساء اليوم بشارع غرب الإستاد المؤدي إلى امتداد شارع رمسيس .

● سئل : ما الحالة التي وجدت عليها هذا المكان ؟

ـــ أجاب : أنا رحت لقيت السيارة البيجو فيها أربعة أشخاص والأبواب مفتوحة ، ولقيت جوانب السيارة مخرمة من آثار الطلقات النارية .

● سئل : من كان موجودا بالسيارة ؟

ـــ أجاب : أربعة أشخاص ٢ سيدات ، و٢ رجالة .

● سئل : حدد موضع كل منهم ؟

ـــ أجاب : كان فيه واحد قاعد على الدركسيون وواحد بجواره واثنين سيدات .

● ● ●

وبرغم الشهادات الأخرى التي استمع إليها وكيل نيابة شرق القاهرة حول الحادث فإن الملف ظل مفتوحا لعدم التوصل إلى الفاعل الحقيقي في هذا الحادث .. وهكذا سقطت « إيترلور » قتيلة ، بينما جرح ثلاثة إسرائيليون آخرون ، وسط هتافات أعضاء التنظيم .. تحيا مصر ، بينما كان محمود نور الدين يقذف بصور عبدالناصر من السيارة ، فيتلقفها الجمهور في حنين ، مفسحاً الطريق لأبطال مصر ، وهكذا نجحت العملية الثالثة التي أطلق عليها « والله زمان ياسلاحي » .

● ● ●

الرصـــاص فـي مواجهــة الأمريكيـين

ــ لشهر رمضان عند المسلمين مكانة خاصة . وفيه تقام الاحتفالات في المساجد وخارجها .. السهرات تمتد حتى الصباح .. وفي رمضان دوما يختلط الليل بالنهار .

ــ أعضاء ثورة مصر كانوا يحتفلون على طريقتهم الخاصة .. ففي مساء رمضان الذي وافق شهر يونيو ١٩٨٤ وجهوا رصاصاتهم إلى زيفي كيدار مسئول أمن السفارة الإسرائيلية . وفي صباح رمضان الذي وافق شهر مايو ١٩٨٧ أطلقوا الرصاص على عدد من الدبلوماسيين الأمريكيين من عملاء السي ــ آي ــ إيه . بل وكانوا ينوون تنفيذ عملية جديدة ضد الأمريكيين في رمضان الماضي ، لولا حدوث بعض العوائق .

قبيل عام ونصف العام ، قبل إطلاق رصاصاتهم الأخيرة ، كان أعضاء التنظيم مجروحين كغيرهم جرحا غائراً وعميقا . ففي قرصنة جوية نادرا ماشهد لها التاريخ مثيلا .. تعرضت إحدى الطائرات المدنية المصرية لعملية اختطاف بشعة بواسطة سلاح الجو الأمريكي . وقد أجبرت على الهبوط في إحدى القواعد الإيطالية ، حيث

اعتقال بعض الشبان الفلسطينيين الذين كانوا على متنها ، والذين كان من المفترض أن الطائرة المصرية تحملهم إلى تونس لتتسلمهم قيادة منظمة التحرير تمهيدا لمحاكمتهم بتهمة اختطاف السفينة الإيطالية « أكيلي لارو » .

إختطفت الطائرة فكانت ضربة في الصميم . غضب المسئولون .. ولكن مصر كلها نادت بالقصاص من هؤلاء المجرمين . وراح كل يفكر بطريقته الخاصة . لفترة طويلة من الوقت ، ظل أعضاء تنظيم ثورة مصر يركزون ضرباتهم في مواجهة الإسرائيليين وحسب . أما الآن فإن الرصاصات يجب أن توجه إلى الأمريكيين أيضا ، وخصوصا عناصر السي . آي . إيه التي دأبت على التجسس ضد مصر وجمع المعلومات عن الأوضاع الداخلية بها .

* * *

وفي صباح الثلاثاء السادس والعشرين من مايو ١٩٨٧ كانت حركة المرور على كورنيش المعادي هادئة بعض الشيء ، خصوصا في الوقت المبكر . وفي شهر رمضان تبدأ فترة العمل اليومي ابتداء من العاشرة . ولهذا نادراً مايحدث الازدحام اليومي المعتاد في مثل هذه الشوارع .

.. كان القرار قد اتخذ ..

وقبل القرار كانت قد تمت عمليات مراقبة دقيقة كما هي العادة .. وشارك فيها بعض كوادر التنظيم هم : محمود نورالدين والعقيد محي عدلي والمقدم أحمد علي والرائد مراد ونظمي شاهين وسامي إبراهيم (فيشه) وحمادة شرف الدين وجمال عبدالحفيظ .

في ذلك الوقت كان أحمد عصام قد بدأ يتردد في الإستمرار وأبدى تخوفه من عملية توجه ضد الأمريكان .. لم يشارك .. لكنه صمت .

عندما تحدد الهدف كان لا بد من اختيار المشاركين . وقد وقع الاختيار على كل من نظمي شاهين وسامي فيشه وحماده شرف الدين ومحمود نورالدين بالقطع .

والملاحظ أن هذه المجموعة جميعها من المدنيين .

لقد أراد محمود نورالدين من وراء ذلك أن يؤكد أن المدنيين أيضا ، يمكنهم أن ينجحوا في المهام التي تسند إليهم . كما أن العسكريين دوما يلتحقون بوحداتهم في الصباح . قبيل لحظة التنفيذ كانت الاستعدادات قد استكملت . جمال عبدالحفيظ ونظمي قاما بشراء سيارة بيجو « ستيشن » ٥٠٤ ذات لون فستقي . كان أمام التنظيم أكثر من مكان لتنفيذ العملية .. ورغم أن الأهداف التي تم رصدها كانت في حي المعادي بكثافة ، فإن التنظيم اختار أن تتم العملية في مكان بعيد عن عمليات المراقبة المكثفة في المعادي . ولهذا وبعد مشاورات عديدة تم اختيار أحد منحنيات شارع كورنيش النيل أمام منطقة مصر القديمة وأسفل كوبري العاشر من رمضان .

* * *

في الليلة السابقة على تنفيذ العملية ، قام أعضاء التنظيم بتجربة تمهيدية في نفس المكان الذي تم اختياره لتنفيذ العملية . قاد محمود سيارته وانحرف فجأة باتجاه إحدى السيارات التي كانت تمر مصادفة . ولكن دون إحداث أية إصابات . ونجحت التجربة . وتعرف كل فرد في التنظيم على دوره . وبعد انتهاء التجربة ، توجه الجميع إلى شقة محمود الكائنة بشارع الشهيد مصطفى حلمي بمصر الجديدة .. حيث قضوا الليل معه ، أما السيارة فقد تركوها بمنطقة أرض الجولف .

● ● ●

وفي الصباح الباكر .. أدوا جميعا صلاة الفجر ، وماهي إلا دقائق معدودة حتى كان كل شيء قد جرى إعداده ، حقائب السلاح .. الشوارب وباروكتي الشعر المستعار اللتين تنكر بهما جمال عبدالحفيظ ونظمي شاهين . أما محمود نورالدين فقد ارتدى طاقية من الجلد المبطن أخفت ملامح وجهه . نزل الجميع من شقة محمود ، وكانت لغة الإصرار والتحدي هي التي تجمعهم . استقلوا سيارتين : البيجو الزرقاء

٣٠٥ والتي اشتراها جمال عبدالحفيظ من أحمد عصام ، وكان يقودها جمال ، والأخرى سيارة فولفو قام نظمي بقيادتها . توجه الخمسة إلى مكان السيارة البيجو « استيشن ٥٠٤ » حيث تولى محمود قيادتها . ثم توجه الجميع بالسيارات الثلاث إلى نهاية شارع المنصة بمدينة نصر عند التقاطع المؤدي إلى طريق السويس . تم نقل حقائب السلاح إلى السيارة الاستيشن . وتم تغيير أرقام اللوحة المعدنية . وعند منطقة رابعة العدوية تركوا السيارة الفولفو . وساروا جميعا بإتجاه طريق صلاح سالم . وهناك عند أول شارع الأزهر ـــ تركو سيارة جمال عبدالحفيظ البيجو الزرقاء ، وواصلوا سيرهم باتجاه طريق المحاجر المؤدي لكوبري العاشر من رمضان . وقبل أن يصلوا إلى الكوبري توقفوا بالسيارة عند هيئة النقل العام القريبة من المكان . حيث نزع الزجاج الخاص بالناحية اليسرى للكابينة الخلفية بإطار الكاوتشوك . وجرى وضعه داخل السيارة . وبعد ذلك تمت عملية استكشاف منطقة تنفيذ العملية عبر المرور فيها لأكثر من مرة ، وذلك بهدف تأمين المكان .

* * *

كانت عملية التنفيذ تقتضي تجهيز بندقيتين آليتين ، ووضعهما في الحقائب المعدة ، حيث تقرر أن يتعامل نظمي وحمادة مع « الهدف » من خارج السيارة ، وتحدد مكان وقوفهما أسفل الكوبري .. بينما حدد مكان سامي في الجهة اليسرى من الخلف بجوار الزجاج المنزوع .. في حين تسلم كل من محمود خلف ، جمال عبدالحفيظ بندقيته الآلية .. واحتفظ محمود لنفسه بمسدس كولت (٣٨) .

ووفقا للخطة ـــ كان مقرراً أن ينتظر محمود بالسيارة عند أول الميدان السابق على المنحنى ، والكائن بجوار محطة بنزين التعاون . بحيث يسهل له رؤية السيارة الهدف قبيل وصولها بوقت كاف وملاحقتها ومطاردتها إلى حيث يقف نظمي وحمادة في آخر الميدان بأسفل الكوبري على بعد أمتار قليلة من المنحنى .

وخلال تلك الفترة ، حدثت بعض الملابسات التي لم تكن في الحسبان . فقد شاهد محمود رجل مرور يقود موتوسيكلاً بالصدفة . وقد خشي أن يكون الرجل قد أكتشف عمليات التعديل التي تمت لأرقام اللوحة المعدنية للسيارة البيجو الاستيشن .

وهنا تحرك محمود من مكانه إلى الميدان . وفي ذلك الوقت كانت إحدى السيارات التابعة للسفارة الأمريكية تسير في الطريق . حملق فيها نظمي ، وقرأ الرقم الخاص بهذا النوع من السيارات ٥٧ دبلوماسية . رفع سلاحه استعدادا للمواجهة ، لكنه تردد بعد أن اختفى محمود من أمامه . لقد كانت السيارة تسير بالتوازي مع أحد الأتوبيسات . خفض سلاحه وأعاده مرة أخرى ـــ ولكن السيف سبق العذل .. فقد شاهده الأمريكيون وهو يرفع السلاح في مواجهتهم ، ثم مالبثوا أن انطلقوا باتجاه شارع القصر العيني .

ولأن محمود كان يتوقع حدوث ذلك . فلم يعر الأمر اهتماما ، فهناك أهداف أخرى في الطريق .

وفجأة ظهرت على السطح سيارة أمريكية بيجو ٥٠٥ ، وبسرعة البرق وقف الجميع على استعداد .

* * *

في هذا الوقت الباكر من الصباح كان « دينيس ويليامز » البالغ من العمر ٤١ عاما يصطحب معه في السيارة كلا من « جون فورد » وهو في العقد الرابع من عمره و« جون هوكي » والذي يبلغ نحو ثمانية وثلاثين عاما وجميعهم يعملون بالسفارة الأمريكية . لقد غير « دينيس ويليامز » مسكنه مرات عدة منذ مجيئه إلى القاهرة بالرغم من أنه التحق بالعمل في مصر في ١٩٨٦/٨/١٢ . وهذا يعطي مؤشرا على أن ويليامز ومن معه ، لم يكونوا أشخاصا فوق مستوى الشبهات .

عند السابعة صباح ذلك اليوم كانت السيارة البيجو الأمريكية قد وصلت إلى منحنى مصر القديمة بعد أن تأكد محمود أن العناصر الثلاثة هي ذاتها المستهدفة وبعد أن تيقن من عدم وجود سائق مصري معهم ، إتخذ قراره السريع ، وأصدر أوامره بالتعامل ضدهم . صدم محمود بسيارته الجانب الأيمن للسيارة البيجو . وظل في هجوم متواصل . بينما سامي وجمال يطلقان الرصاص على السيارة ومن فيها . فجأة تنبه الأمريكيون إلى مايحدث . فقام « دينيس ويليامز » قائد السيارة الأمريكية بالانطلاق بأقصى سرعة بهدف تفادي الطلقات المنهمرة . وظل متحكما في السيارة ، وانحرف بها في الطريق المعاكس باتجاه المعادي عند المنحنى . حدث أن أصيب حمادة ، وسقطت الخزنة الخاصة بالبندقية الآلية التي كان يحملها ، مما أدى إلى ارتباكه . وكذلك الأمر بالنسبة لنظمي الذي ارتبك هو الآخر . أما محمود فقد واصل مهاجمة السيارة الدبلوماسية ، وأطلق عليها رصاص مسدسه وتركها مصطدمة بالرصيف ، والتف وعاد لالتقاط نظمي وحمادة حيث ركبوا إلى جوار جمال عبدالحفيظ .

● ● ●

عندما صعد حمادة إلى السيارة كانت الدماء تنزف من جبهته وكتفه بغزارة . فقد أطلقت عليه الرصاص سيارة أمريكية كانت قادمة بالصدفة خلف السيارة الأولى . وأثناء عملية تبادل الرصاص كانت سيدة مصرية تحذر نظمي من بعض الرصاصات التي كانت توجه إليه ، بينما راح رجل يرتدي الجلباب في رفع عمامته ابتهاجا وهو يصرخ بصوت عال : الله أكبر ــ الله أكبر ! بينما علت أصوات آخرين تحيا مصر ــ تحيا مصر .

لقد أدرك محمود نورالدين وهو يستمع إلى الهتافات من المارة أن الكراهية مترسبة في أعماق المصريين ضد الوجود الأجنبي الإسرائيلي ، والأمريكي على وجه

التحديد ، وأيقن أن صوت ثورة مصر قد وصل بالفعل إلى الغالبية الفقيرة من أبناء الشعب . وبينما هو يأخذ وجهته إلى الأمام صادف صبيا قادما في مواجهته ، فأبطأ سرعة السيارة وأعطاه صورة للزعيم الراحل جمال عبدالناصر وطلب منه أن يسلمها للمواطنين المتجمعين في الخلف .. وكان يقصد مكان الحادث .

● ● ●

عند كوبري الملك الصالح إنحرفت السيارة بإتجاه طريق صلاح سالم ــ حيث نزل جمال وسامي عند مدخل شارع الأزهر بالدراسة ، وتحديدا في المكان الذي تركت فيه السيارة البيجو ٣٠٥ ، الزرقاء اللون وقد كلفهم محمود بسرعة توزيع البيان الرابع والذي أعد صباح اليوم ، وقبل تنفيذ العملية .

واصل محمود سيره عبر طريق صلاح سالم ، حتى طريق المنصة .. ومن هناك تولى نظمي قيادة السيارة الفولفو الزرقاء وتم نقل حمادة إليها .

وعلى الفور نزع محمود اللوحة المزورة الخاصة بالسيارة البيجو التي تمت بها العملية ووضعها مع السلاح في السيارة الفولفو . وانطلقا بالسيارتين إلى شارع الطيران بمدينة نصر ، حيث جرى ترك السيارة البيجو هناك وتم وضع الغطاء فوقها .

وعلى الفور تم نقل حمادة إلى منزل محمود بمصر الجديدة . وقد عاد محمود ونظمي للسيارة البيجو الفستقي مرة أخرى عندما شكا في احتمال أن يكون بعض المارة قد شاهد السيارتين معا ، فنزع محمود الغطاء من فوقها ، وقادها إلى مكان بالقرب من شارع مكرم عبيد ووضع عليها الغطاء من جديد ، وفي أعقاب ذلك استقلا السيارة الفولفو عائدين إلى مكان حمادة . وبعد عودة محمود حاول الإتصال كما قال بصديقه الدكتور مختار عبدالحميد ، بعد أن فتش كثيرا في أوراقه القديمة حتى يعثر على رقم تليفونه وذلك بسبب انقطاعه عنه لفترة طويلة .

وبعد الاتصال بالدكتور مختار ، طلب منه محمود سرعة الحضور لحاجته الماسة إليه ، حاول مختار أن يعتذر ، قدم مبررات كثيرة ولكن دون جدوى . كتب العنوان ، وقدم إلى شقة محمود .. فوجىء بالوضع فحاول أن يتضل من الأمر وأبدى لمحمود غضبه ، لأنه لم يكن يعرف شيئاً عن هذا الذى حدث . إلا أن محمود رد عليه بأن ليس أمامه خيار آخر وإنه لا يتنبأ بما يمكن أن يقدم عليه اعضاء التنظيم إذا ما تخلى عن مهمته . ولم يكن أمام مختار إلا أن يستجيب ، تأمل الجرح فشعر للوهلة الأولى أن العلاج يجب أن تسبقه أشعة ، ولهذا لم يقدم على شيء سوى تضميد الجرح !

في تلك الاثناء اتصل سامى فيشه تليفونياً بمحمود نور الدين ، وافهمه إنه قام بتوزيع البيان على بعض الصحف ، ولكن لم يتمكن من توزيعه على وكالات الأنباء نظراً لشدة الحراسة السرية المفروضة ، وهنا طلب منه محمود العودة نظراً لوجود مسدس معه ، وذلك خوفاً من أن يكتشف ، فيقود إلى كشف التنظيم كله . وبالفعل عاد سامى ، وقام محمود بالاتصال ببعض الوكالات تليفونياً ليبلغها تبنى منظمة ثورة مصر الناصرية للحادث .

بعد مرحلة الابلاغ ، بدأ محمود يجرى اتصالاته بكل اتجاه في محاولة لعلاج حماده بأية صورة . فقد كان الألم رهيباً ، والدماء لا تزال تنزف .

اصطحب محمود زميله حماده إلى عيادة د . جمال شوقى عبد الناصر ، تقابل هناك كما قيل بالصدفة مع صديقه القديم د . شريف حسين الشافعى ، وكما قال محمود فإن جمال شوقى عبد الناصر كان ثائراً لاحضار حماده إليه ولكن بعد الضغط وافق على علاجه ، بينما قال حماده شرف الدين إن د . جمال رحب منذ البداية واشترك معه د . شريف الشافعى وإن ذلك تم بحضور خالد عبد الناصر وأن خالد قدم إليه شريط طلقات نارية وتحدث معه بشأن هذه الطلقات .

لقد قال محمود في التحقيقات إنه لم يبلغ جمال وشريف أن حماده أصيب في حادثة الأمريكيين ، وإنما أكد لهما أنه أصيب بطلق نارى أثر خناقة تمت بينه وبين آخرين .

كما قيل إن جمال اقترح أن يقوم بعمل اشعة خلسة بمستشفى الهيئة العربية للتصنيع التى يعمل بها ، وإنه تم عمل الأشعة بعد ذلك بعد احضار جهاز لهذا الغرض . وإنه نجح بمعاونة د . شريف الشافعى في علاج حماده شرف الدين .

وهكذا أسدل الستار على العملية الأخيرة التى اطلق عليها التنظيم « ليلة القدر » !

• • •

ليـــلة القبـــض على الجميـــع

في الصباح الباكر ، يصحو محمود نور الدين كل يوم ، إنها عادة يومية ارتبط بها ، وارتبطت به ، كان محمود يعيش في حالة قلق دائم ومستمر .. قلق على الوطن ، وقلق على الأبناء .. ولكن الابناء عادوا من السويد مع والدتهم منذ عدة أشهر ، ربما يكون هذا قد خفف من حالة القلق التى كان يعانيها .. كان يقوم بزيارة بناته حوالى ثلاث أو أربع مرات أسبوعياً ، يخرج معهن يتذكر الماضي حلوه ومره .

في هذه الليلة نام محمود نور الدين مبكراً ، لم يدر لماذا .. مع أن هذه ليست عادته . نام وحيداً هذا اليوم .. بعد أن انصرف الجميع كل إلى داره .

شقيقه أحمد عصام كان مرتبكاً بعد عصر اليوم ، جاء إليه ، وكأنه يتمم على شيء .. باع سيارته الشيفروليه ولم ير محمود في ذلك جديداً .. ارسل اعلاناً إلى الأهرام يعرض فيه بيع مصنعه للطوب الرملي .. دون أن يعلم محمود ، وحتى إن علم فليس في الأمر شيء .. كثيراً ما تحدث عصام عن أنه غير قادر على تجديد بعض آلات المصنع ، وأن انتاجه لم يعد مربحاً . لقد منح زوجته توكيلاً بكل شيء

استعداداً للخطة الحاسمة ، ولم ينس أن يطلبَ منها ألا تتحدث في هذا الأمر مع أي إنسان .

● ● ●

لقد قيل أن اجهزة الأمن لم تعلم بالقضية إلا صباح يوم ١٩٨٧/٩/١٦ وأن الرئاسة هي التى أبلغت ، بعد أن قام فرانك ويزنر السفير الأمريكي بتسليمها « ملف كامل » يحوى الأسماء والعناوين والاتهامات . تم تكليف إحدى المجموعات الخاصة برئاسة الجمهورية للقيام بعملية القبض ، وتعاونها في ذلك أجهزة الأمن الأخرى .. وبالفعل وفي فجر السابع عشر من سبتمبر ١٩٨٧ ، كان كل شيء قد أعد . وأصبح الأمر متوقفاً على التنفيذ .

في ذلك اليوم فقط . وضعت أرقام تليفونات الأعضاء تحت المراقبة للتسجيل من قبل أجهزة الأمن ، ولذلك لم يتم إلا تسجيل مكالمة واحدة لمحمود نور الدين .

● ● ●

شعر محمود بقوات الأمن في الطريق إليه .. فكر بسرعة للتصرف .. وقبل أن يفكر كان شقيقه أحمد عصام الذي رافق القوات ، قد فكر هو الآخر ..

إن شقيقه محمود يترك دوما بلكونة شقته مفتوحة في فصل الصيف ، ولهذا يمكن شل حركته قبل أن يقدم على أي شيء .. قام بعض رجال الأمن بالالتفاف من الخلف ، ودخلوا شقة محمود .

في تلك اللحظات ، كانت عيون محمود مركزة على هؤلاء الذين في مواجهته ، ولم يتطرق إلى ذهنه أن آخرين قد يأتون إليه من الخلف . أمسك بسماعة التليفون ، طلب رقماً يحفظه جيداً ، إنه رقم شقيقته ، قال لها : إن قوات الأمن تحاصرنى بسبب « تنظيم ثورة مصر » .. خلي بالك من الأولاد ! .

كانت تلك هي فقط العبارة التى قامت قوات الأمن بتسجيلها لمحمود نور الدين ، وغير ذلك تم تسجيله عبر السفارة الأمريكية في القاهرة .

وقبل أن ينهى محمود كلماته ، كانت المجموعة الخلفية قد ألقت القبض عليه .

ثم فتح الباب ودخل الآخرون . هتف محمود بأعلى صوته : تحيا مصر ـــ ولم يكن جباناً في مواجهته للموقف . بعد تفتيش المنزل تفتيشاً دقيقاً بحضور النيابة وكبار رجال الأمن ، اقتيد محمود إلى مكان مجهول لا يعرفه .

وفي ذلك الوقت كانت قوات أخرى تلقى القبض على الآخرين . واقتادوهم جميعاً .. لبدء التحقيق .

● ● ●

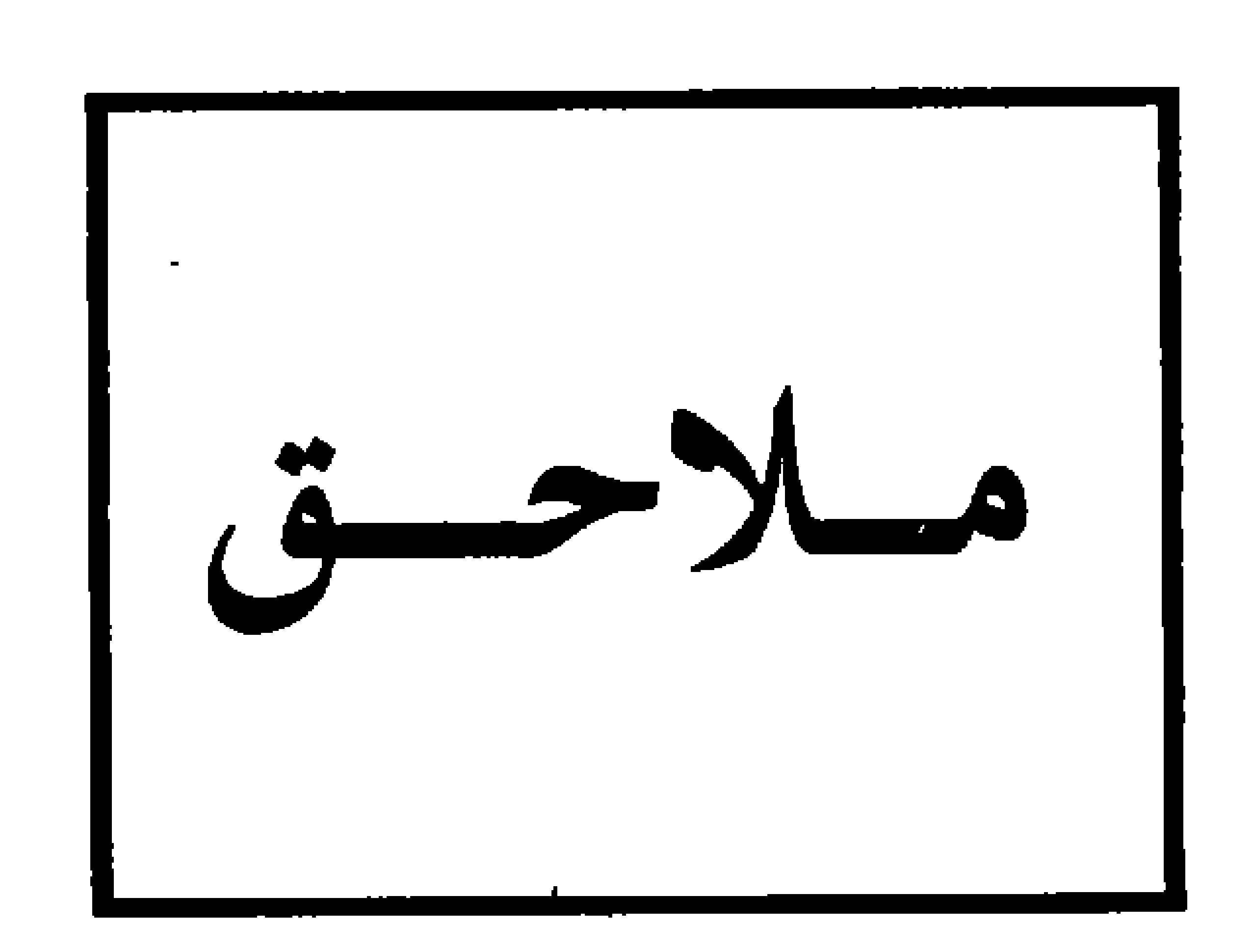
تم نقل المتهمين إلى ملحق سجن مزرعة طرة ، وهو سجن يقع إلى الجنوب من القاهرة ، وتحديداً بعد منطقة المعادى بنحو كيلو مترين . كان القرار حبسهم انفرادياً ، لكن ذلك لم يمنع من الكلام والاتصال عبر الزنازين . ومنذ السابع عشر من سبتمبر كان الجميع يخضعون للتحقيقات أمام نيابة أمن الدولة العليا بمنطقة الجبل الأخضر .

تأتى السيارات في الصباح والمساء وتحملهم من سجن مزرعة طرة ، وإلى الخلف عبر طريق الأوتوستراد إلى أن تصل إلى سراى النيابة . وقد ظلت فترة التحقيقات نحو ثلاثة أشهر تقريباً .

وفي خلال ذلك كثر الحديث عن محاولات عدة للموساد تهدف إلى اغتيال محمود نور الدين وزملائه ، إلا أن ذلك ظل في حدود الكلام والأقاويل .

والقضية الآن .. أمام القضاء .

● ● ●



ملاحق

١ ـ محمود نور الدين يتحدث من داخل أسوار السجن*

● قلت : لماذا اختار التنظيم أسلوب العنف كخيار وحيد في التعبير عن مواقفه ؟

ــ تسألني عن العنف .. وأنا أقول إنه بل أن نسأل لماذا لجأنا إلى الكفاح المسلح في مواجهة جواسيس اسرائيل والولايات المتحدة أود أن أؤكد أن هذا رد على أساليبهم وارهابهم المنظم ضد شعبنا العربي في كل مكان .. نحن لجأنا إلى الكفاح المسلح لأننا نعرف إنه السبيل الوحيد للتعامل مع عناصر المخابرات الإسرائيلية والأمريكية والتي لا هم لها سوى التجسس على مصر وأمنها القومي .. لقد لجأنا إلى هذا السلاح حتى نوقف هذا الزحف التجسسي الخطير على مصر وحتى نرد على عملياتهم الارهابية التي لن ننساها أبداً .

● البعض يقول إن ذلك من شأنه تعكير صفو الاستقرار في البلاد ؟

ــ إننا لم نتخذ أية مواقف عدائية ضد النظام بل بالعكس لقد أيدنا في كافة بياناتنا مواقف الرئيس مبارك ورجوناه الغاء اتفاقات كامب ديفيد أس البلاء وقلنا منذ البداية أيضاً : إن هدفنا هو مطاردة عناصر الموساد والسي ــ آى ــ إيه بعد أن قامت هذه العناصر بجمع معلومات تجسسية تضر بأمن مصر القومي .

● إذن أنت تعتقد أن ذلك يخدم مصر وأمنها ولا يضره ؟

ــ نعم ، أنا أعتقد ذلك ، والكل يعرف أن هذا صحيح ولهذا فقد أكدت أنا وزملائي في محاضر التحقيق أنه من الشرف لنا أن نوجه رصاصاتنا إلى صدور المعادين لمصر ولشعبها ... في وقت تحاشينا فيه بكل قوة توجيه رصاصة واحدة إلى أى مصرى

---

* الحديث الذى أجراه المؤلف مع محمود نور الدين وهو في السجن ونشر بصحيفة « الوفد » في عددها الصادر يوم ١٩٨٨/٢/٢٥ .

لقد كنا نراعى ذلك ونحرص عليه .. فنحن حددنا أهدافنا في الصهاينة والأمريكان .. ومن ثم أخذنا على أنفسنا العهد منذ البداية على عدم توجيه أية رصاصة إلى أي مصرى ، حتى ولو أدى ذلك إلى خسائر في حياتنا .. ولو كان الثمن حياتنا جميعاً .. وتأكيدا على ذلك أود أن أؤكد أنه أثناء محاولة اغتيال زيفى كيدار في ١٩٨٤/٦/٤ حدث أن تبادل معنا بعض الحرس المصريين إطلاق الرصاص ورغم أننى كدت شخصياً أفقد حياتى ثمناً لموقفنا ذلك .. فإننى صرخت في جميع زملائى بألا يطلقوا الرصاص تجاه الحارس المصرى .. ولو لمجرد التخويف .. حتى لا نقع في دائرة المحظور .. وهكذا نجحنا برغم أن زيفى كيدار لم يقتل ، وكان بإمكاننا قتله ، لو تعاملنا مع الحرس المصرى بالرصاص .

● وما هى حكاية الهيروين والنساء ؟

ــ قطعاً إنها محاولة رخيصة ، الهدف منها تشويهنا والتغطية على هدفنا النبيل ، الذى أثق أن غالبية الشعب المصرى ، بل كل الشعب المصرى يقف معه خصوصاً في ظل الوضع الراهن الذى تقوم فيه اسرائيل بممارسة أبشع أنواع القمع والتنكيل ضد العزل من أبناء الشعب الفلسطيني . وأود القول أن الذين يتهموننا بتعاطى الهيروين هم أول من يعلمون كذب هذا الأدعاء . فهل يعقل أن نصمد جميعاً داخل السجن كل هذه المدة دون هيروين لو كنا نتعاطاه من الأصل .. أن المدمن لا يمكن أن يعيش بعيداً عن المخدرات .. فما بالك بمن يتعاطى الهيروين .. إننا نذهب إلى المحكمة في صحة وعافية فأين الهيروين وتأثيره .. وهل يعقل أن أناساً يتعاطون الهيروين كان لهم أن يقوموا بمثل هذه الأعمال البطولية التى قمنا بها ، إننا لم نصب ولا مصريا واحدا .. فهل هذه الأيدى الثابتة لأجسام تشم الهيروين ، أم أنها أيد واثقة مؤمنة ، لقد كنا نصلى لله سبحانه وتعالى قبل أن نقوم بأي عمل أما غير ذلك فهى إشاعات ، الشعب المصرى تعود عليها ، لكنه سرعان ما يكتشف زيفها . إننى أدعو إلى توقيع الكشف الطبى علي وعلى زملائى لتتضح حقيقة ذلك . صدقنى

إن الحملة الاعلامية الحالية ضدنا هي حملة مسمومة لا تخدم سوى أعداء الشعب من الأمريكيين والإسرائيليين خصوصاً وإنهم سعوا كثيراً من أجل ضرب ثورة مصر لكن محاولاتهم باءت بالفشل . إن من حقى أن أسأل الجميع ، وبمن فيهم مكرم محمد أحمد لمصلحة من يحدث ذلك .. مع أنكم تعلمون أن ولاءنا لمصر مائة في المائة .. لقد أرسلت باقة ورد إلى مكرم محمد أحمد رغم علمنا بأنه زار إسرائيل وأجرى أحاديث صحفية مع قادتها ، وهذا يعطى دلالة أكيدة على سعة أفق التنظيم ورفضه إطلاق الرصاص على أي مصرى أيا كان الأمر .

● ولكن شقيقك عصام قال : إنه كان في نية التنظيم التخطيط لاغتيال بعض الشخصيات المعادية لفكر عبد الناصر ؟

ـ هذا كلام لا أساس له من الصحة ونحن ضد ذلك على طول الخط ونؤمن بأن الخلاف في الرأى لا يفسد للود قضية .. فقط نحن حددنا هدفنا ومنذ البداية في اغتيال الإسرائيليين والأمريكيين ، لقد قلت لك أن ولاءنا مصرى مائة في المائة فهل يمكن أن نقتل مصرياً . لقد بحثوا عن علاقة ما قد تربطنا بنظام معين لكنهم لم يجدوا .. إن عملنا هو عمل وطنى من الدرجة الأولى أردنا به مساندة السلطة في مقاومتها للضغوط التى تفرض عليها من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل ، خصوصاً ما يتعلق منها بموضوع التطبيع .

● في اعتقادك لماذا بلغ شقيقك عصام السفارة الأمريكية ؟

ـ عصام شخص مادى .. وقد أبعدته مؤخراً عن التنظيم وهو لا يعرف أشياء كثيرة عنه وقد أدعى في محضر أقواله إدعاءات كثيرة باطلة .. وقد وقع ضحية للخديعة الأمريكية ، وها هو يدفع الثمن فلم يعف من قرار الاتهام برغم موقفه .

● لقد تحدث عن دور لخالد عبد الناصر في عملية تمويل التنظيم ؟

ـ يشرفني أنني صديق للدكتور خالد عبد الناصر نجل الزعيم الراحل ، وهذه الصداقة ليست وليدة اليوم وإنما هي صداقة قديمة ترجع إلى أيام لندن ، حيث كان خالد يقوم بتحضير الدكتوراه بالكلية الملكية ، ولا علاقة لخالد بتمويل التنظيم أو خلافه . ولم يكن يعلم من أمره شيئاً .. وإن كنت أثق في وطنيته إلا إنني أؤكد أنه ليس لديه علم بما حدث .

● إذن من أين جرى تمويل التنظيم ؟

ـ إن الجميع يعرفون أن حالتي ميسورة منذ أن كنت أعمل بمكتب المخابرات العامة بالسفارة المصرية بلندن ، وقد كنت اتاجر في العقارات بلندن وقد جمعت من وراء ذلك مبالغ كبيرة ، وعموماً كل ما تم صرفه على التنظيم من شراء سيارات وأسلحة وخلافه لا يتجاوز الخمسين ألف جنيه وأنا لم أكن في حاجة إلى تمويل من أحد ، أما ما يدعيه شقيقي عصام من أموال كانت ترد إلينا من خالد عبد الناصر وخلافه ، فاقول له لو أن الأمر هكذا ، إذن لماذا لم امنحك مبلغ العشرين ألف جنيه الذى طلبته مني والذى كان سبباً في إطلاق الرصاص عليك بعد أن هددتني بالابلاغ عن التنظيم . إنها حكايات لا أساس لها من الصحة . فالجميع وطنيون وكانوا على استعداد لتقديم حياتهم في أي لحظة ثمناً لهدفهم فهل أمثال هؤلاء في حاجة إلى المال ..

● بماذا تعلل قبول كل من فاتحته بأمر التنظيم ؟

ـ هذا يؤكد أن كل شعب مصر ضد إسرائيل . تصور أن واحداً لم يعترض على ذلك ، الجميع وافقوا رغم خطورة العمل ـ إن هذا يؤكد كما قلت أن كل المصريين وطنيون بطبيعتهم . تصور أن أخي سيد فيشه الكهربائى الذى كان يقوم بعمل الكهرباء في شقتي ما أن فاتحته بأمر التنظيم حتى وافق على الفور .

● ولماذا الأمريكيون في دائرة اهدافكم ؟

ـ نحن لم نوجه رصاصنا إلى أي أمريكي أيضاً . فقد وجهنا الرصاص إلى من أشتبهنا في كونهم ينتمون للمخابرات المركزية . لقد أردنا أن نمحو العار الذى أرتكبوه في حقنا بعد أن قاموا بخطف الطائرة المصرية المدنية التى كانت تقل الفلسطينيين الأربعة عقب عملية أكيلى لاورو .

● كيف تنظر إلى مستقبل قضيتك وأخوانك ؟

ـ قطعاً أنا واثق في حكم القضاء العادل خصوصاً وأن قرار الاتهام لم يحو تهمتى التخابر أو قلب نظام الحكم ، وإنما فقط قتل الإسرائيليين والأمريكيين وهذا شرف لنا .. وسوف افضح في المحكمة دور الموساد الإسرائيلى وخصوصاً الشخصيات التى وجهنا إليها رصاصاتنا هل تتصور أن اتراكشى الذى اغتيل على يد ثورة مصر كان مسئولا عن الموساد في أوروبا الغربية ونجح في تجنيد البعض للتجسس على مصر .. وأنه قد فقأ عيون أكثر من ١٤٩ أسيراً مصرياً أثناء حرب أكتوبر ، أوَ بعد كل هذه الجرائم يريدوننا أن ننسى ؟ كيف ؟ .. إن كل من ارتكب جريمة في حق مصر لن ينسى له الشعب المصرى جريمته . كما لن ننسى له دفن الشباب الفلسطينى أحياء في المقابر .. إننى من هنا من داخل السجن احيى إنتفاضة الشعب الفلسطينى البطل .. وأقول لهم إن جريمة اسرائيل سوف تظل محفورة في ذاكرة الجميع .. مهما تكن التضحيات وإن التاريخ سوف يثبت أن الصراع بيننا وبين إسرائيل هو صراع أبدى .. وليس صراعاً مؤقتا وإن انهاءه يجب أن يتم لمصلحة أصحاب الحق الشرعى الوحيد فهذه ارضنا وهؤلاء هم أعداؤنا .

● ● ●



٢ ـ نادية حسن سرى تتحدث
عن مطلقها محمود نور الدين*

نادية حسن سرى .. اسم ارتبط بقضية ثورة مصر .

.. الروايات تعددت حولها .. واستغلها البعض لصالح تشويه زوجها السابق محمود نور الدين قائد تنظيم ثورة مصر .. إنها هادئة الطباع .. تبدو عليها مسحة من الاورستقراطية والجمال .. ليست متحدثة .. وتبدو في نفس الوقت قوية الشخصية .. يرتبط في عقلها معنى واحد لاخيار ولا بديل عن محمود نور الدين .

● فأجابتها ولماذا ؟

ــ ردت على الفور ، وكأنها تحفظ الاجابة : محمود بالنسبة لي هو المستقبل ، حتى لو افترقنا .. إنه ذكرى الماضي الجميل ، وإن واجهته المشاكل والخلافات ، والتى هي شيء طبيعي يحدث داخل أي أسرة .. كما أنه بالنسبة لي أيضاً أب لبناتى الثلاث ، فكيف يكون هناك خيار أمامي غير محمود نور الدين .

● ولكن انفصلتما منذ سنوات ؟

ــ صدقنى إننا لم ننفصل أنا ومحمود ومازال حب محمود في قلبى كما هو حتى بعد أن اختلفنا ولم يتغير ، ولم يتبدل ، ولن يفرقنا سوى الموت .

● لقد قالت الصحف إن أسرتك رفضت اقترانك به في بداية الأمر بسبب حالته الاقتصادية السيئة ؟

ــ هذا كلام غير حقيقي ، وماذكرته الصحافة المصرية في هذا الخصوص للأسف لا أساس له من الصحة ، لقد أحببت محمود منذ أن تعرفت عليه في عام ١٩٦١ .. وكنت تلميذة بالإعدادى .. أحبنى محمود وأحببته ، أراد أن يخطبنى في هذا الوقت

---

* الحديث الذى أجراه المؤلف مع نادية حسن سرى مطلقة محمود نور الدين ونشرته صحيفة « الوفد » فى عددها الصادر يوم ٢٧ / ٢ / ١٩٨٨ .

فقلت له إننى أريد أن أنهى دراستى أولاً .. سافر هو إلى لندن واكملت أنا دراستى ، وتعاهدنا قبل أن يسافر على ألا نفترق .

حصلت أنا على بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية في عام ١٩٦٧ ، وحصل محمود على بكالوريوس إدارة الأعمال بجامعة لندن في العام ذاته .. وفي هذه المرة كانت الأجواء مهيأة .. وتزوجنا سوياً لنقضى أحلى أيام العمر بعد ذلك .

● تقولين احلى أيام العمر .. ماالذى جذبك إلى محمود ؟

ـ محمود شخصية اسطورية .. شعلة من الذكاء .. ذو شخصية قوية جداً .. خفيف الظل « سريع البديهة .. اجتماعى وكريم جداً معى ومع الجميع .. طيب القلب » يبكى إذا حدث مكروه لعزيز عليه .. يرفض الظلم ، ويرفض الذل .. كرامته فوق كل شيء .. كنت أحب فيه الوطنية المصرية الصميمة .. أحببت فيه ولاءه وحبه الشديد لمصر .. مستعد طول الوقت للتضحية بكل شيء من أجل مصر ولم يتغير على الإطلاق ومنذ أن عرفته لم يضربنى على الاطلاق ..

● رددت الصحف أنه يعتدى عليك بالضرب أحياناً ؟

ـ الشخص الطيب وصاحب القلب الكبير ، لا يضرب زوجته ولا يحاول اذلالها .. قد يختلف معى في رؤيته لشيء معين وهذا أمر طبيعى يحدث في كل البيوت أما الادعاءات التى يرددونها فهي كاذبة وأعرف لماذا يرددونها ؟ ! أنهم يريدون تشويه كل شيء جميل في محمود نور الدين .

● لكن البعض يقول إن محمود عنيف في طبعه ؟

ـ محمود ليس عنيفاً فقد يبدو في بعض المواقف عصبياً ومثل هذا الأمر ليس غريباً إننا جميعاً عصبيون بسبب مشاكل العصر . أو قد نكون عصبيين عندما نثار في مواجهة شيء ما .

● وحكاية تجارة الكوكايين والهيروين ؟

ــ أنا مندهشة .. صدقني والله مندهشة وأسال الذين يرددون هذه المزاعم : هل يعقل أن يسعى الاعلام إلى تشويه محمود إلى هذه الدرجة ؟ ! وهل يعقل أن محمود نور الدين يتاجر في الهيروين أو يتعاطاه ؟ إن هذا الأمر غير معقول إننى أعرف زوجى خير المعرفة .. إنه في رأيى إنسان مثالى بكل المعايير لكنهم ماذا يمكن أن يقولوا عنه غير ذلك ؟ إنها مأساة .

● والحديث عن علاقاته النسائية ؟

ــ هذا كلام يؤسَف له أيضاً .. إن محمود شخص مستقيم ولا يعطى مثل هذه الأمور أية أهمية ، إنه انشغل طوال فترة زواجى بوطنه . إنه يحب مصر إلى درجة العبادة وكان دائماً يحدثنى ويقول : « نفسى يانادية أموت في سبيل بلدى » وكان يتحدث دوماً عن مصر في الغربة وكنت أشعر في بعض الأحيان أنه يريد أن يبكى عندما يتذكر الوطن وحدثنى دوماً عن نواياه في العودة إلى مصر ، وكان يقول لي : « أريد أن أربى بناتى تربية مصرية وعلى أسس دينية سليمة وأعلمهم اللغة العربية الصحيحة » .

● يقولون إنه شوه وجهك أثناء خلافه معك ؟

ــ إن وجهى أمامك فهل تراه مشوهاً ؟ إن الصحف الحكومية تتخوف من نشر صورتى حتى لا يكشف الستار عن الإدعاءات الزائفة بأن وجهى قد شوهه محمود نور الدين واتحداهم أن ينشروا صورة وجهى من جميع الأوصاف ليعرف الرأى العام حقيقة مزاعمهم .

● كيف كانت طبيعة علاقته ببناته ؟

ــ أنا لى ثلاث بنات وأنا لا أعتقد وأكاد اجزم بأنه ليس هناك أب يرعى بناته في الدنيا كما رعاهم محمود نور الدين ، إنه يحبهم حباً كبيراً وكنت اندهش دوماً وأقول : هل هذا معقول ؟ أوَ تحب بناتك إلى هذه الدرجة يامحمود ؟ لقد كان يعمل

على توصيلهم بنفسه يومياً إلى المدرسة إن بناته يحفظن آيات عديدة من الذكر الحكيم وكان محمود يقوم بتحفيظها لهن وكانت داليا في سن ٤ سنوات وعدة أشهر تقرأ الفاتحة وسورة « قل هو الله أحد » قبل أن يذهب بها أبوها إلى المدرسة .. وكانت تتلو على أبيها كل يوم آيات القرآن حتى يقوم بتوصيلها إلى المدرسة وكان يتألم لآلام بناته وإذا مرضت إحداهن ، كنت أشعر أن الدموع تكاد تنطلق من عينيه ، واعتاد في أيام العطلات اصطحاب بناته إلى الحدائق والملاهى ويظل يجرى خلفهن لمداعبتهن ويقوم على خدمتهن في كثير من الأمور التى تقوم بها الأمهات عادة .. إن حبه لبناته يطغى على كل شيء ، لقد دخل علىّ المنزل في يوم من الأيام ، ووجدنى « أقرص » ابنتى الكبيرة في كتفها ، وأقول لها : « قومى من على الكرسى .. إذا كنت لا تريدين أن تأكلى » ووجدها محمود تبكى .. ونهرنى بحسم قائلاً : هذه هي المرة الأخيرة التى أراك فيها تمدين يدك على أي واحدة من بناتى » إنه يحبهن جميعاً ، ويشتاق اليهن بسرعة .. كنت أراه إلى جوارهن كأنه أخ وصديق قبل أن يكون أباً ، فهل مثل هذا الرجل يمكن أن يكون فظ القلب واللسان .

● في تقديرك .. لماذا قام محمود باغتيال الإسرائيليين والأمريكيين ؟

ــ كما قلت لك محمود إنسان وطنى ، وغيور على وطنه لقد ثار على زيارة الرئيس الراحل أنور السادات للقدس وظل غاضباً لفترة طويلة وأكد أن الزيارة لن تأتى بالسلام إلى المنطقة وأعلن رفضه لها واستقال من عمله وأسس مجلة « ٢٣ يوليو » في لندن وكان محمود يكره الظلم دوماً واعتقد أنه أراد الانتقام من الأعداء .

● وهل أنت فخورة به ؟

ــ نعم أنا فخورة به وحتى آخر يوم في عمرى .. محمود إنسان وطنى شريف : لم يقتل مصرياً . ولم يحاول السعى إلى قلب نظام الحكم ، ولم يتخابر مع أية دولة أجنبية إننى اعتز بزوجى واعتز برجولته وكرامته الابية .

● هل صحيح أن محمود قرر العودة إليك من جديد ؟
ـ نعم .. لقد قرر إعادتى إلى عصمته .

● وما رأيك ؟
ـ أنا لم اعتبر أن العلاقة انفصلت أو انتهت بينى وبين محمود .. هناك رباط أبدى بينى وبينه .. هو أولادنا .. فكيف انسى زوجى ؟ إننى متمسكة به حتى آخر العمر وإلى أن القى ربى .

● ألم تؤثر عليك عملية اتهامه بقيادة تنظيم ثورة مصر ؟
ـ بل تزيدنى تمسكاً به .

● ألم يتصل بك محمود منذ عودتك من السويد في يونيو ١٩٨٧ ؟
ـ لقد اتصل بى وزارنى وزار أولاده .. إن محمود لا يستطيع فراقنا أبداً .

● هل تعتقدين أن حالته المادية تسمح له بالصرف على التنظيم ؟
ـ نعم .. محمود حالته ميسورة جداً وتاجر في العقارات بلندن . وهي عملية مكسبة ومربحة واعتقد أن الكل يعرف ذلك .

● يقول البعض إنه استولى على مليون ونصف مليون دولار من الشيخ الفاسى ؟
ـ وهل الفاسي ساذج إلى هذا الحد « الفاسى » أسطورة في لندن فكيف يستولى محمود على هذا المبلغ ؟ أنا أرجو فقط أن يقولوا كلاماً يصدقه الناس وليس العكس .

● بماذا تعللين موقف شقيقه أحمد عصام ، الذى أبلغ عن التنظيم ؟
ـ أنا ليست لدى فكرة عن الأمر لإننى لم أكن موجودة في مصر .

● وما هي قصة العشرين ألف دولار التى تم تحويلها إليك من أموال خالد عبد الناصر ؟
ـ لم أكن أعرف صاحب التحويل .. ولهذا رفضت المبلغ وأبلغت البنك بذلك وهذا المبلغ بهدف مساعدتى وهذا يدل على طيبة قلب محمود وعمق الصداقة بينه وبين خالد عبد الناصر . ولكننى في كل الأحوال رفضت تسلم المبلغ .

● أسألك عن طبيعة العلاقة بين خالد عبد الناصر ومحمود نور الدين ؟

ـ لقد تعرفنا على خالد عبد الناصر منذ زمن طويل في لندن .. وكان شقيقه عبد الحميد يعمل معه في السفارة المصرية في لندن .. وقد كانت العلاقة بيننا وبين أبناء عبد الناصر واسرهم هي علاقة عائلية في المقام الأول .. كنا نتزاور ونتحاكى ولهذا أنا مندهشة الآن من تفسير العلاقة بين محمود وخالد ، وكأنها من العلاقات المحرمة ، أنهم اصدقاء منذ أوائل السبعينات ، ولا يزالون .

● يقولون أن محمود قتل شخصاً يدعى صلاح محمود أبو النور ، لشكه في وجود علاقة ما بينكما ؟

ـ أنا غاية في الاندهاش ولا أعرف هذا الاسم مطلقاً ولم اسمع بتلك الحكايات التي يرددونها .. أنا حزينة على حال الصحافة وأقول لهم : راعوا حرمات المنازل حرام عليكم هذا الذي تفعلونه فينا ، وفي مصر كلها .. اخضعوا لصوت العقل والضمير ، وكونوا موضوعيين .. اتركوا القضية للقضاء العادل ، ولا تصدروا احكامكم قبل أن ينطق القضاء بحكمه .. وكفى .. ارجوكم كفى .

ووضحت علامات التأثير الشديد على وجهها .

● الم يتحدث معك محمود عن مواقفه الوطنية قبل ذلك ؟

ـ أنا كما قلت أعرف أن محمود شخص وطنى .. كان يحلم دوماً باليوم الذى يقدم فيه حياته لمصر .. ولكن لم يحدثنى اطلاقاً عن عمله أو نشاطه .

● وأخيراً ما هو شعورك الآن تجاه كل ماحدث ؟

ـ أنا ثقتى بمحمود نور الدين لم تتغير ولن تتغير .. أنا فخورة به ، وبناته فخورات به ، وكل أسرته ، بل وكل مصر فخورة به لكن الشيء الذى أثر في ، هو محاولات التشويه المتعمدة وأنا أقول فقط الله يسامحهم . والتاريخ لن ينسى ولن يرحم .

● ● ●

٣ ـ آخر حديث مع خالد عبد الناصر قبل سفره إلى يوغوسلافيا*

لقد أجريت هذا الحديث مع خالد عبد الناصر قبل سفره إلى لندن بأسابيع قليلة ولم يكن قد جد فى الأمر يومها جديد .

وقصة الحديث لم تأت صدفة بل جاءت بعد مجهود شاق بذلته لمدة عام مع خالد عبد الناصر أحاول أن أقنعه بالكلام لكنه كان يأبى دوما وأمام رفضه كان هناك الإصرار من جانبى ولم يجد خالد عبد الناصر أمامه من بديل سوى إجراء الحوار وتم الحوار فى منزله الكائن بشارع الثورة بأرض الجولف بمصر الجديدة .

وهذا هو نص الحديث :

● قلت لخالد عبد الناصر أعرف أن عمرك أثناء قيام الثورة لم يكن يتجاوز العامين فكيف تعرفت على أحداث اليوم الأول للثورة وذكرياته ؟

ـ كما قلتَ إن عمرى يوم اندلاع الثورة لم يتجاوز العامين ولهذا فليست لى أية ذكريات خاصة عن هذا اليوم ولكننى بالطبع تعرفت على هذا اليوم وأحداثه من خلال والدتى التى أخبرتنى عندما كبرت بذكرياتها عن هذا اليوم وأيضا من خلال سيل المذكرات والروايات التى قدمها الضباط الأحرار وشهود العيان الذين عاصروا قيام الثورة فى أيامها الأولى .

● وهناك بعض أسر الضباط الأحرار كانت تشم رائحة شىء ما يجرى تدبيره ضد النظام الملكى الذى كان يحكم فى مصر فهل كان لدى أسرة عبد الناصر أى علم

(*) الحديث الذى أجراه المؤلف مع خالد عبد الناصر ونشر بمجلة « كل العرب » التى تصدر فى باريس بعددها الصادر يوم ٢٠ / ١ / ١٩٨٨ .

عن تنظيم الضباط الأحرار وموعد قيام الثورة ؟

ــ فيما يتعلق بى وبأخوتى فإن عمرنا عند قيام الثورة لم يكن يسمح لنا بالطبع أن نعلم شيئا لكننى أعتقد أن والدتى كانت تشعر بأن هناك دورا كبيرا وخطيرا يؤديه الوالد ، فإنها مثلا عثرت ذات يوم على كمية من القنابل اليدوية مخبأة فى سلة برتقال فى البيت وكانت تلاحظ طبعا أن هناك شيئا ما يدور بين عبد الناصر وزملائه من الضباط الأحرار عندما يجتمعون فى منزلها أو عندما يحضر أحدهم فلا يجد عبد الناصر فيطلب منها إبلاغ عبد الناصر برسالة معينة فضلا عن إحساسها بالوالد ومع هذا فإنى أود القول إذا كانت والدتى لم تكن تعلم بموعد قيام الثورة فلا شك إنها بالشعور والإحساس كانت تتوقعه وقد أخبرتنى والدتى أن فى ليلة الثورة قال لها الوالد : « ربما أتأخر يومين فلا تقلقى وخلى بالك من الأولاد » .

وصباح يوم قيام الثورة جاء خالى إلى المنزل وأخبر والدتى بقيام الثورة لكن أحدا منهما لم يكن يعلم باليقين أن جمال عبد الناصر في قلب هذه الثورة وإن كانت والدتى توقعت ذلك ولم يمض كثير من الوقت حتى تحققت من صدق توقعها .

● أنت كواحد من أبناء عبد الناصر في آعتقادك ما هى الصفات التى دفعت بعبد الناصر ليتولى دون الآخرين زعامة الثورة ؟

ــ أعتقد أنه من الأفضل توجيه هذا السؤال إلى أحد غيرى فلست أنا أفضل المرشحين للإجابة عليه وربما يكون من الأفضل أن يجيب عليه الضباط الأحرار الذين صنعوا الثورة وارتضوا عبد الناصر زعيما وقائدا أو للجماهير التى أحبته وأعطته التأييد فى كل الوطن العربى أو للدارسين والباحثين الذين تناولوا بالتحليل ثورة يوليو ودور عبد الناصر فيها .

● نعرف عبد الناصر القائد والإنسان من خلال منجزاته ومواقفه مع جماهير

الشعب الكادح ولكن ماذا عن عبد الناصر الأب بالنسبة لخالد وأخوته ؟

ــ لقد كان عبد الناصر إنسانا مصريا بسيطا وكان يتحلى بصفات الإنسان البسيط كان فيه تواضع شديد وحب للناس وكان حساسا جدا أمام مشكلات الناس البسطاء واحتياجاتهم واعتقد نجاحه وانجازاته وحب الناس له يرجع إلى إيمانه الشديد بالله وإيمانه بالشعب . كان يشعر بشعور الفلاح والعامل وعمال التراحيل على وجه الخصوص وكان قلبه مع أفقر الناس وأحوجهم وكان يشعر بقلق دائم لأنه كان يسابق الزمن من أجل أن يعطى لهؤلاء البسطاء الفرصة للحياة الكريمة التى حرموا منها طويلا .. والتى استحقوها دائما لكنهم لم يحصلوا عليها ، وكنت ألاحظ عليه الشعور بالفرحة والسعادة كلما اتخذ قرارا أو أنجز مشروعا يخدم الناس البسطاء وييسر عليهم مشقة الحياة كان يفرح كما لو كنت أنا أو واحد من أخوتى قد حصل على شيء يحتاجه أو يسعده . وأعتقد أن قيمة زعامة عبد الناصر تأتى من أنه كان إنسانا عاديا بسيطا ككل مصرى أو عربى مؤمن ومخلص ومحب لوطنه وأهله وناسه .

ولم يكن يحب المظاهر وكان يكره دوما الشعور بالترف والفخفخة ولهذا كان بسيطا فى أكله وفى ملابسه والحقيقة أنه لم يجد أى فرصة وأظن لم يحاول أن يستغل أى فرصة أو يخلقها للاستمتاع بالحياة كما يستمتع بها كثير من الناس وكان دائم الشعور بالمسئولية أمام الله وأمام الشعب .

وكنت ألتقى به أنا وأخوتى فترات قصيرة بالنسبة لعلاقة أب بأبنائه فقد كنا نتناول الأفطار والغذاء معا فى العادة وهذه هى الأوقات التى كنا نلتقى فيها معه وأثناء تناول الطعام كان يدور بيننا الحديث ويسألنا عن أحوالنا .

كان عبد الناصر ديموقراطيا معى أنا وأخوتى ولم يكن يأمرنا كأب بأى شيء ضد إختيارنا فهو فعلا لم يكن يقول لى روح ذاكر لكنه يتابع مستواى فى الدراسة ويطلع على شهاداتى ويشعر بالسعادة عندما يجدنى ناجحا متفوقا والشيء الوحيد

الذى كان والدى يأمرنا به ويحذرنا منه هو عدم الاحتماء باسمه أو الحصول على أى شيء ليس من حقنا عن طريق تقديم أنفسنا كأبناء لجمال عبد الناصر كان هذا ممنوعا منعا باتا .

وأتذكر أننى عندما كنت طالبا فى الثانوى « دخلت فى خناقة » مع أحد زملائى أثناء مباراة لكرة القدم وقد لاحظ عبد الناصر ونحن على مائدة الغداء أننى مصاب بجرح فى وجهى فسألنى عن السبب وقلت له الحقيقة وقد شعر بأن زميلى الذى تشاجرت معه قد يتعرض للجزاء من ناظر المدرسة فقال إذهب إلى محمد أحمد « سكرتير الرئيس الخاص » وقل له يتصل بناظر المدرسة ويبلغه بعدم التعرض لزميلك الذى تشاجر معك ، أو توقيع أى جزاء عليه .

● وهل كنت تعرض عليه الأمور الخاصة فى حياتك مثلا ؟

ــ طبعا كنت أعرض عليه بعض الأمور فى حياتى الشخصية وكان يناقشنى فيها ويهتم برأيى فى حنان وود وأتذكر أننى قلت له فى عام ١٩٧٠ إننى تعرفت على إنسانة وأعجبت بها وأريد أن أتقدم لخطبتها « وهى زوجتى الآن » ، فابتسم وقال لى فى دعابة .. بس أوعى تكون بنت حد من الرجعيين وقال لى إن لى الحرية فى اختيار شريكة حياتى ولم يشترط أى مستوى اجتماعى لأهلها الحقيقة أنه كان رجلا متفهما لكل شيء بسيطا جدا كلامه بسيط مثل لبسه ومأكله ولم يكن صوته يرتفع علينا إطلاقا ، كان يتحدث فى المنزل دائما بصوت هادىء لقد كان عبد الناصر رجلا طيبا بمعنى الكلمة .

● كثير من الزعماء كانت لهم هواياتهم الخاصة يمارسونها فى أوقات فراغهم ... ما هى هوايات عبد الناصر الخاصة ؟

ــ الحقيقة أننى لم أره فى وقت راحة إلا نادرا ربما كان وقت راحته الوحيد هو الوقت الذى يهتم فيه بنا ، هو كان يهوى التصوير السينمائى فعندما يجد يوم جمعة بدون

مشاغل لديه كان يحب أن يلتقى معنا كأسرة فى حديقة المنزل وكان يقوم بتصويرنا وأثناء ذلك نلعب الكرة ونركب العجلة وقد كان يشاركنا لعب الكرة أحيانا لكن هذه الأوقات قلت بعد ١٩٦٧ وباستثناء ذلك لم يكن له وقت للراحة .. فحتى وهو فى السرير تجد فى يده ورقة أو مجلة أو يستمع لإحدى الاذاعات العربية أو الأجنبية .

● ولكن كونك أبنا لرئيس الجمهورية ألم يعطك هذا وضعا متميزا داخل مجتمعك الصغير ؟

ـ أنا لم اعتمد على أننى ابن عبد الناصر فهو لم يكن يسمح لنا أن نقحم اسمه لنستفيد به وإلا تعرضنا لمعاملة شديدة وكنا نحترم ذلك تماما وأنا لم أكن فى الحقيقة بحاجة إلى ذلك فقد كنت دائما والحمد لله من المتفوقين خلال دراستى فى المدرسة القومية الثانوية وكنت الطالب المثالى ولى نشاط رياضى وفى دراستى الجامعية حصلت على تقدير جيد جدا طوال سنوات الدراسة بكلية الهندسة جامعة القاهرة حتى تخرجت عام ١٩٧١ وقد تعمدت أن أكمل دراستى العليا خارج مصر حتى لا تكون هناك أى شبهة فى محاباتى وقد حصلت على الدكتوراه فى الهندسة عام ١٩٧٩ من « الإمبريال كولدج » وهى الكلية الملكية للعلوم والتكنولوجيا وهى من أفضل الكليات وتتبع جامعة لندن وهى من أعرق جامعات العالم .

● ردد البعض أكثر من مرة أن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر قد توفى بفعل مؤامرة اسرائيلية ـ أمريكية عبر تدليك جسمه بالسم البطىء كما تردد أن د . على العطفى عميد معهد العلاج الطبيعى سابقا وأحد الذين كانوا يعالجون عبد الناصر قد اعترف بذلك داخل السجن ـ ما مدى صحة ذلك ؟

ـ طبعا كانت هناك مؤامرات أمريكية اسرائيلية دائمة ضد عبد الناصر هذا معروف لكن هذه الواقعة ليس لينا علم ولا أذكر أننى رأيت على العطفى هذا من قبل .

● تقول عن نفسك إنك ناصرى ، ما تعنى الناصرية وما هو الناصرى حسب تعريفك ؟

ـ أنا أعتبر الناصرى هو كل من انتفع بثورة يوليو وكل من يرى أن فترة الثورة قد شهدت انجازات أفادت الوطن والشعب وكل من يرى أن هذه الانجازات يمكن أن تستمر أو ينبغى أن تستمر وكل من يرى المبادىء والأفكار التى اعتنقتها الثورة هى مبادىء وأفكار تنفع شعبنا ويعمل على تحقيق هذه المبادىء من أجل مزيد من تحقيق مصلحة الشعب وهكذا كان الناصرى هو تعبير ينطبق على ملايين استفادوا من الثورة وأيدوها فى أفكارها وإنجازاتها .

● ولكن الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل قال مؤخرا إنه يوجد ناصريون ولا توجد ناصرية ، إلى أى مدى تتفق أو تختلف مع هذا التحليل ؟ .

ـ أعتقد أن إجابة السؤال السابق ربما تلقى ضوءا على إجابة هذا السؤال .

● ولكن دعنى أسألك لماذا لم يتوصل الناصريون حتى الآن إلى صياغة نظرية للناصرية تصلح كأساس لبرنامج فكرى وأيديولوجى للناصريين فى مصر والوطن العربى ؟

ـ الحقيقة أصارحك أنى ربما لم أفهم هذا السؤال بدقة لكننى أقول لك أن مصر والأمة العربية شهدت فترة تم فيها إصلاح زراعى ومجانية تعليم وبناء السد العالى وألف مصنع ومدارس وجامعات وإسكان شعبى وتأميم القناة والقضاء على الاستعمار القديم وأعوانه من الرجعيين والرأسماليين المستغلين وآلاف الإنجازات وفى نفس الفترة كان عبد الناصر يتحدث ويخطب ويناقش ويصدر الميثاق الوطنى بعد حوار قومى طويل وبيان ، ٣٠ مارس ، فإذن لدينا إنجازات وتطبيقات ولدينا مبادىء وأفكار ربما لم تتم الصياغة النظرية للناصرية بشكلها النهائى حتى الآن بسبب الحملة الرجعية الشرسة التى حدثت ضد الثورة لكن الحقيقة هناك محاولات فى هذه

الصياغة أنا شخصيا متأكد أن هذه الصياغة ستتم عاجلا أم آجلا وهذا الأمر يحتاج إلى تحديث ومراجعة للتجربة فى ضوء المتغيرات التى استجدت داخليا وعالميا ، وعملية التحديث توضيح وتأكيد للأفكار الأساسية أو المعالم والثوابت الرئيسية للنظرية الناصرية ثم الإضافة إليها بما يلائم المتغيرات الجديدة فى مصر والوطن العربى والعالم من حولنا .

● قلت لخالد عبد الناصر : يزعم الأخوان المسلمون أن حادث المنشية بالإسكندرية الذى حاولوا خلاله اغتيال عبد الناصر لم يكن إلا تمثيلية من صنع النظام ، هدفها هو إيجاد المبرر للإطاحة بالإخوان المسلمين الذين كانوا يشكلون فى هذا الوقت قوة لا بأس بها .. ما هو ردك على هذا القول ؟

ـ لقد كان عمرى لا يتجاوز الأربع سنوات عندما وقع حادث المنشية ، ولكننى عندما أتأمل هذا الحادث فى الوقت الراهن وبعقلية أكاديمية محايدة فإنى أرى أن شخصا حمل مسدسا حقيقيا ، وأطلق منه رصاصا حقيقيا ضد شخص حقيقى وجرح بهذا الرصاص شخص سال منه دم حقيقى ، فكيف أقول بعد كل هذه الحقائق إنها كانت تمثيلية .. وإذا كان هذه تمثيلية فكيف تكون الحقيقة إذن ؟!!

الواقع أن محاولة التنصل من هذا الحادث غير منطقية .. وتصويره كتمثيلية هو أمر لا يصدقه إلا السذج ، ومن المضحك أننى سمعت أنهم يحاولون استصدار أمر محكمة بأن ما حدث كان تمثيلية وأريد القول إن التاريخ لا يتغير بأمر محكمة وإن الحقائق لا تتبدل بأحكام القضاء .

● اتخذت قيادة الثورة عدة قرارات بعزل من أسمتهم بأعداء الثورة .. هل تعتقد أنه كانت هناك ضرورة لقوانين العزل السياسى التى طبقتها الثورة ضد أعدائها ؟

ـ طبعا أنا لا أتصور أن الثورة التى قامت لتحقيق التغيير الاجتماعى كانت تستطيع تحقيقه بالباشوات وبالإقطاعيين وأصحاب الملايين صيدناوى وعدس

وغيرهم .. ودعنى أسألك أنا بدورى هل كان هؤلاء هم الذين سيحققون الإصلاح الزراعى أم هم الذين سيوافقون على مشاركة العمال فى الأرباح والإدارة وتحصينهم ضد الفصل التعسفى وتحديد خد أدنى للأجور وحد أقصى لساعات العمل ؟! .. طبعا كان لابد للثورة أن تلجأ لعزل أعدائها سياسيا والحقيقة أن هذا الاجراء كان رحيما جدا ، إذا قارناه بالإجراءات الدموية التى أقدمت عليها كل الثورات وفى مقدمتها الثورة الفرنسية التى يتغنى بها الليبراليون فهذا الإجْراء كان ضروريا فى وقته . ولكننى أريد أن أؤكد أن هذه الثورة انتفت بانتهاء هذه المرحلة ، وإذا كنا أتفهم وأوافق على هذا الاجراء داخل ظروفه ووقته فإننى أحب أن أؤكد أن رأيى الشخصى الآن أننى ضد العزل السياسى لأى إنسان لأننا فى مرحلة مختلفة بعد ٣٥ سنة على الثورة ــ ومع حرية الرأى وحرية إقامة الأحزاب وإصدار الصحف .

● البعض يقول إن ثورة يوليو لم تكن لها استراتيجية واضحة منذ البداية ، وأن المنهج الذى حكم الحركة الناصرية هو التجربة والخطأ فالتصحيح .. إلى أى مدى تتفق أو تختلف مع هذا الرأى ؟

ــ هذه نصف الحقيقة .. فمن الصحيح أن عبد الناصر اعتمد على التجربة والخطأ منذ بداية الثورة إلى أول الستينات ، وقد حرص على أن يستفيد ويتعلم من تجاربه ، وأن يعايش الواقع العربى والمصرى فى إطاره الدولى ليكتشف الطريق الصحيح لتحقيق العزة والكرامة للإنسان العربى . أما النصف المتمم للحقيقة فهو أن خلاصة ما استفاده عبد الناصر قد تبلور فى الميثاق الوطنى ١٩٦٢ وبصدوره انتهت مرحلة التجربة والخطأ وتبلورت استراتيجية واضحة تبناها عبد الناصر وتتلخص فى السعى نحو تحقيق الغيات الكبرى للنضال وهى الحرية والاشتراكية والوحدة كما قال الميثاق . لقد كان الميثاق دليلا للعمل الوطنى ، وقد اشتمل عل معالم أساسية واضحة لنظرية متكاملة للثورة ومع هذه فإننى كرجل أكاديمى أرى أنه لا غنى عن التحديث

والمراجعة بشرط أن يكون هدفهما مزيدا من تحقيق مصالح أغلبية الشعب وليس على حسابها .. وأن يكون ذلك من أجل المستقبل ومن أجل الأفضل دائما . وبالنسبة لى شخصيا فإن كثيرين يقولون لى إننا كنا مع عبد الناصر الخمسينات ولكننا لم نؤيد عبد الناصر الستينات وأنا بالطبع أعتز بعبد الناصر الخمسينات والستينات ولكن إذا كان لابد من المقارنة فإننى أعتز أكثر بعبد الناصر الستينات .

● يقول البعض إن الاشتراكية لم تجر إلا الفقر والحقد لمصر ويرى آخرون أن التجربة لم تشهد تطبيقا سليما على أرض الواقع فى مصر .. ما هو رأيك ؟

ـ الحقيقة أن هذا السؤال يردد نفس الأقاويل الباطلة التى يروجها أعداء الثورة وخصومها من الرجعيين وأنا غير مستعد للدخول فى متاهات الردود على هذه الآراء ضيقة الأفق ، التى لا يمل بعض الكتاب وبعض الصحف من ترديدها لأنها لا تستحق عناء الرد ، فأنا لا أفهم كيف تكون الثورة سببا فى الفقر إذا كان ٩٥ ٪ من الشعب استفاد منها ، وإذا كان كل شباب البلد تعلم مجانا بسببها . وإذا كان ملايين العمال وجدوا فرص عمل كريمة ، وملايين الفلاحين المعدمين امتلكوا الأرض لأول مرة فى حياتهم بفضلها . هذا كلام غريب يثير السخرية ولا ينبغى معاملته بجدية لأنه لا يستحقها . ومن وجهة نظرى الشخصية وكما أثبت الواقع نفسه فى السنوات الأخيرة فلو أن الثورة لم تفعل شيئا غير بناء السد العالى لكان هذا كافيا جدا . فلولا السد العالى لكانت مصر لاقدر الله قد تحولت إلى خراب بسبب الجفاف كما حدث فى دول إفريقية مجاورة .

● عبر حواراتك مع عبد الناصر (الأب والقائد) ألم تتعرف منه عن الأسباب التى منعته من اتخاذ قرار يسمح بعودة الأحزاب في مصر ، وما مفهوم الديمقراطية الناصرية في رأيك ؟

ـ تستطيع الرجوع إلى خطب عبد الناصر لتعرف السبب في رفض قيام الأحزاب ، أما مفهوم الديموقراطية الناصرية فاعتقد أن مسئولية تحديده هي مهمة

كل الناصريين وليست مهمتى أنا . وما استطيع أن أقوله لك هو أن عبد الناصر كان مستمعاً جيداً ، كان ينصت باهتمام لكل رأى ويتفهمه ولم يكن — كما يشيع البعض عنه يحجر على رأى أحد أو يتكلم هو ليسمع الآخرون .

وبعد أن يستمع ويدقق كان يتخذ القرار وهذه مسئوليته . وأتذكر مرة أننى أردت التحدث إليه فى موضوع شخصى فقال لى « أنا عندى صداع لأننى جلست استمع لمدة ٦ ساعات متواصلة » وتستطيع التأكد من ذلك بسؤال الذين عملوا معه .

وأنا كرجل أكاديمى أرى أن جوهر الديموقراطية هوأن تكون الإدارة فى الدولة معبرة عن مصالح الأغلبية ومحققة لها . وقد تحقق هذا فى ظل عبد الناصر . وليس جوهر الديموقراطية هو مجرد حق الحديث وحرية الرأى والتعبير فقط . لقد قال عبد الناصر لأحد الصحفيين الأجانب ذات يوم « عندكم صحافة حرة ولكن لا يوجد عندكم حرية صحافة » وكان يقصد بذلك أن كل صحيفة مملوكة لمليونير ولا تستطيع ن تقول رأيا أو تنشر خبرا ضد مصالحه ورأيه .

لقد حاول عبد الناصر أن يحقق مفهوما للديموقراطية يجمع بين الحرية والاجتماعية والاقتصادية من ناحية والحرية السياسية من ناحية أخرى . وقال فى الميثاق إنهما معا جناحان للحرية الحقيقية ، وبدونهما أو بدون أى منهما لا نستطيع التحليق إلى آفاق الغد المرتقب . ومن وجهة نظرى الشخصية تماما فأنا أرى الديموقراطية بنفس الطريقة وفى إطار هذا الفهم فأنا مع مزيد من الديموقراطية ومع إطلاق حق إقامة الأحزاب بدون قيود وإطلاق حق التعبير وإصدار الصحف بدون قيود . وفى النهاية فإن شعبنا واع وقادر على أن يحكم بين الجميع ويميز الطيب من الخبيث .

● ما العوامل التى حكمت عبد الناصر فى إعلان قرار تأميم قناة السويس من وجهة نظرك ، وهل كان يعتقد بأنه فى إمكان مصر هزيمة ثلاث قوى عسكرية كبيرة ؟

ـــ أعتقد أنه أمم القناة من أجل التنمية .. وكما قال عبد الناصر نفسه كانت شركة القناة تستولى على ملايين الجنيهات ونحن فى حاجة إلى مليم فلماذا لا نأخذ نحن هذه الملايين لنبنى بها بلدنا ؟

ولو أنك ستخاف من قوة كبرى أو ثلاث قوى أو سبع أو عشر ستظل فى منزلك وأبدا لن تفعل شيئا .. لا ينبغى للشعوب أن تخاف مادامت تدافع عن حقوقها وإذا تسلل الخوف إلينا فلن نبنى مصنعا واحدا ولن نحقق تنمية ، ولن نتخلص من التبعية ، ولن نشعر بالعزة والكرامة هذا هو المنطلق الوحيد الذى يصلح للشعوب والذى يبنى الأمم ويصنع التاريخ . ولقد كان عبد الناصر مع هذا المنطق ، ولقد انتصر بعون الله وإرادة الشعب على كل هذه القوى الكبرى واسترد القناة لأصحابها .

● حاولت بعض الأقلام تشويه سمعة الزعيم الراحل عبر الطعن فى ذمته المالية ، ما يهمنا هو حقيقة ما خلفه . عبد الناصر من أموال بعد رحيله ؟

ـ قلت لك إن مثل هذه الاتهامات تسعدنى إذا جاءت من المشبوهين والرجعيين وهم طبعا لا يتورعون عن الاساءة بلا دليل إلى الرجل حتى فى ذمته لكن هذا ليس غريبا عليهم بخصوص هذه النقطة بالذات ، فقد قامت أختى هدى بتسليم كشف حساب بالقرش والمليم عن ذمة عبد الناصر مدعوم بالوثائق . وطبعا أنا أعلم جيدا أن شعبنا ألذى عرف عبد الناصر جيدا يثق فى أنه عاش بسيطا وشريفا وهو فوق مستوى أى شبهة . ولو كان المشبوهين الذين يهاجمون عبد الناصر فى ذمته لديهم أى قدر من حسن التمييز ولا أقول من الخجل لأغلقوا أفواههم على أكاذيبهم لسبب بسيط وهو أن العدو الرئيسى لعبدا الناصر وهو الاستعمار بقيادة أمريكا لم يجرؤ على توجيه هذا الاتهام الفج إلى عبد الناصر . ونحن جميعا نعلم أن المخابرات الأمريكية تعلم كل شىء عن الحسابات السرية والتحويلات واستخدام الأموال مهما كانت سريتها ، وقد ظهرت ذلك فى أحداث فضيحة إيران جيت التى تعرض فيها ريجان نفسه للاتهام . وأنا أسأل هؤلاء العباقرة الذين يتهمون عبد الناصر فى ذمته ، لو أن الرجل كانت له أرصدة سرية كما يزعمون ، هل كانت المخابرات الأمريكية ستتركه ؟! ، وهل تحافظ عليه وهو عدوها الذى دبرت له الاغتيالات والتصفية الجسدية بينما هى تعرض رئيسها ريجان نفسه للفضيحة . هل جمال عبد الناصر

أعز على المخابرات الأمريكية من رونالد ريجان إننى لا أجد ما أقوله لهؤلاء إلا المثل الشعبى (اللى اختشوا ...) .

● كيف كانت طبيعة علاقة أسرة عبد الناصر مع أسرة السادات أثناء فترة حكمه الأخير ، وهل طلبتهم منه أن يعمل على وقف حملات الهجوم التى وجهت ضد عبد الناصر وتجربته ؟

ـ كانت العلاقة طبيعية حتى عام ١٩٧٥ تقريبا ، ثم طرأ عليها التغير والابتعاد ، وأنا أذكر أن آخر مرة قابلته فيها كانت عام ١٩٧٥ أو ١٩٧٦ ، كانت المقابلة فى القناطر الخيرية واستغرقت ثلث ساعة .. ولا أريد أن أذكر موضوعها أو انطباعى عنها .

بالنسبة لطلب إيقاف الهجوم فأنا شخصيا لم أطلب ذلك من السادات ، فأنا لا أعتبر عبد الناصر ملكا شخصيا لى ، عبد الناصر شخصية عامة ولهذا فهو معرض للنقد من أى أحد . وفى نفس الوقت فإن عبد الناصر ملك للشعب العربى كله وللشعب العربى فى مصر على وجه الخصوص وإيقاف الهجوم عليه أو الرد على أعدائه ليست مسئوليتى الشخصية ، وليس دورى باعتبارى ابنه ، ولكنها مسئولية ودور وحق الشعب العربى بأسره .

● قيل إنكم رفعتم قضية ضد جريدة الوفد بسبب بعض الاتهامات الشخصية التى وجهت لعبد الناصر مؤخرا ما مدى صحة ذلك ؟

ـ كما قلت لك من قبل ، فإن حملات جريدة الوفد ضد عبد الناصر مثل غيرها من حملات الرجعية وأعداء الثورة تسعدنى ولا تزعجنى ، وبالنسبة للجوء إلى القضاء ضدها فهذا ليس له أى أساس من الصحة لأننى كما ذكرت مقتنع بأن القضاء لا يغير التاريخ ولا يغير من الحقيقة . وأنا أثق أن شعبنا واع وذكى وهو يقرأ هذه الحملات ليتسلى بكتابها ويسخر منهم وليزداد اقتناعا بأنهم غير جديرين بالتعبير

عنه .. بل أن بعض الحملات مفيدة جدا لعبد الناصر ، لأنها تحدث رد فعل عكسى ضد كتابها مثل سلسلة مقالات نشرها مؤخرا أحد الصحفيين فى صحيفة قومية ، وقد قابلنى واتصل بى مئات من القراء يعبرون عن ضيقهم بسبب افتراءاته المفضوحة ، أن مثل هذه الحملات من هذه الشخصيات ينطبق عليها كما قال لى أحد أصدقائى المهتمين بالشعر بيت قديم مشهور يقول :

« إذا اتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بأنى كامل »

● بماذا تفسر حملة الهجوم على عبد الناصر حتى الآن وبرغم مرور ١٧ عاما على رحيله ؟

ـ الرد على هذا السؤال لا يحتاج إلى ذكاء .. إن الهجوم على عبد الناصر له معنى واحد هو أن مبادىء عبد الناصر مازالت حية وإن طريقة عبد الناصر مازالت صالحة للتطبيق ، وأن المشروع القومى لعبد الناصر مازال قائما ومبشرا بالنجاح .. أن أحد لا يهاجم الأموات ولكن الأحياء فقط هم الذين توجه إليهم البنادق والشتائم ، فاستمرار الهجوم معناه أن عبد الناصر لم يزل حيا بعد ١٧ عاما من رحيله وأنا اعتبر أن هذه المعركة بين عبد الناصر الرمز وبين خصومه وأعدائه وهم خصوم وأعداء الثورة هى معركة على المستقبل لأن الذى سينتصر فيها هو الذى سيملك مقدرات أمتنا فى المرحلة القادمة .

وبعدين هذا السؤال يفكرنى بحاجة كان عبد الناصر دايما يقولها ، عندما كان يسمع الإذاعات الأجنبية ويقرأ الصحف ولا يجد هجوما على مصر والثورة وعبد الناصر كان يشعر بالقلق والتوتر ويقول «لارتياح عندما يهاجموننا لأن هذا معناه أننا نسير فى الطريق الصحيح » ، وأنا عندما لا أجد هجوما من الرجعية والشخصيات

المشبوهة على عبد الناصر أشعر أيضا بالتوتر . ولهذا أحب أن أقول للكتبة والصحف التى تهاجم عبد الناصر شكرا لكم لأنكم بهذا تجعلون روحه تشعر بالسكينة وتوفرون علينا مشقة التوتر ، وفوق كل هذا فانتم تثبتون للدنيا كلها أن عبد الناصر مازال حيا وأنه كان وسيبقى حيا .

● البعض يقول إن عبد الناصر يتحمل وحده مسئولية نكسة ١٩٦٧ ، ما رأيك من خلال معايشتك لعبد الناصر ؟

ـــ أنا شايف أن كلمة (وحده) تم اقحامها على السؤال ، فالحقيقة المعروفة أن عبد الناصر قد أعلن بنفسه فى خطاب التنحى يوم ٩ يونيو أنه يتحمل مسئولية النكسة . لم يقل (وحده) ولم يتنصل عبد الناصر من المسئولية أبدا ولكن الشعب هو الذى أعاد عبد الناصر وتمسك به وأصر على اختياره رغم إعلانه عن تحمل المسئولية .

وأتذكر أننى فى يوم ٩ كنت فى معسكر تدريب عسكرى للشباب وأخذت أجازة ٣ ساعات ، وذهبت للمنزل فى منشية البكرى ، وكان عبد الناصر يتحدث فى التليفون مع الأستاذ هيكل ، ثم تحدث معى حديثا عاديا وعدت إلى معسكر التدريب ، ثم أذيع بيان التنحى ، وتفجرت المظاهرات الشعبية ، وكانت تلقائية ١٠٠ ٪ وبدون أى تدبير ، ولم تكن مسرحية كما يدعى البعض من أعداء الثورة .

وفى هذا اليوم توافد على المنزل كل المسئولين ليطالبوا عبد الناصر بالعدول عن التنحى ، ولكنه دخل حجرته ورفض مقابلة أحد ، وأتذكر أن زكريا محيى الدين طلب منى هذا اليوم أن أبحث له عن جهاز تسجيل (كاسيت) ليسجل عليه بصوته بيانا يرفض فيه قبول رئاسة الجمهورية ويطالب عبد الناصر بالاستمرار فى القيادة .

وفى اليوم التالى استمرت المظاهرات بدون انقطاع ، وعرفت من بيان السادات فى مجلس الشعب أن الرئيس قبل العدول عن الاستقالة استجابة لإرادة الأمة التى

أصرت على اختياره بعد أن سمعت منه إعلان مسئوليته عما حدث .

● إلى أى مدى نجحت حرب الاستنزاف فى استنزاف إمكانيات العدو .. وما رأيك فيما قيل حول أنها استنزفت إمكانيات مصر وأجهدتها ؟

ـ حرب الاستنزاف كانت ملحمة عظيمة لقواتنا المسلحة ولشعبنا ، وكانت ضرورة لاستعادة ثقتنا بأنفسنا ، ولتحقيق تدريب ميدانى متقدم لقواتنا ، لأن التدريب الشاق يجعل الحرب سهلة ، وخلالها تمكنا من إعادة بناء قواتنا المسلحة واستيعاب الأسلحة الجديدة التى عوضنا بها ما خسرناه عام ١٩٦٧ ثم أنها كانت ضرورة لكيلا تموت قضيتنا أو يتباطأ استعدادنا وقد كلفت حرب الاستنزاف العدو الصهيونى الكثير جداً ، وأرهقته إرهاقا بالغا لأن المجتمع الإسرائيلى لا يتحمل الحرب الطويلة ، بل يتعمد الحرب السريعة الخاطفة .

ففى حرب الاستنزاف خسر العدو عددا كبيرا من الأرواح ، وكانت الحكومة الاسرائيلية تحاول إخفاء خسائرها حتى لا تنهار معنوياتهم ، فتدعى إن قتلاهم ماتوا فى حوادث السيارات ، وقد ارتفعت نسبة حوادث السيارات فى إسرائيل خلال حرب الاستنزاف ارتفاعا مهولا ، وهذه نكتة طبعا ، كما تكلفت إسرائيل الكثير اقتصاديا لاستمرار حالة التعبئة ، والحقيقة أنه لولا حرب الاستنزاف ونتائجها المفيدة لمصر لما تمكنا من خوض حرب أكتوبر المجيدة وتحقيق انتصارنا العظيم فيها .

● ● ●

٤ ـ اقوال عبدالحميد عبدالناصر
في تحقيقات نيابة أمن الدولة

• ماقولك فيما هو منسوب إليك من قيامك بتكوين وتشكيل منظمة تهدف إلى مناهضة المبادىء الأساسية ونظم الحكم وإستخدام القوة والتخابر مع دولة أجنبية للقيام بأعمال من شأنها الاضرار بمركز مصر السياسي والدبلوماسي والاقتصادي ، وتقاضي مبالغ على سبيل الرشوة مقابل القيام بهذه الأعمال ؟

ـ محصلش ولم ارتكب أي جريمة من هذه الجرائم .

• هل لديك علاقة بمحمود نور الدين السيد ؟

ـ أيـــوه .

• كيف بدأ تعرفك به ؟

ـ انا رحت وزارة الخارجية سنة ١٩٧٤ والحقت في اكتوبر سنة ١٩٧٥ كسكرتير ثالث بالسفارة المصرية في لندن حتى سنة ١٩٧٨ ثم الحقت لمدة عام في لندن بمكتب الهيئة العربية للتصنيع حتى أكتوبر ١٩٧٩ حيث أنهيت إعارتي للهيئة العربية للتصنيع ، وعدت عودة نهائية للقاهرة ، وقدمت إستقالتي من وزارة الخارجية في أواخر ١٩٧٩ ، ولما كنت اعمل بالسفارة عام ٧٤ . كان محمود نور في ذلك الوقت يعمل هناك موظفا محليا بالسفارة . وعندما عملت هناك بالسفارة المصرية في لندن تقابلت مع نورالدين السيد ، وبالرغم من أنه كان يعمل موظفا بالسفارة لاحظت أنه تربطه علاقة حميمة مع جميع العاملين بالسفارة المصرية في لندن سواء الدبلوماسيين أو الاداريين ، وكانت تبدو على محمود نورالدين مظاهر الغنى وأنه ميسور ماديا ، وعلمت أنه يربح كثيرا نتيجة عمله في بيع وشراء وتأجير العقارات في لندن ويتقاضى عن ذلك ربحاً كبيراً ، وتعرفت عليه من خلال العمل

بالسفارة منذ أن عملت بالسفارة المص رية بلندن مثل سائر العاملين بالسفارة .

● هل تطورت هذه العلاقة ؟

ـ تحولت هذه العلاقة بعد فترة إلى صداقة بيننا ثم إلى صداقة عائلية بين أسرتي وأسرة محمود نورالدين وتعرفت بزوجته نادية سري وأولاده منها داليا ودينا ولمياء وكثيرا ما التقينا في لقاء عائلي فقط واستمرت هذه العلاقة بيننا على هذا النحو حتى الحقت بالعمل بالهيئة العربية للتصنيع في لندن وأنا فضلت العمل في هذا المكان لأنه يوافق رغبة لدي وهي البعد عن العمل السياسي ، ولأن العمل في هذا المكان كان مجزياً ماديا حيث تضاعف مرتبي الذي كنت اتقاضاه من العمل هناك عن العمل الذي كنت أقوم به بالسفارة ، وأيضا في هذه الفترة كانت علاقتي مستمرة مع محمود نورالدين . وهي العلاقة العائلية التي تربطنا .

وقرأت في مجلة عربية إعلانا عن إصدار مجلة ٢٣ يوليو يرأس هو مجلس الادارة ويرأس تحريرها محمود السعدني .

وكانت مفاجأة لي فاتصلت به وسألته فأكد لي الخبر وظلت المجلة تصدر أعداد بالفعل لمدة سنة .

وأثناء عملي بالهيئة العربية للتصنيع سألني أحد ضباط مباحث أمن الدولة وكان عملي بالقنصلية المصرية في لندن في ذلك الوقت وكانت تربطني به صلة صداقة . وسألني من أين يقوم نور بتمويل هذه المجلة ، وكان يسألني بصفة ودية ، وكانت نية السؤال يعني بها أبي وشقيقي الأكبر خالد الذي كان يقيم في لندن للدراسة للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة إمبريال كمبريدج أي أننا أنا وشقيقي على علم بالتمويل أو أننا نحن الذين نقوم بتمويل هذه المجلة بسبب أنها باسم ٢٣ يوليو . فأجبته بأنني وشقيقي ليست لنا أي علاقة بتمويل هذه المجلة ، وإن هذا أمر مستحيل بالنسبة لنا ، بسبب الامكانيات المالية القليلة التي كانت متاحة لنا

ولا يمكن بأي تصور أن نمول مجلة ، إذ في هذا الوقت لم أكن أمتلك أكثر من مرتبي ، وكان لدي مدخرات في مصر ثمانية آلاف جنيه انفقتها أثناء إقامتي في لندن ، لأن تكاليف المعيشة مرتفعة ، وبعد ذلك صدر قرار بإنهاء إعارة الذين يعملون بالمكاتب الخارجية للهيئة العربية للتصنيع . وكنت المصري الوحيد الذي ألحق بالعمل بالمكاتب الخارجية للهيئة العربية ، وفهمت انني المقصود بهذا القرار لعدم اقتناع السلطات في ذلك الوقت بأنه لا علاقة لي بمجلة ٢٣ يوليو ، لذلك قررت ألا أعمل بالحكومة ، وعدت عودة نهائية للاقامة بالقاهرة أنا وزوجتي وأولادي وطوال هذا الوقت لم تزد علاقتي بمحمود عن العلاقة العائلية ، وأحيانا كان ينزل إلى مصر في أجازات فكنا نتبادل الزيارات في حدود الصداقة العائلية .

• ومتى توقف إصدار مجلة ٢٣ يوليو وسببه ؟

ـ لم أتحدث معه إطلاقاً في أي أمر يتعلق بالنواحي السياسية ولكن كان واضحا من موضوعات المجلة التي تنشر فيها أنها تتجه إلى إنتقادا سياسة الرئيس السابق أنور السادات .

• هل طلب محمود نورالدين منك أن يستفيد منك أو من اسمك في هذه المجلة ؟

ـ لم يحدث أبداً ولم يطلب مني محمود ذلك ولم أزره إطلاقا في المجلة لأنني كنت أعمل في الحكومة وخشيت من أن تفسر زيارتي للمجلة بأي تأويل يحسب عليّه . ولكن استمرت صداقتنا العائلية كما هي وزيارته في منزله .

• كيف تمت إجراءات تأسيس هذه المجلة ومن العاملين بها وتحديد فكرهم السياسي وسبب اختيار مدينة لندن لها ؟

ـ انا لا أعلم أي شيء عن ذلك ولم يذكر لي محمود نور أي شيء وأنا كما ذكرت تعرفت بدون أي مقدمات من محمود بالاعلان الذي نشر في إحدى الصحف العربية في لندن عن صدور أول عدد من هذه المجلة .

• هل لديك أي معرفة عن مصدر تمويل هذه المجلة ؟
ـ ماعرفش .
• هل كانت امكانيات محمود نور تمكنه من إصدار مجلة على هذا النمط ؟
ـ إمكانياته حسب الظاهر لي تسمح له .
• هل كان إصدار هذه المجلة مرتبطاً بمعاونة من أحد السفراء السابقين لمصر في لندن (سعد الشاذلي) ؟
ـ لا اعتقد ذلك .
• الم يتبين ان هناك دولا أجنبية تقوم بامداد محمود نورالدين بمبالغ مالية لاصدار هذه المجلة ؟
ـ لم أتبين ذلك ولا أعتقد ان يكون محمود قد حصل على أموال من أي جهة اجنبية وعلى ما اذكر انه كان يقول انه يرفض الحصول على مبالغ من دولة اجنبية لان ذلك يقيده في نشر اي موضوعات تنتقد سياسة تلك الدولة .
• هل طلب نور منك أو من أحد اشقائك المساهمة في تمويل المجلة ؟
ـ لا لم يطلب على الاطلاق .
• هل قام محمود نورالدين بمحاولة استخدامه علاقته بك بصفتك الشخصية للدعاية لهذه المجلة ؟
ـ لا .
• هل كانت تربط محمود علاقة بأحد الليبيين الموجودين في لندن أو تردد على لندن ؟
ـ لم أتبين شيئا من ذلك .
• هل تعرف شيئا عن الخلاف بين محمود نورالدين وبين مطلقته نادية سري زوجته السابقة ؟
ـ انا خلال معرفتي بمحمود أعلم بأن هناك خلافات بينهما وانها ذهبت إلى والدتها

في السويد ثم علمت بعد عودتي إلى مصر أن محمود سافر إلى السويد واعتدى على زوجته بالضرب وانه قضى سنة بالسجن بالسويد واخرج من السجن إلى المطار إلى لندن .

● هل علمت بأن محمود نورالدين أتهم في قضية قتل في لندن ؟

ـ علمت بهذه الواقعة أيضاً في لندن ولكن محمود لم يحدثني في شيء عن ذلك ولا أعرف مدى صحة هذه الواقعة .

● وهل علمت بحدوث اي تشابك بين محمود وبين اليهود طوال مدة تواجدك في لندن ؟

ـ لا .

● هل علمت أن مجموعة من اليهود قامت بحرق « فيلا » خاصة بمحمود نورالدين بإحدى ضواحي لندن ؟

ـ هو قال لي إن فيه ناس حاولوا حرق البيت أثناء صدور المجلة ، لكن لم يقل اليهود . ولكن افتكر إنه قال ان الذي قام بذلك أشخاص من قبل السلطات المصرية ، ولم يذكر انهم يهود ولم يذكر أي تفاصيل اكثر من ذلك .

● هل استمرت علاقتك بمحمود نورالدين السيد بعد عودتك إلى مصر وإقامتك الدائمة بها وعودة محمود كذلك ؟

ـ ايوه انا استمريت على علاقتي به بعد عودته إلى مصر للاقامة الدائمة بها وأنا كنت عدت قبله وكنت أتردد على لندن في ذلك الوقت لأعمال تجارية وزيارة شقيقتي المقيمة هناك . وكنت التقي بمحمود أثناء هذه الزيارات . وأخبرني في إحداها بمحاولة حرق مسكنه التي ذكرتها . وبعد ذلك عاد محمود للاقامة في مصر وكان ذلك تقريباً عام ٨٣ . وكنت مقيما اثناء ذلك لدى والدتي بمنشية البكري . وكنت أتبادل الزيارات مع محمود الذي كان يقيم طرف شقيقته نوال أولاً ، ثم مع شقيقه بمصر وعلمت بأن محمود بعد واقعة حرق

مسكنه في لندن في أوائل سنة ١٩٨٠ ارسل بناته للاقامة مع والدتهم في السويد إذ كانت تعيش مع والدتها هناك وكان ذلك قبل حادثة الاعتداء على زوجته واستمرت علاقتي به حتى القبض عليه وطوال هذه الفترة لم تتعد العلاقة كونها علاقة عائلية وأسرية .

● هل حدثك محمود عن سبب اتخاذه قرار العودة إلى القاهرة عن أعمال معينة يعتزم القيام بها ضد الإسرائيليين والأمريكيين المقيمين بمصر ؟

ـ لم يذكر لي محمود أي شيء عن ذلك .

● هل حدثك محمود نورالدين عن تعرضه لأمور في لندن بحث فيها الصديق والعدو في الفترة التي حضر فيها إلى مصر ؟

ـ لا وكانت حالته طبيعية جداً .

● ماهي العلاقة التي تربط نور بشقيقيك عبدالحكيم وخالد ؟

ـ لم تزد أبداً عن علاقتي به بل انني كنت أكثر صلة بمحمود نور الدين باعتباري معه في مكان عمل واحد .

● هل اقترح محمود عليك وعلى اشقائك عقب عودته للاقامة الدائمة بمصر تكوين تنظيم ذي جناح عسكري للقيام بعمليات اغتيال لبعض الشخصيات الإسرائيلية والأمريكية بمصر ؟

ـ لم يذكر ولم يحدث منذ عودة محمود نورالدين للاقامة بمصر أن حضرنا أنا وأخوتي مجتمعين معه في أي لقاء في أي مكان . وذلك بسبب سفرنا الدائم سواء أنا أو أشقائي إلى الخارج حيث كنت أتردد كثيراً على لندن ، وتردد حكيم كثيراً على دول الخليج وانشغال خالد وأود أن أوضح أيضا أنني أعاني من مرض خطير أصبت به في النخاع الشوكي منذ سبتمبر ١٩٨٥ واستمر علاجي من هذا المرض لمدة طويلة سواء هنا في مصر أو في لندن وفي مارس ١٩٨٧ سافرت إلى أمريكا كانت رحلة علاج ومعي كافة التقارير الطبية التي توضح هذا المرض ومراحل تطوره

وعلاجه وكان من آثاره عدم قدرتي على القيام بأي عمل مثل ماأقوم به عندما كنت في حالة عادية .

• هل تربطك أي علاقة بالرئيس الحالي لليبيا معمر القذافي أو أحد الأشخاص الذين يعملون لصالح هذه الدولة منذ سنة ١٩٦٩ ؟

ـ لم يحدث والعلاقة لم تتعد العلاقة العائلية . ولم يطرح أبداً أي موضوع من هذه الموضوعات التي تمس مصالح مصر أو أي مناقشات تدور بينهم مع الليبيين أثناء هذه الاقامة .

• هل تقاضيت أية مبالغ من حاكم ليبيا للقيام بأعمال تضر بمصالح البلاد ، أو عرض على أحد منكم ذلك ؟

ـ لا .

• وما علاقتك بأحمد عصام ؟

ـ بالنسبة لأحمد عصام ، معرفتي به محدودة جداً لان علاقتي أصلاً بشقيقه محمود وفي حوالي سنة ١٩٨٢ تقريبا حضر لي احمد عصام في مسكن والدتي في منشية البكري وكانت هذه أول مرة يحضر لي فيها أحمد عصام وطلب مني مبلغاً مالياً لنفسه ليذهب لشقيقه محمود نور في السويد ، واخبرني أن سبب سفره المفاجيء وجود خلافات بين محمود وزوجته نادية فأعطيته مبلغاً من النقود قيمته الفين أو الفين ومائتي جنيه ، ولا أتذكر بالضبط حتى يستطيع السفر إلى شقيقه وكان بذلك بدافع الصداقة فقط التي تربطني بشقيقه نور كما شاهدته بالصدفة سنة ١٩٨٣ تقريبا ، قبل حضور نور للاقامة النهائية في مصر ، وكان ذلك بجوار قطعة أرض مملوكة لي بشارع الشهيد عبدالمنعم اسماعيل وكان لقاء عابراً لأنني توجهت إلى هذا المكان بسبب سقوط عمارة على الفيلا المجاورة لأرضي بعد أن قرأت ذلك في الصحف .

• هل تقابلت مع أحمد عصام بعد ذلك في أية مناسبة أو تردد عليك في مسكنك الجديد ؟

ـ قابلت أحمد عصام بعد ذلك في مسكنه اثناء إقامة نورالدين وكان ذلك بصورة عابرة لأنني كنت أذهب للقاء نور وكانت مدة إقامة نور لديه قصيرة ، ونور كان يزورني كثيراً في منشية البكري .

ولكن عصام لم يأت لمقابلتي وعلى ما اتذكر أنه في مرة كان نور قد ترك مسكن عصام وأقام في شقة مفروشة ثم في شقة في مدينة نصر . وكان نور قد إتصل بي واخطرني انه سوف يتزوج بأخرى وأعطاني وصف محل شقته الجديد ، وذهبت ولكنني لم أستطع أن أصل إلى هذا المنزل فذهبت إلى عصام وطلبت منه أن يقوم بتوصيلي لمسكن محمود في مدينة نصر وهذه المرات التي أتذكر مقابلتي فيها مع عصام .

● هل علمت بأن إسما حركيا يطلق على أحمد عصام في تعامله معك ؟

ـ لا أعرف لعصام إلا اسمه .

● الم يخبرك أحد أن شخصاً ، اسمه ممدوح الدسوقي طلب مقابلتك أو ترك لك رسائل في غير حضورك ، وأن هذا الاسم متفق على أن يستخدمه أحمد عصام معك في حالة عدم تقابلك ؟

ـ لم أسمع اسم ممدوح الدسوقي على الإطلاق كما أن أحمد عصام معروف في المنطقة والبواب بتاعي يعرفه وكذلك أهلي يعرفون أحمد عصام أخو محمود وغير متصور أن يستخدم أحمد عصام اسما آخر .

● هل علمت بواقعة اعتداء محمود نورالدين على شقيقه أحمد عصام ؟

ـ لم أعلم شيئا عن هذه الحادثة.

● هل هناك أي علاقة تربط بين أحمد عصام وبين أي من شقيقيك ؟

فلا تتعدى العلاقة (بين أحمد عصام وشقيقيه) أكثر من العلاقة التي تربطني به . وهي بالنسبة لنا لا تتعدى كونه شقيقاً لأحد أصدقائنا .

● هل تم طرح أية إمور تتعلق بالنواحي السياسية للبلاد وعن علاقتها بإسرائيل

وأمريكا والتواجد الإسرائيلي والأمريكي في مصر وهل تم تبادل ذلك بينك وشقيقيك وبين محمود نورالدين وعصام والعمل على الحد من هذا التواجد في مصر ؟

ـ لم يحدث ذلك وحدود علاقتي بمحمود وإنه لم يتم طرح مثل هذه الأمور وإستمرت علاقتي بمحمود حتى ضبط ، مجرد علاقة أسرية وعائلية أما أحمد عصام وعلاقتي به فمحدودة جدا كما ذكرت .

● هل لديك معرفة بأي من :

احمد علي محمد ، ونظمي حسن سيد أحمد ، جمال عبدالحفيظ ، ومحيي الدين علي ، سامي ، حامد محمد علي شرف ؟.

ـ الشخصين اللي أعرفهم لما نور عَزّل هما الشيخ حامد ومحيي وهو ضابط شرطة يعمل في المطار ، وعرفتهما أثناء ترددي على محمود وعلاقتي بهما سطحية .

وأتذكر اسماءهم حاليا بسبب أن محمود يتكلم على الشيخ حامد ويقول إنه راجل بتاع ربنا ومحيي كان موجودا لما جه محمود يعزمني على فرحه في الاسكندرية ولكن لم أذهب إلى هذا الفرح بسبب سفري للخارج .

● هل كنت تقوم بالتجول أثناء ترددك على محلي إقامة محمود نورالدين في أرجاء مسكنه سواء في مدينة نصر أو مصر الجديدة ؟ .

ـ أنا أتذكر أنني عندما كنت أذهب إليه في مدينة نصر وهي مرة واحدة اما التى في مصر الجديدة كنت أحيانا أدخل غرفا مختلفة في الشقة حسب وجود محمود فيها ، وأحيانا يكون في غرف النوم .

● ألم تلاحظ وجود أسلحة نارية أو ذخائر بكميات كبيرة بمحل إقامته أو آلة كاتبة ؟

ـ لا لم الاحظ وجود شيء من ذلك وأنا عندما أدخل شقته أتوجه إلى أي مكان بالشقة .

● ماهي طبيعة الأعمال التي قمت بها عقب عودتك إلى مصر . ومصدر الأموال

التي قمت بشراء قطعة الأرض الفضاء وإقامة مسكن عليها ؟
ـ أنا بعت سنة ١٩٧٩ وكان معي بعض الأموال وذلك نتيجة بيع مسكني في لندن . حيث كانت الأسعار تتضاعف هناك بالنسبة لأسعار العقارات وكذلك في السنة الأخيرة لعملي في لندن تضاعف راتبي عن عملي بمكتب الهيئة العربية للتصنيع . بالاضافة إلى حصتي من شركة مودرن كونتراكتورز في ذلك الوقت فأنا شريك موصي بها وعندما قمت بشراء قطعة الأرض كانت تحقق أرباحا قبل تعرضها لأزمة بسبب مشروع الثروة السمكية واستطاعت تجاوزه والذي يعرف تفاصيل الوضع المادي في الشركة هو الشريك المتضامن شقيقي عبدالحميد والذي جعلني لا أعرف تفاصيل هو مرضي لفترة طويلة كما ذكرت .

● ماقولك فيما قرره أحمد عصام من أنه عقب عودة شقيقه إلى مصر قرب نهاية ١٩٨٣ طلب منه شقيقه أن يتوجه إلى منزل شقيقك خالد بشارع الثورة في أرض الجولف وأن شقيقه محمود صعد إلى مسكن شقيقك خالد بينما بقى هو في سيارة أسفل المسكن ، وبعد وقت عاد إليه شقيقه وبعد وصولهما إلى مسكنه أخبره شقيقه بأنه التقى بك وأخبره عن خالد وعبدالحكيم واتفق معكما على تكوين منظمة ناصرية بها جناح عسكري وأن شقيقه محمود سيكون المسئول عن هذا الجناح وانتم بإحضار أسلحة نارية واستخدامها في اغتيال اليهود المقيمين في مصر للضغط على الحكومة المصرية حتى يشعر اليهود في مصر بالخطر وتقوم إسرائيل بإغلاق سفارتها في مصر وتسقط إتفاقية السلام معها ؟

ـ لم يحدث هذا على الإطلاق وأنا عمري مااجتمعت مع شقيقي ومحمود في وقت واحد على الإطلاق لأنني كما ذكرت دائم السفر في الخارج .

● كما أضاف أحمد عصام أيضا في أقواله أنه في وقت لاحق للقاء السابق طلب منه شقيقه محمود نورالدين أن يتوجه به إلى منزل شقيقك عبدالحكيم في عمارة بشارع الأندلس بجوار فيلا أشرف مروان خلف حديقة الميرلاند وعندما صعد شقيقه إلى هذا المسكن وبعد مرور فترة من الوقت حوالي ساعة عاد إليه وأخبره بأنه كان في جلسة عمل معك وشقيقيك خالد وعبدالحكيم ؟

ـ لم يحدث !

• ماقولك فيما قرره أحمد عصام أيضا بأن شقيقه محمود نورالدين عند مواساته وإعتذاره له عن إعتدائه عليه بإطلاق أعيرة نارية عليه أخبره بأن شقيقك خالد سوف يقوم بزيارة الرئيس الليبي وسوف يحصل منه على مبالغ مالية حيث أن الرئيس الليبي وعده بأنه سوف يقدم مبلغ أربعة ملايين دولار وسوف يتم توزيعها على أن تحصل أنت وكل من شقيقيك خالد وعبدالحكيم ومحمود نور على مبلغ مليون دولار ؟

ـ لم يحدث على الإطلاق أن وعد الرئيس الليبي لي أو لأحد أشقائي ولم أحصل على أي مبالغ من ليبيا وكان يحدث أحيانا أثناء مقابلتي للرئيس الليبي وبعض الحكام العرب سؤالي عن من هم أفراد منظمة ثورة مصر ومن وراءهم . وكان يبدو لي أنهم لا يعرفون شيئا عنها وأنا كنت أسأل عن هذا بإعتباري مصرياً . وكانت الأحداث التي تقوم بها هذه المنظمة تثير فضولهم فكنت دائما أجيبهم بأنه لا علم لي .

• ماقولك فيما قرره أحمد عصام الدين السيد احمد عبدالسلام من أنه قد تلاحظت له بعض الشواهد عن حصولكم على مبالغ مالية طائلة تمثلت بالنسبة لك في شراء قطعة أرض بجوار مسكنك وبناء فيلا خاصة لك عليها ؟

ـ كما ذكرت من قبل بالنسبة لقطعة الأرض الفيلا كانت نتيجة الربح الذي حققته من بيع المسكن في لندن ومكاسب الشركة في الفترة الأولى ، وعموما لم تكن الأموال متوافرة في وقت واحد لبناء هذه الفيلا ولذلك استمر بناؤها لمدة سنتين ولدي المستندات التي تثبت وتبين مصدر حصولي على الأموال التي اشتريت بها قطعة الأرض وبنيت بها هذا المنزل .

• ماقولك فيما قرره أحمد عصام من أن شقيقه محمود نورالدين ارسل إليك بمسكنك بالفيلا المجاورة لمسكنه وذلك ليخبرك برغبة شقيقه في مقابلتك حيث كنت

تنوي السفر في ذلك الوقت إلى لندن وانه تقابل بك في هذا المنزل ووصفه بأنه اخضر مكون من طابقين وانه دخل الدور الأرضي ووصفه بانه عبارة عن صالة كبيرة بها أنتريه وسلم شبه حلزوني يؤدي إلى الطابق العلوي وانه نقل لك رسالة شقيقه محمود في ذلك الوقت ؟

ـ لا أتذكر إن كان أحمد عصام حضر إلى مسكننا أم لا . ولكن الذي اتذكره انني لم ألتقي به في منزلي ويمكن ساب رسالة ، ولكنني لا أذكر لان معرفتي به محدودة جدا . اما عن وصف مسكني فهو وإن كان وصفه من الداخل ولكن الوصف ينطبق على أي فيلا من وجود صالة في الطابق الأرضي وسلم يؤدي إلى الدور العلوي وسكني ليس قصرا فلا تتعدى مساحة الأرض خمسمائة متر .

● ماقولك فيما قرره أحمد عصام من أن شقيقة محمود نورالدين طلب منه أن يتسمى باسم ممدوح الدسوقي عندما يلتقي بأحد ليطلب منه لقاؤك ؟

ـ هو قول كاذب وإنه وقت أن حضر لي بمنشية البكري قال أنه عصام وعرف نفسه أنه شقيق نورالدين وهو معروف باسم عصام لدى بواب الفيلا . ولو أراد محمود أن يبلغني بشيء فالتليفون موجود وعموما أنا كنت أعرف من محمود إنه موجود وإنه بعد زواجه من الزوجة الثانية كان بالإسكندرية لأن زوجته من هناك

● كما قرر أحمد عصام بأنه هو وشقيقه محمود نورالدين والأشخاص الذين سبق ذكر أسمائهم اشتركوا في حوادث اغتيال ومحاولة اغتيال بعض الإسرائيليين والأمريكيين الذين يعلمون في مصر من منطلق تنفيذ مخطط المنظمة التي تطلق على نفسها منظمة ثورة مصر والتي أخبره شقيقه محمود نورالدين أنك شاركت في تكوينها وإنشائها ؟.

ـ لم يحدث . ليس لي أي علاقة بخصوص المنظمة وأعضائها وأشخاصها ومن هم وراؤها .

● بم تعلل ما قرره أحمد عصام الدين ؟

–

● أنت متهم بتكوين وتأسيس منظمة لمناهضة المبادىء الأساسية ونظم الحكم واستخدام القوة ؟.

ـ لم يحدث .

● كما إنك متهم بالتخابر مع دولة أجنبية للقيام بأعمال من شأنها الإضرار بالمصالح السياسية والدبلوماسية والإقتصادية للبلاد بقصد الإضرار بالمصالح القومية بها ؟

ـ ماحصلش .

● كما إنك متهم أيضا بقبول مبالغ مالية على سبيل الرشوة من دولة أجنبية للبلاد للقيام بأعمال من شأنها الإضرار بالمصالح القومية ؟

ـ ماحصلش .

● هل سبق إنك أتهمت ؟

ـ لا .

● هل لديك أقوال أخرى ؟

ـ لا .

(تمت أقواله)



٥ ـ أقوال عبدالحكيم عبدالناصر
في تحقيقات نيابة أمن الدولة

● ماهي طبيعة علاقتك وشقيقيك خالد وعبدالحميد بمحمود نورالدين السيد ؟

ـ محمود نورالدين السيد ، كان يعمل في السفارة المص رية في لندن وشقيقي عبدالحميد كان سكرتير ثالث بالسفارة بلندن ، وكان شقيقي خالد يقوم بتحضير رسالة الدكتوراه في الهندسة بلندن وأنا كنت وقتها طالباً في كلية الهندسة بجامعة القاهرة وكنت أتردد على شقيقيّ بلندن ومن هناك تعرفت بمحمود نورالدين عن طريق شقيقي عبدالحميد وصارت المعرفة وتوطدت عائليا ، وكان هناك تزاور يتم بيننا جميعا إلى أن أنهى شقيقي خالد رسالة الدكتوراه وعاد إلى القاهرة ، وفي نفس الفترة كان شقيقي قد أعير إلى مكتب الهيئة العربية للتصنيع بلندن ثم نقل إلى وزارة الخارجية بالقاهرة ، والمهم أن العلاقة بمحمود نورالدين تباعدت بعد نزول أشقائي وعودتهما إلى القاهرة ، وكانت تقتصر صلتي بمحمود نورالدين على إتصال تليفوني منه أو إذا سافرت لندن .

● ومتى عاد خالد إلى مصر ؟

ـ في أواخر سنة ١٩٧٩ أو أوائل سنة ١٩٨٠ تقريبا .

● وهل استمر محمود نورالدين في عمله بالسفارة المصرية بلندن بعد عودة أشقائك من لندن ؟

ـ حسب معلوماتي : محمود نورالدين كان ساب العمل في السفارة قبل مايترك خالد وعبدالحميد لندن بحوالي سنتين وكان ذلك في أواخر السبعينات .

● وهل وقفت على سبب ترك محمود نورالدين عمله بالسفارة المصرية بلندن ؟

ـ في الحقيقة مش عارف سبب ترك محمود عمله بالسفارة لكن اللي عرفته أنه لما ساب عمله بالسفارة كان بيشتغل في مجلة ، معرفش رئيس تحرير أو مدير ، وكان

معه محمود السعدني وهما دول الاثنين الكبار اللي كانوا في المجلة .

● وما اسم هذه المجلة ؟

ـ اسمها ٢٣ يوليو .

● أما شاركت في كتابة أي موضوعات أو تحقيقات صحفية في أي موضوع بهذه المجلة ؟

ـ لا .

● وهل كانت إمكانيات محمود نورالدين المالية عندما ترك العمل بالسفارة تسمح له بإصدار مجلة في لندن ؟

ـ أنا طبعا ماأعرفش إمكانياته المادية أد أيه ولكن الظاهر لي من خلال رؤيتي لمحمود أنه كان ميسور الحال من الناحية المالية وذلك من ركوبه سيارة ، فضلا عن معيشته في مستوى راق ومظهره يدل على يسر حاله .

● وهل كان ثمة نشاط آخر يمارسه محمود نورالدين السيد بلندن بعد تركه العمل بالسفارة ؟

ـ كل اللي أعرفه إن محمود نوالدين لما كان في السفارة ، كان دائما يتحدث عن شراء وبيع عقارات تتم بمعرفته في لندن ، أما بعد ترك العمل في السفارة فلا علم لي سوى موضوع المجلة والذي تحدثت عنه من قبل .

● وهل وقفت على سبب عودة محمود نورالدين من لندن والاقامة بصفة دائمة في مصر ؟

ـ كل اللي أعرفه : المجلة اللي كان بيشتغل محمود فيها توقفت بعد إصدارها بحوالي سنة أو سنة ونصف تقريبا ولا أعلم سبب توقفها بالضبط ، وكل اللي فهمته من محمود أنها توقفت لبعض الخلافات بينه وبين محمود السعدني وبعض المحررين .

● وهل كان الخلاف الذي نشب بين محمود نورالدين ومحمود السعدني خلاف سياسي أم عادي ؟

ـ ما اعرفش ، ولم يكن يعنيني هذا الأمر .

• وهل علمت بعودة محمود نورالدين وإقامته بالقاهرة بصفة دائمة ؟

ـ أنا كنت بعرف لما ييجي القاهرة بيتصل في التليفون فأعرف إنه موجود في القاهرة ولكن سيقيم بصفة دائمة أم لا ، فهذا الأمر لم أكن أبحث عنه وليس لي اهتمام بذلك .

• وهل من لقاءات جمعتك ومحمود نورالدين خلال أعوام من ٨٤ حتى الآن ؟

ـ أيوه حصل إني شفته أكثر من مرة خلال الفترة دي ، وكان إما بيتصل بي في التليفون ويقول عاوز أجيلك أو أنا أعدي عليه وأنا ماأقدرش أحدد مواعيد هذه اللقاءات أو تواريخها . وكان بيسأل عن أخبار الشغل إذا كان ممكن يتم أي شغل في مجالات المقاولات أو أي مكان آخر . وأنا لم أزره إلا في بيت أخته في مصر الجديدة مرة واحدة خلال الفترة اللي فاتت وكان الكلام ده قبل ٨٤ .

• وأين كان يلتقي بك محمود نورالدين عندما يحدث لقاء بينكما حسبما ذكرت ؟

ـ كان بييجي عندي في البيت في عنواني ٣ شارع الأندلس بمصر الجديدة .

• وهل كان لقاء محمود نورالدين بك يتم بموعد سابق بينكما ، أم أن العلاقة التي بينكما تسمح له بالمرور عليك في أي وقت يريده ؟

ـ لا . طبعا لما كان محمود يعوز يقابلني بيضرب تليفون . فإذا كنت موجود أرد عليه ويحدد الميعاد سلفا أو بيسأل عني في التليفون زي مابيحصل بين الأصدقاء .

• وهل كانت هناك ثمة أمور مشتركة بينك وبين محمود نورالدين ؟

ـ لم يكن بيني وبين محمود نورالدين أي أمور مشتركة ولكن كل حديثه عند لقائي به ، هو للاطمئنان عليّ أو أي أخبار إجتماعية عائلية أو كلام بخصوص عمل الشركة بتاعتي .

• هل وقفت على إنتماءات محمود نورالدين السياسية ؟

ـ أنا كنت أحس إنه مهتم بنا جدا باعتبارنا أولاد عبدالناصر وكان بيشعرني بأنه بيحب عبدالناصر ولا أعرف شيئا عن إنتماءاته السياسية لأني لم أتحدث معه في شأنها .

● وما صلتك بأحمد عصام الدين السيد ؟

ـ أنا شفت عصام في أوائل الثمانينات وعرفت أنه أخو محمود نورالدين .

● ماهي ظروف التعارف ؟

ـ ظروف التعارف هي أنه كان قد مر علينا في البيت في منشية البكري . وهو بيت الأسرة وكان عبدالحميد في هذا الوقت يقيم في نفس البيت مع والدتي ، لأنه لم يكن له مسكن خاص وبعدين في اليوم ده وأنا داخل لقيته قاعد مع عبدالحميد وقال لي ده أخو نورالدين . ودي كانت أول مرة أشوف عصام بس أنا كنت أعرف من محمود نورالدين إن له أخوات بنات وصبيان منهم عصام .

● وما مدى الصلة القائمة بينك وبين أحمد عصام ؟

ـ أنا كنت بشوفه على فترات متباعدة إلا بمناسبة الذكرى السنوية للمرحوم والدي أو ييجي الشركة ويبدي استعداده أنه ممكن يورد حديد أو مواد بناء ، ولكن كان كله كلام لأنه ماحصلش بيننا أي شيء ، وهو كان مفهمني إنه عنده مكتب استيراد وتصدير .

● هل تذكر عدد اللقاءات التي جمعتك بأحمد عصام ؟

ـ أنا لم أتردد على مسكن أحمد عصام ولكن حدث ذات مرة أنه كان موجودا في مكتبي بالشركة وكنت نازل مروح بيتي فأخذته في طريقي ووصلته لبيته .

● وأين يقيم عصام الدين السيد ؟

ـ في شارع لا أعرف اسمه متفرع من شارع النزهة ومحصور بين شارعي الثورة والحرية .

● وهل حضر لقاءاتك مع محمود نورالدين أي من أشقائك خالد وعبدالحميد ؟

ـ ماأقدرش أحدد بالضبط وماأفتكرش إن هو كان موجود لما محمود كان بييجي وماأقدرش أفتكر .

● **هل مازلت مقيما بالعنوان الذي ذكرته في هذا التحقيق ٣ شارع الأندلس خلف الميرلاند في مصر الجديدة ؟**

ـ هذا العنوان هو محل إقامتي وأسرتي وأقصد زوجتي وأولادي . وإذا تركت هذا المسكن فأكون في منشية البكري في منزل الأسرة ١ شارع منشية الطيران .

● **ألا يوجد محل إقامة آخر لك بالقاهرة ؟**

ـ لا .

● **وما معلوماتك عن منظمة ثورة مصر ؟**

ـ أنا لا أعلم عنها شيئا .

● **ألم يتحدث معك محمود نورالدين السيد في شأن هذه المنظمة أو نشاطها ؟**

ـ لا إطلاقا .

● **أما وقفت على أن لمحمود نور الدين السيد ثمة علاقة بمنظمة ثورة مصر ؟**

ـ إطلاقا .

● **هل من معاملات ماليه جرت بينك وبين محمود نورالدين السيد أو شقيقه أحمد عصام الدين خلال فترة تعارفكمها ؟**

ـ لا لم تجر بيني وبين محمود نورالدين أو شقيقه أحمد عصام أي معاملات مالية بأي صفة من خلال عمل مشاريع تجارية أو قروض أو مساعدات أو إعانات أو أي شيء يقال عنه معاملات مالية بيني وبين المذكورين .

● **ومتى تم إنشاء شركة مودرن كونتراكتورز ؟**

ـ العقد كان في ديسمبر ١٩٧٩ وهو عقد التأسيس وهي شركة توصية بسيطة وسجلت في السجل التجاري في ١٩٧٨/١/٩ وبدأت نشاطها في مجال المقاولات في إبريل ٧٨ .

● **ومن هم المؤسسون ؟**

ـ بيني وبين خالد أنا متضامن وخالد شريك موصي وبعدين عدل هذا العقد في أوائل ١٩٧٩ أصبحت شريك متضامن مدير عام الشركة والمهندس محمد عبدالحميد شريك متضامن والمدير المسئول في الشركة ، وخالد وعبدالحميد وعمرو حسين شعبان شركاء موصيين .

• وما قيمة رأس مال الشركة ؟

ـ أول عقد كان عشرين ألف جنيه ثم عدل إلى ٣٤٠٠٠ جنيه وكسور وأنا وأشقائي نملك ٨٥ ٪ والباقي ١٥ ٪ منها لأحمد عبدالحميد والباقي ٥٪ لعمرو .

• وهل من تعديلات على رأس مال الشركة ؟

ـ حصل تعديلات رفع رأس المال إلى ١٥٠ ألف جنيه في ٨٣/٨٢ لأن حجم العمل كبير ولا بد من زيادة رأس المال ثم عدل في ١٩٨٧/١/١ أصبح رأس مال الشركة مليون جنيه ..

• ألم يحدث خلل في ميزانية الشركة منذ إنشائها وحتى الآن كان سيؤدي إلى إفلاسها ؟

ـ نعم حدث ذلك بسبب مشروع الثروة السمكية .

• وهل من مصادر خارجية لتمويل أعمال هذه الشركة ؟

ـ اللي حصل ساعة الأزمة التي تحدثت عنها من قبل وكانت الشركة مهددة بالإفلاس الفعلي فلجأت إلى شقيقي خالد وقلت له إن الشركة حتفلس . قال لي ماتحملش هم وقال لي إيه هي إحتياجاتك فقلت له الحصول على خطاب ضمان أو تسهيلات بنكية فكان خالد هو الذي يتصرف في الحاجة وبيجيب لي خطابات الضمان والأوراق اللي جابها موجودة في مستندات الشركة .

• ومن أين لخالد عبدالناصر الأموال أو التسهيلات التي أجراها في شأن الشركة ؟

ـ لا أعلم ولكنني أبرز له المشكلة وهو الذي يتصرف ولا أناقشه في ذلك .

• وهل تذكر حجم التسهيلات أو خطابات الضمان التي أقامت الشركة من عثرتها وتهديداتها بالإفلاس والتي تصرف فيها شقيقك خالد ؟

ـ حجم الأعمال كلها ٧٠٠ ألف دولار ولم تكن دفعة واحدة وتفاصيلها موجودة في البنوك وفي الشركة .

● وهل وقف نور أو أحمد عصام على حال الشركة عندما كانت مهددة بالإفلاس ؟

ـ أنا عمري ماناقش محمود أو عصام في مثل هذه المسائل .

● وهل وقفت على ثمة خلاف أو مشادة حدثت بين محمود وشقيقه أحمد عصام ؟

ـ انا معرفش حاجة بخصوص الموضوع ده .

● ألم تقم بزيارة أحمد عصام السيد بمسكنه أو بمستشفى بمناسبة مرضه أو إصابته ؟

ـ لم يحدث والمرة الوحيدة اللي أنا وصلته فيها لأمام بيته لكنني لم أتردد على مسكنه أو عليه في أي مكان آخر .

● وأين كان محمود نورالدين السيد حالة ترددك عليه في القاهرة ؟

ـ في المرة الوحيدة التي زرت محمد فيها كان عند أخته في مصر الجديدة ، معرفش العنوان بالضبط ولكن ممكن أروحه وهو فيلا في منطقة صلاح الدين بمصر الجديدة .

● ومتى كان ذلك ؟

ـ من زمان قوي من ثلاث أو أربع سنين تقريبا .

● وله لك ثمة أعمال في ليبيا ؟

ـ لا .

● وهل لك ثمة أعمال في أي دولة عربية أخرى ؟

ـ أعمال مقاولات بدولة الامارات العربية من حوالي سنة ١٩٨٢ وأعمالي هناك شركة وشريكي فيها الشيخ فيصل بن سلطان بن خالد الفاسى ، وتملك شركتنا في هذا الشركة ٤٩ ٪ ورأس مالها مليون درهم واللي ماسك أعمالها هناك مؤخرا عمرو حسين وقمنا بتنفيذ العديد من الأعمال هناك..

● وماهي آخر زيارة قمت بها إلى ليبيا ؟

ـ آخر زيارة كانت في سنة ١٩٨٤ .

● وما مناسبتها ؟

ـ كان عم العقيد القذافي توفي وكانت الزيارة للعزاء .

● وهل من إتفاقات تمت بينك وبين العقيد القذافي أو من يمثله بشأن زيارة خالد عبدالناصر ؟

ـ لم تحدث أي إتفاقات بيننا لأن العلاقة بين أسرتينا علاقة عائلية .

● هل يتعين عند سفرك إلى ليبيا للقاء العقيد القذافي تحديد مسبق لموعد هذا اللقاء وتاريخه ؟

ـ لازم طبعا علشان يكون هناك من يقابلني ويسهل مأموريتي .

● ألم يدر بينك وبين العقيد القذافي حديث في شأن ثورة مصر ؟

ـ لا إطلاقا .

● وما مدى علمك في شأن سفر شقيقك خالد إلى ليبيا وخلال الفترة منذ ١٩٨٢ حتى الآن ؟

ـ طبيعي خالد كان بيسافر عادي وما أذكره الآن هو أن آخر سفرية له كانت في ٢٣ يوليو من هذا العام كما أذكر إنه بعد الهجوم الأخير على ليبيا سافر خالد للاطمئنان عليه .

● وما الذي تعرفه عن ممدوح دسوقي ؟

ـ لا أعرف أحدا بهذا الاسم ، ولا يعني شيئا بالنسبة لي .

● ألم يلتق محمود نورالدين بك في حضور شقيقيك خالد وعبدالحميد في مسكنك ؟

ـ لم يحدث ذلك في القاهرة اطلاقا .

● ألم يلتق محمود نورالدين معك وأشقائك المذكورين بمسكن أي منهما بالقاهرة منذ عام ١٩٨٤ وحتى الآن ؟

ـ لم يحدث .

●وما معلوماتك بشأن المقدم أحمد علي محمد علي ؟

ـ أنا لا أعرف شخص المقدم أحمد علي لأنني لم أتعرف عليه كما لم يقدم أي أحد نفسه لي بهذا الاسم .

• ألم يحدثك شقيقك خالد أو عبدالحميد عن المقدم المذكور ؟

ـ لا .

• وهل حدثك أحد من العاملين بالشركة في شأن ضبط أي من أقاربهم في تهمة قضية معينة ؟

ـ فيه واحد اسمه المهندس/ اسم كان بيشتغل بالشركة عندنا مدير ادارة الورش والصيانة قدم استقالته أثناء سفري إلى لندن والشارقة خلال الفترة من ٣٠ / ٩ حتى ٩ / ١١ ولما سألت عن سبب إستقالته قالوا لي في الشركة إن أخو مراته إتمسك في قضية ثورة مصر ومراته كانت موظفة عندنا في شئون العاملين واسمها نبيلة .

• هل علمت بأن محمود نورالدين أطلق على شقيقه أحمد عصام أعيرة نارية أثناء مشاجرة حدثت بينهما ؟

ـ لا .

• وهل وقفت على سبب وجود أحمد عصام السيد مع شقيقك عبدالحميد بمنزل الأسرة بمنشية البكري حال تعرفك عليه ؟

ـ اللي عرفته في أوائل سنة ١٩٨٠ إنه كان عاوز ثمن التذكرة علشان يسافر السويد لأخيه نور وعبدالحميد أخويا أعطاه ألفين جنيه لأنه صديق نور .

• وماقولك فيما قرره أحمد عصام السيد من أنه بعد عودة شقيقه محمود إلى القاهرة في أوائل سنة ١٩٨٢ قام بتوصيله إلى منزل شقيقك خالد حيث تم لقاء أخوه عنده محمود نورالدين ، إن هذا اللقاء جمعك وخالد عبدالحميد ؟

ـ لم يحدث .

• كما أكد أحمد عصام أن شقيقه محمود أخبره أيضا بعد مغادرته لمسكن خالد أنك واشقاءك اتفقتم معه على إنشاء منظمة ناصرية لها جناح عسكري وان يكون محمود نورالدين هو المسئول عن هذا النجاح وستقومون بإمداده بالاسلحة لضرب اليهود ؟

ـ محصلش .

• كما ذكر أحمد عصام السيد في التحقيقات أنه قام بتوصيل شقيقه محمود إلى منزلك بشارع الأندلس وقد اخبره محمود أنه التقى بك وبشقيقيك خالد وعبدالحميد وأن هذه الجلسة كانت جلسة عمل ؟

ـ محصلش هذا الكلام .

• كما ذكر أحمد عصام أيضا بالتحقيقات أنه بعد إصابته من عيار ناري أطلقه عليه شقيقه محمود بشقة الأخير بمدينة نصر وإنتقاله إلى شقته ، بعد ذلك ، قمت بزيارته في مسكنه بشأن إصابته ؟

ـ محصلش ، ولم أعرف انه أصيب .

• كما أضاف أحمد عصام أنك أثناء زيارتك له وقفت على سبب أصابته وطيبت خاطره ، فما قولك ؟

ـ لم يحدث .

• وهل تلقيت منه مبالغ من العقيد القذافي أو ممن يعملون لمصلحة ليبيا أو عن طريق أي من شقيقيك خالد أو عبدالحميد خلال الفترة من ٨٣ حتى الآن ؟

ـ لم يحدث ، كما لم يخبرني شقيقي خالد أو عبدالحميد بأنهم تلقوا أي مبالغ من العقيد القذافي سواء خلال الفترة من ١٩٨٣ حتى الآن أو قبل ذلك .

• وماقولك فيما ذكره أحمد عصام بالتحقيقات بأن شقيقه المتهم محمد نورالدين أخبره بأنه علم من خالد عبدالناصر أن القذافي وعد خالد بأربع ملايين دولار توزع عليك وشقيقيك ومحمد نورالدين لكلّ مليون دولار ؟

ـ لا علم لي بذلك وغير معقول هذا الكلام ؟

• وأضاف أحمد عصام السيد أيضا أن شقيقه محمود حدد له اسم ممدوح دسوقي للتعامل به معك وأشقائك خالد وعبدالحميد في حالة الإتصالات التليفونية أو حضوره إلى مساكنكم في حالة عدم تواجدكم ؟

ـ لا علم لى بذلك ولم يتحدث معى أحد باسم ممدوح دسوقى إطلاقاً .

• وأضاف أيضاً بالتحقيقات أن هذا الاسم تم تحديده أمام شقيقك خالد عبد الناصر حال زيارته لمحمود بمسكنه الأخير .. فما قولك ؟

ـ لا علم لي أيضاً بذلك وأول مرة أسمع هذا الاسم اليوم في تحقيقات النيابة .

• كما أضاف أحمد عصام السيد بأن شقيقه محمود نور الدين أبلغه بأن المنظمة ينفق على نشاطها من العقيد القذافى وفي فترة أخرى من اشرف مروان ثم بدأ خالد يأخذ مبالغ من الشركة ملكك للانفاق على المنظمة ، فما قولك ؟

ـ لم يحدث والشركة حساباتها منظمة ويمكن الاطلاع عليها في أي وقت .

• وأضاف أيضاً عصام السيد بالتحقيقات أنه بناء على تكليف من شقيقه محمود له ، توجه إليك بمسكنك ذات مرة ولم يجدك ، وكان قد استخدام اسم ممدوح الدسوقى وفي اليوم التالى مر عليك بمسكنك وأبلغك بطلب محمود في لقائك بمسكنه ؟

ـ لم يحدث .

• وأين تقع شقتك بالعقار الذى تقطن به ؟

ـ الدور الثامن شقة ٣٣ بالعقار ٣ شارع الأندلس خلف الميرلاند .

• ما قولك فيما ذكره عصام السيد عن أوصافه للشقة سكنك مكونا عليه ما ذكره أحمد عصام في التحقيقات في شأن وصف الشقة ؟

ـ أنا فعلاً شقتى في الدور الثامن .

• وكيف وقف أحمد عصام على وصف شقتك ؟

ـ هي احتمال من اثنين ، إما محمود وصف له الشقة أو خبط في غيابى وفتح وشاف الشقة كما يمكن لمن يقف على الباب أن ينبىء هذا الوصف .

• أما وقفت على العمليات المسلحة التى قامت بها منظمة ثورة مصر ضد الإسرائيليين والأمريكيين ؟

ـ كل معلوماتى هو من خلال مانشر بالجرائد وأجهزة الاعلام عقب كل حادث وما ينشر من أن هناك منظمة تسمى ثورة مصر تعلن مسئوليتها عن الحادث . وكما ذكرت فأنا لا أعرف هذه المنظمة ولا أشخاصها ولا ما إذا كانت مصرية أو أجنبية .

• الم يتحدث معك أي من شقيقيك خالد أو عبد الحميد في شأن ماقامت به منظمة ثورة مصر من عمليات مسلحة ضد الأمريكيين والإسرائيليين ؟

ـ إذا كان حصل أي كلام عقب أي حادث من خلال مانشر في أجهزة الاعلام بينى وبين أي أحد من أخواتى فهو كلام عادى زى أي مواطن بيسمع أو بيشوف في التليفزيون ماينشر عن هذا الحادث لكن لم يخبرنا خالد أو عبد الحميد بأنهم يعرفون شيئاً عن أشخاص مرتكبى هذه الحوادث ولا يتصور أنهم على علم بأى شيء وعن هذه المنظمة أو أشخاصها .

• هل تملك سيارة خاصة ؟

ـ سيارتى مرسيدس ٢٨٠ S موديل ١٩٨٤ ، اشتريتها باسم الشركة ومخصصة لى .

• وهل تمتلك سيارة مرسيدس ٣٠٠ ؟

ـ لا .

• وهل يستلك أي من أشقائك سيارة مرسيدس ٣٠٠ ؟

ـ أيوه خالد عربية فضى وكذلك عبد الحميد عنده عربية زرقاء .

• ذكر أحمد عصام السيد في التحقيقات أنه علم من المتهم أحمد على أنك قمت بشراء سيارة مرسيدس ٣٠٠ ؟

ـ غير صحيح .

● **وهل للشركة ملكك ثمة علاقة بالرواد بالساحل الشمالى ؟**

ـ الشركة هي المقاول المنفذ لهذا المشروع لصالح جمعية الرواد ، والتعاقد تم في ١٩٨٧/١/٦ والتى يرأس مجلس إدارتها اللواء سعيد المسيرى .

● **هل تذكر كيفية حصولك على المبالغ اللازمة للشركة لدفعها كتأمين للدخول في العطاء الخاص ببناء مدينة الرواد ؟**

ـ خطاب ضمان من بنك الدلتا مقابل الدفعة المقدمة .

● **هل تملك وأشقاؤك برج شلش بمنشية البكرى ؟**

ـ لا ، ولكننا قمنا ببناء عمارة لصالح شركة القاهرة للاستثمارات والتنمية كائنة بتقاطع شارع منشية الطيران مع شارع الحكماء بالقرب من منزل الأسرة بمنشية البكرى .

● **انت متهم بالسعى والتخابر مع دولة أجنبية (ليبيا) بقصد الإضرار بمركز مصر السياسى والدبلوماسى والاقتصادى ؟**

ـ لم يحدث .

● **كما انك متهم بالإنضمام إلى تنظيم سرى غير مشروع (منظمة ثورة مصر) الغرض منه مناهضة المبادىء الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم القائم في البلاد والمعين على كراهيتها والازدراء بها والاشتراك في اتفاق جنائى الغرض منه ارتكاب جرائم القتل العمد ضد الإسرائيليين والأمريكيين وحيازة أسلحة نارية والذخائر اللازمة لتنفيذ ذلك الغرض ؟**

ـ لم يحدث .

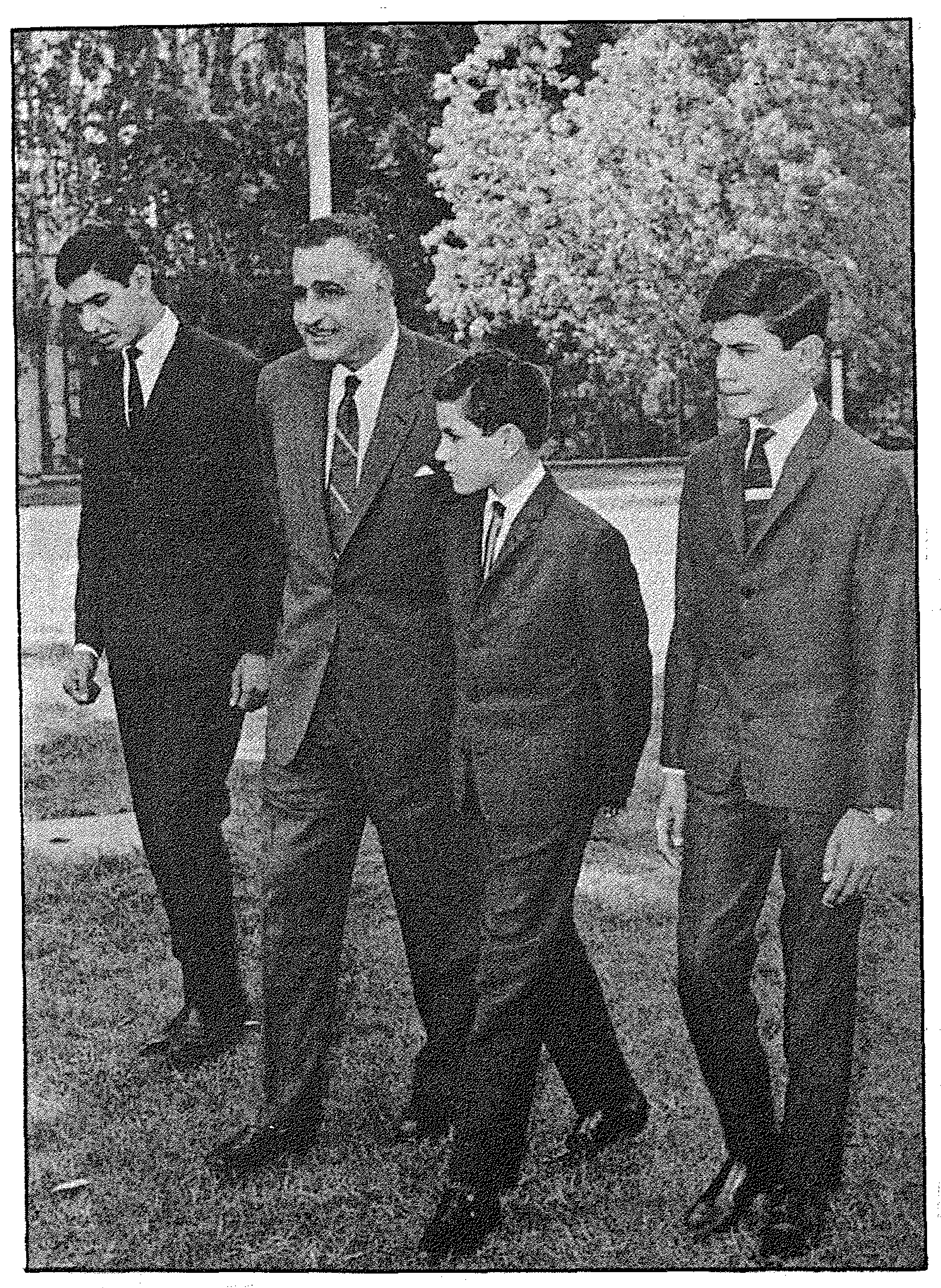
● **كما أنك متهم بعدم إبلاغك السلطات على حيازة محمود نور الدين لأسلحة نارية وارتكاب جريمة الشروع في قتل شقيق أحمد عصام رغم علمك بهذا ؟**

ـ أنا لا أعرف أن محمود يمتلك أسلحة ولا أنه ضرب أخاه عصام بأى سلاح .

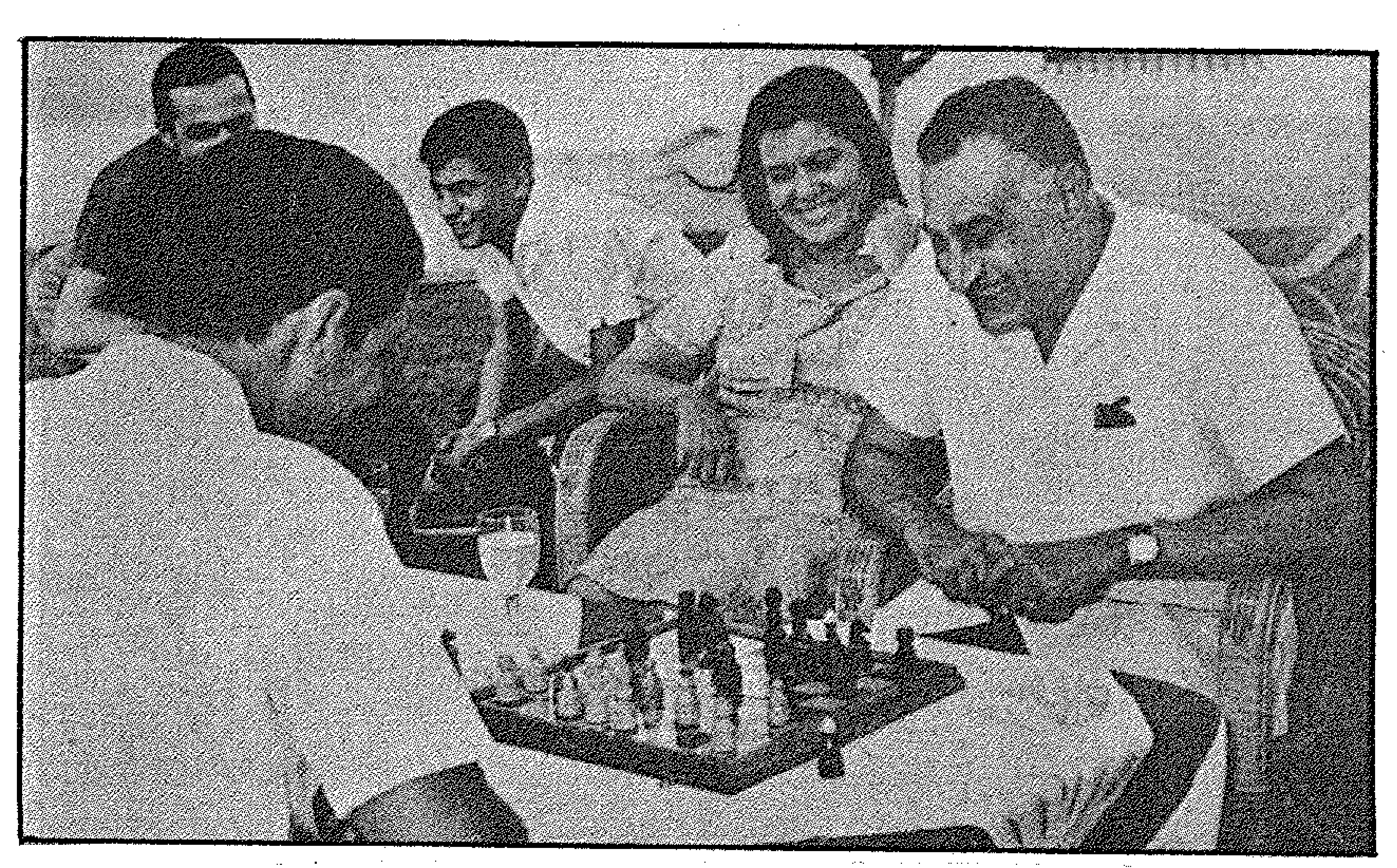
● **هل سبق أتهامك في قضايا مماثلة ؟**

ـ لا .

● ● ●



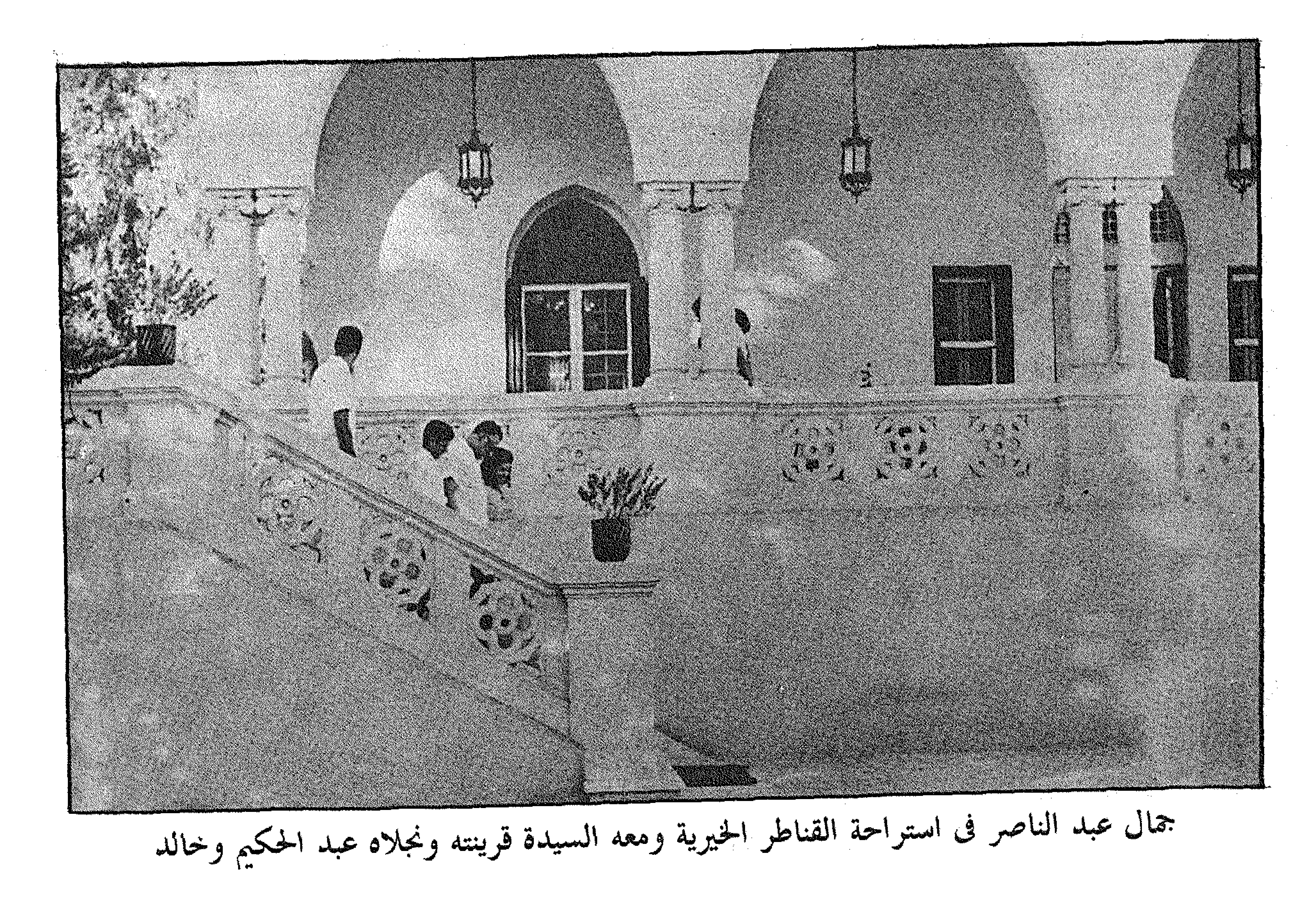
عبد الناصر .. الأب والأبناء



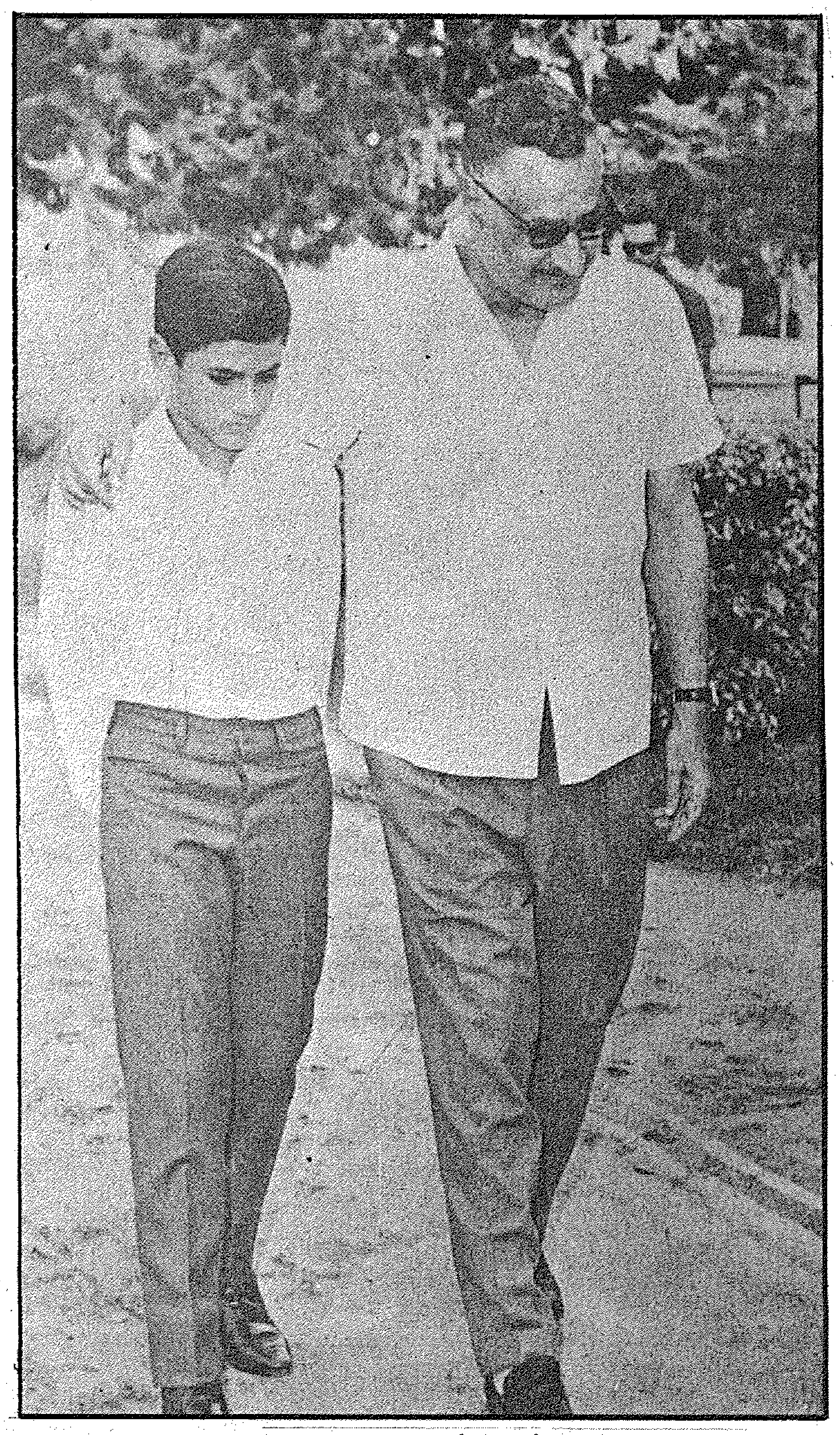
مباراة فى الشطرنج بين عبد الناصر وابنه خالد



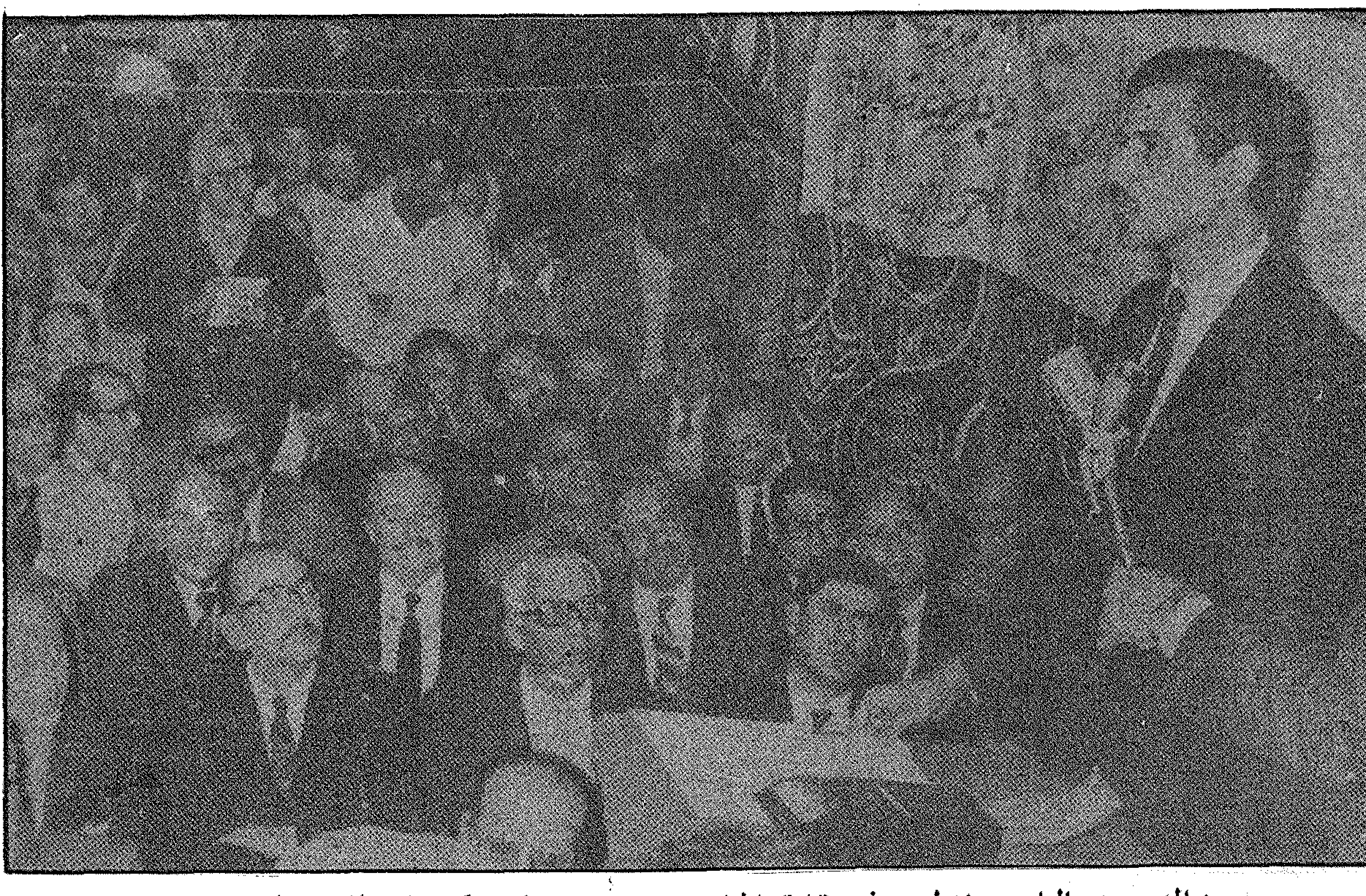
منى عبد الناصر وابنها جمال وعبد الحكيم عبد الناصر فى الخلف
وخالد عبد الناصر إلى اليمين يرقبان جمال الجد وجمال الحفيد



جمال عبد الناصر فى استراحة القناطر الخيرية ومعه السيدة قرينته ونجلاه عبد الحكيم وخالد



عبد الناصر مع أصغر أبنائه عبد الحكيم عام ١٩٦٦



خالد عبد الناصر يخطب فى نقابة المحامين .. بداية المشاركة فى اللعبة السياسية



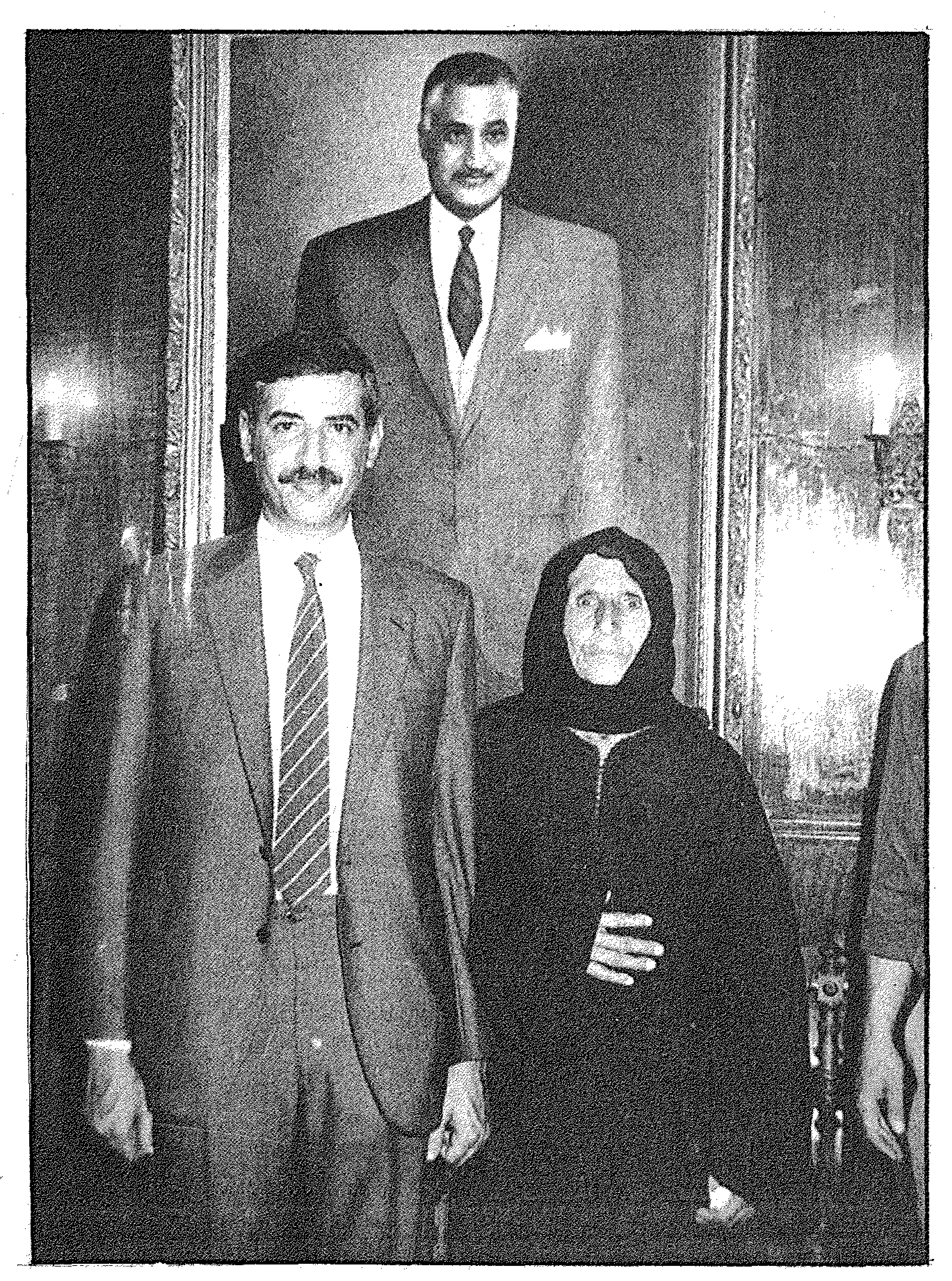
خالد عبد الناصر يتقدم مظاهرة جامعة القاهرة ردا على اختطاف الطائرة المصرية



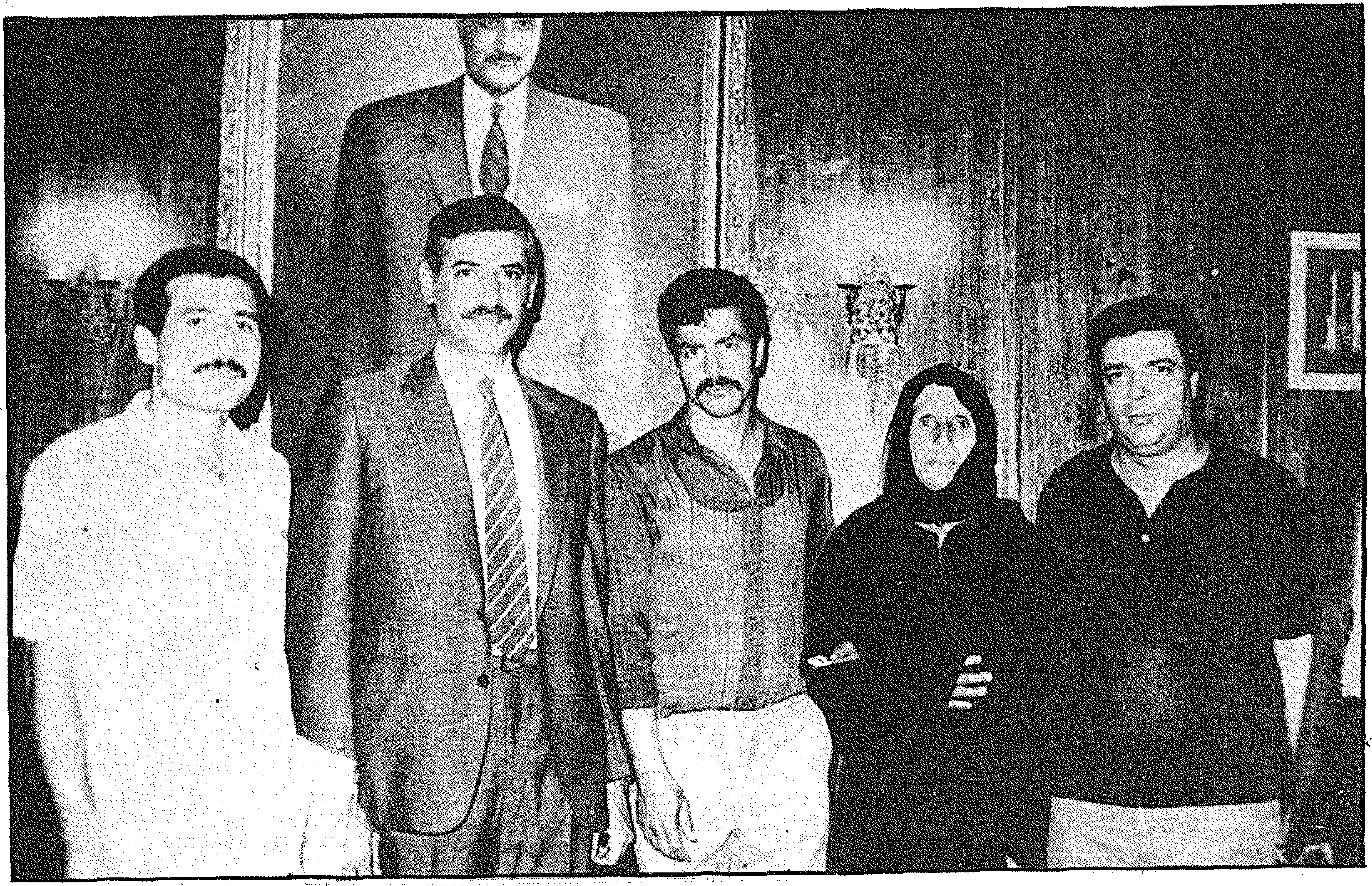
خالد عبد الناصر مع محمد حسنين هيكل



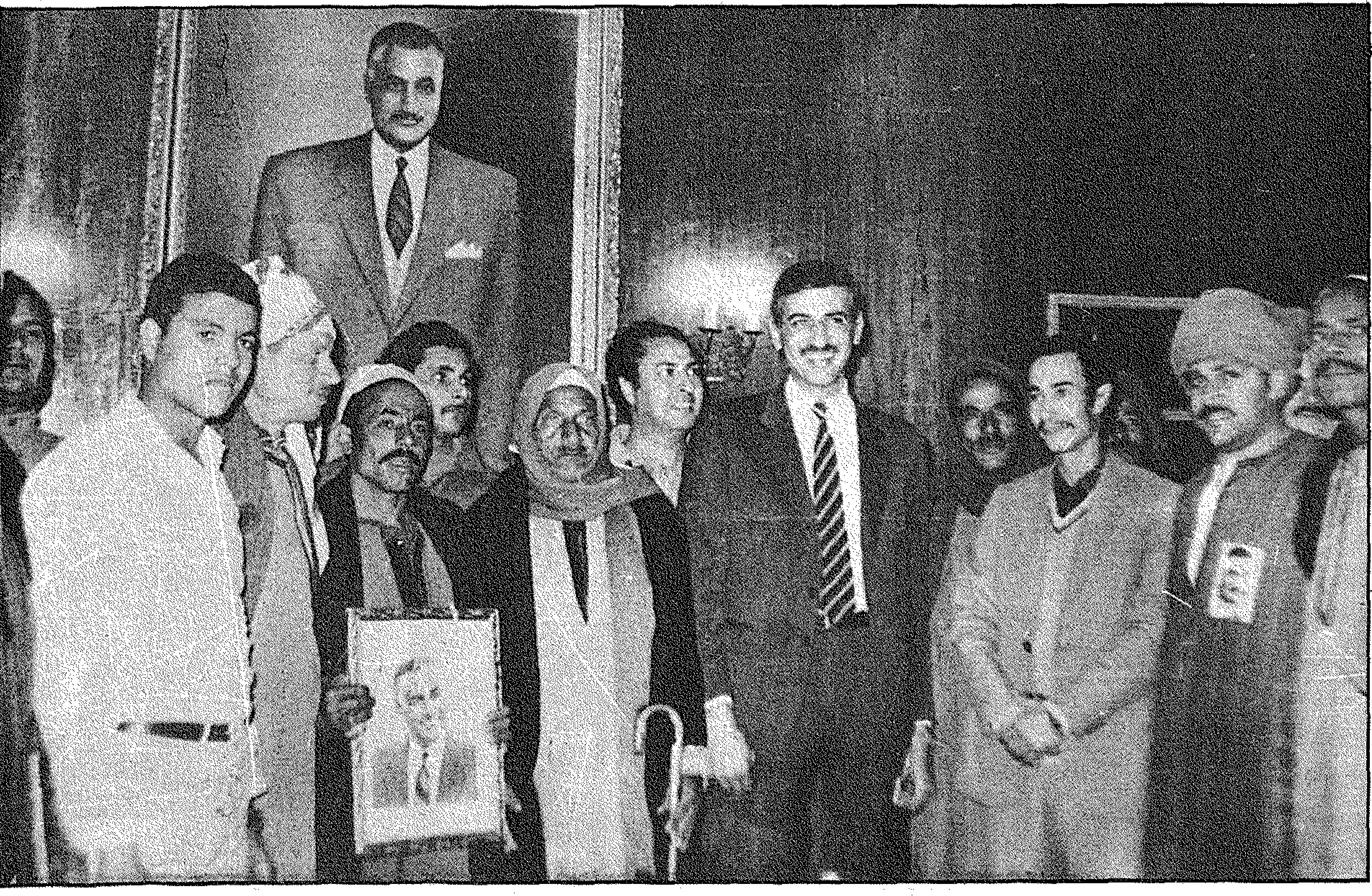
.. و مع فريد عبد الكريم وقيادات الحزب الناصرى



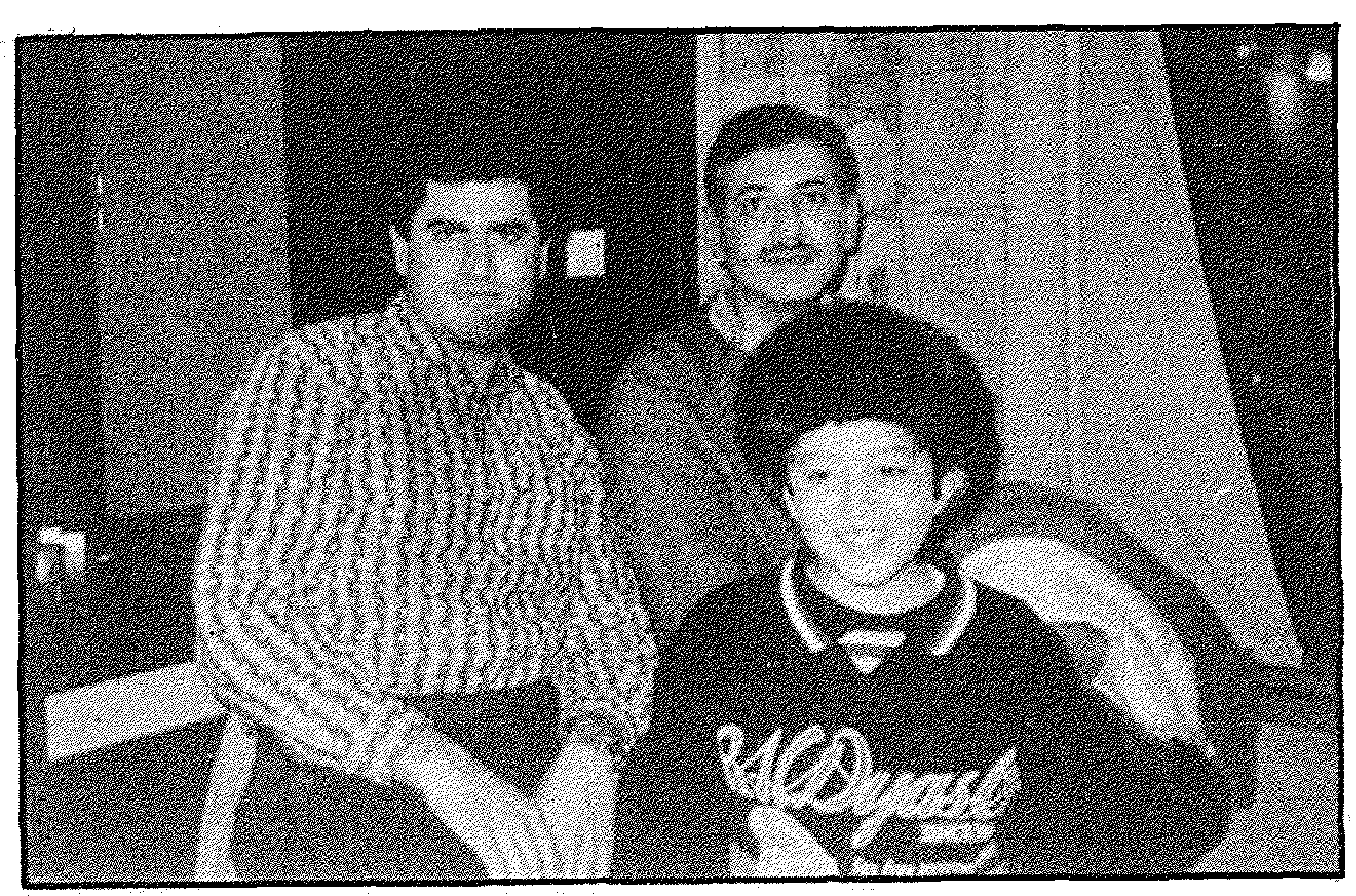
خالد عبد الناصر مع والدة الشهيد سليمان خاطر



خالد مع اسرة الشهيد سليمان خاطر



خالد عبد الناصر مع الفلاحين .. الوفاء الدائم لنضال الاب



خالد عبد الناصر فى يوغوسلافيا ومعه ابنه جمال وشقيقه عبد الحكيم



زوجة خالد « داليا سمير فهمي » فى يوغوسلافيا وأولاده تحية وماجدة وجمال



محمود نور الدين وزوجته وأولاده .. ذكريات الحياة فى لندن



محمود نور الدين
مع بناته الثلاث
داليا ودينا ولمياء



نادية حسن
سرى .. مطلقة
محمود نور الدين

محتويات الكتاب

الموضـوع — الصفحة

صدر من سلسلة «كتاب الحرية»

١ ـ هذا هو الإسلام (طبعتان) .... لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى
٢ ـ ٧٢ شهراً مع عبد الناصر (طبعتان) .... للأستاذ فتحى رضوان
٣ ـ الطب والجنس (طبعتان) .... للأستاذ الدكتور مدحت عزيز شوقى
٤ ـ الدولة والحكم فى الإسلام .... للأستاذ الدكتور حسين فوزى النجار
٥ ـ أسرار السياسة المصرية فى ربع قرن .... للأستاذ عبد المغنى سعيد
٦ ـ مصر .. وقضايا الاغتيالات السياسية .... للأستاذ الدكتور محمود متولى
٧ ـ الطب النفسى .... للأستاذ الدكتور عادل صادق
٨ ـ أزمة الشباب .. وهموم مصرية .... للأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد
٩ ـ المسيحية والإسلام على أرض مصر ... للأستاذ الدكتور وليم سليمان قلادة
١٠ ـ الإرهاب .. والعنف السياسى .... للواء دكتور أحمد جلال عز الدين
١١ ـ كنت نائباً لرئيس المخابرات .... للأستاذ عبد الفتاح أبو الفضل
١٢ ـ مصر .. من يريدها بسوء ؟ .... للأستاذ محمد جبريل
١٣ ـ فى الاقتصاد الإسلامى .... للاستاذ الدكتور راشد البراوى
١٤ ـ المشكلات النفسية للطفل
وطرق علاجها .... للاستاذ الدكتور ملاك جرجس
١٥ ـ الشيعة . المهدى . الدروز
«تاريخ ووثائق» . ... للاستاذ الدكتور عبد المنعم النمر
١٦ ـ ثورة الإبن
«أسرار ووثائق قضية تنظيم ثورة مصر» .... للاستاذ مصطفى بكرى



دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر (ش.م.م.)

أول شركة صحفية مساهمة فى مصر

تأسست طبقاً

لأحكام قانون سلطة الصحافة
رقم ١٤٨ لسنة ١٩٨٠
وأحكام قانون شركات المساهمة
رقم ١٥٩ لسنة ١٩٨١

أغراض الشركة :

١ ـ اصدار مجلة أسبوعية باللغة العربية تحمل اسم « الحرية » بهدف نشر الوعى الإجتماعى والسياسى والاقتصادى فى اطار المقومات الاساسية للمجتمع .
٢ ـ اصدار سلاسل كتب دورية لنشر الثقافة العامة .
٣ ـ انشاء مطبعة وفق احدث اساليب الطباعة فى العالم .
٤ ـ القيام بأعمال الترجمة والنشر والاعلان .
٥ ـ انتاج وتسويق وتوزيع المواد الاعلامية السمعية والبصرية .



تنظيم الجهاد

البديل الإسلامى فى مصر

نقديم : د. سعد الدين ابراهيم

تأليف: نعمة الله جنينة



هـــذا الكـــاتـــب :

يعمل محرراً بمجلة المصور ، وهو أحد المتخصصين في شئون الصراع العربى الاسرائيلى ، وله العديد من المؤلفات حول طبيعة هذا الصراع ، واضافة إلى ذلك فهو يكتب بالعديد من الصحف العربية .

.. وهـــذا الكتـــاب :

يمثل متابعة دقيقة لنشأة تنظيم « ثورة مصر » وأهدافه وعملياته المسلحة ضد الاسرائيليين والأمريكيين ، ويكشف أسراراً عديدة حوله ، وخطوات القبض على أعضائه ، كما أنه يتابع رحلة خالد جمال عبد الناصر منذ دخوله اللعبة السياسية حتى سفره إلى يوغسلافيا .

.. وهـــذه الـــدار :

هي أول دار مستقلة للصحافة والطباعة والنشر ، نشأت نتيجة جهد وعرق وإيمان مجموعة من المشتغلين بالفكر والكتابة .

- ☐ لتكون ساحة للحوار وملتقى للفكر المستنير وللتفاعل بين الآراء والاتجاهات المختلفة في مصر والوطن العربي .
- ☐ ولتكون حلقة وصل بين التيارات الوطنية المختلفة والأجيال العاملة في الحقل العام .
- ☐ ولتكون اطلالة على الغد تستشرف آفاقه وتبحث مشاكله ، وتسعى إلى فحص حلولها .

وهي من هذا المنطلق تتجاوز معارك الأمس ، وتخوض معارك الغد ، وتعتمد في ذلك على الجيل الجديد من الشباب ، تتحدث إليه وتعمل من خلاله وبواسطته .

وفي كل ما يصدر عنها فإن « دار الحرية » تلتزم بالموضوعية في التحليل ، وبالتفكير العلمى وباحترام عقل القارىء ، وذلك بهدف دعم الحوار الفكرى ، وجذب كل الآراء ... إلى دائرة الحوار .